الدكتور حنا سعيد الحاج

العلاقات الإسلامية الأرمنية

منذ الفتح العربي حتى اليوم



مقاربة إجتماعية سياسية

مركز الدراسات الأرمنية

(الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز)



مركز الدراسات الأرمنيـة

مركز شاغزويان الثقافي ـ برج حمود ، لبنان
ص.ب. : ٨٠ ـ ٨٦٠ ـــ هاتف : ٢٦٠١١٥ ، ٢٦٧١٨٠ ، ٥٨٣٠٢٦

الدكتور حنا سعيد الحاج

العلاقات الإسلامية الأرمنية

منذ الفتح العربي حتى اليوم

مقاربة إجتماعية - سياسية

مركز الدراسات الأرمنية

بيروت - ١٩٩٦

إهداء

إلى كل معذب في الأرض ...

إلى كل مؤمن با لله وبالإنسان ...

إلى كل مؤمن بالعلمنة والتعددية،

ثروة كبرى على طريق السعادة والحرية والكرامة ...

مقدمة البحث

لماذا البحث في القضية الأرمنية تحديداً؟

وما الغرض من فتح ملفاتها المعقدة والمتشابكة، بعد واحد وثمانين عاما على مجازرها والإبادة ؟

قضية الأرمن، لا تعني الأرمن وحدهم، فهي تطرح ذاتها كبعدٍ إنساني ـ شمولي، قبل أن تُطْرح كبعد سياسي ـ قانوني. إنها مسألة الإنسان في كل زمان ومكان.

بتجرد الباحث نسعى إلى الحقيقة مجردة بعيدة عن كل تزلف. إنه العلم! ما همه إن ظهرت في الصورة أوجة ملائكية أو أوجه شيطانية؟! حتى ولو كانت هذه الأوجه أوجه أهل البيت أنفسهم ...

الباحث في العلوم الاجتماعية ـ السياسية، شأنه شأن كلٍّ الباحثين في العلوم الإنسانية، يعيش معاناة حقيقية، لأن مادة عمله الإنسان في كينونته وصيرورته وهدفه الأسمى. إنه في صراع بين الواجب والواقع، بين عالم قائم وعالم لم يتحقق بعد وقد لا يتحقق. . . لذلك، تغرقنا التساؤلات أمام المسائل الكبرى في العالم.

نسأل عن الإنسان وسلوكيته وجوهره، فيصدمنا الواقع بتناقضاته. . .

نسأل، لماذا تستيقظ الديموقراطيات في مكان ما وتموت في مكان آخر؟

لماذا ينتفض ضمير الإنسانية ثائراً مقاوماً مخرز الباطل في منطقة معينة، ثم يصبح هو نفسه شريكاً في الجريمة وباعثاً لها في منطقة أخرى؟

لماذا تكون الأقليات على إختلافها، إثنية كانت أم دينية أم عقائدية. . . كبش محرقة وقرابين فداء؟!

فهل يفعل الخير فينا وفق مبدأ القوة والنسبية؟

قضية أرمينية، في دائرة هذه التساؤلات وعمقها، تطرح كلَّ فرضيات البحث.

فرضيات نوردها إستنتاجات مثبتة بالوقائع التاريخية والبراهين المنطقية.

قضية الأرمن، تشكل مثالاً وعينة نموذجية، لاستئصال شعب، بتاريخه وجغرافيته ووجوده. إنها قضية بحجم الإنسان وأكبر.

مأساة الأرمن، لا يبررها فعلٌ ولا يحللها شرع أو دين! فهي لذلك، تطرح مصير الإنسان وتوزعه في خرائط جغرافية وإنسانية جديدة. هذه الخرائط، لن تكون حدودها مادية وعددية، بل فعل إيمان بحقوق الإنسان وحريته.

هذه الدراسة، لا تهدف إلى إعادة كتابة تاريخ الأرمن، بقدر ما هي محاولة لوضع هذا التاريخ، بكل ما له وما عليه، في أبعاده السوسيولوجية والسياسية والإنسانية، فالحدث على

أهميته وفظاعته، يبقى دون مدلول أو هوية، إن لم يكشف القناع عن خلفياته وخفاياه.

فالأقليات والتعدديات، تبقى أُمَّ المشاكل عندنا. فكم من الحروب والفتن إستمدت وقودها منها. نعم مشكلة الإنسان تبقى، في تمايزه واختلافه، في خصوصيته وتعدديته.

إنها المشكلة التي انجبت معظم نكبات هذا الإنسان ومصائبه.

وإذا كان العقل قوتنا إلى الحوار في مجابهة التباين والاختلاف، فلماذا لم يتم التلاقي المسيحي ـ الإسلامي بعد؟ خصوصاً أن لا إكراه في الدين[1]، كما لا إكراه في المعتقد والانتماء. حتى الالحاد هو معتقد نقابله بالحجة والممارسة الديموقراطية والاقناع.

الكتب السماوية، على إختلافها وتباينها أحياناً؛ إلا أنها تلتقي جميعها في الله وعند سعادة الإنسان ورقيه.

في بحثنا هذا، نتناول الجانب الأكثر حساسية من القضية الأرمنية، عنيت به العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، في مختلف مراحلها ومحطاتها من الفتح العربي، حتى مطلع القرن العشرين. لكننا بالطبع، لن نغفل الجوانب الأخرى من هذه القضية؛ فالظاهرة مهما كان نوعها لا تتوالد من ذاتها وبذاتها، لأنها متكاملة الجوانب، متفاعلة في بيئتها ومجتمعها ومحيطها. فالمواقع والأدوار تتبدل غالباً وفق مدلول القوة، التي فصَّلت الكثير من القوانين والأنظمة والشرائع على قياسها، وأخضعت الأفراد والجماعات لنظمها ومبادئها.

---

(١) ـ القرآن الكريم، مصحف جوامع شريف، طبع على نفقة صلاح يوسف الخليل، سورة البقرة، الآية ٢٥٦، ص. ٣٦ دون تاريخ.

من هذه القوة، خرج الاعتداء والاضطهاد، فقامت دول وامبراطوريات وسقطت أخرى.

في معادلة القوى، تدفع الشعوب الصغيرة ثمن ضعفها، كما تدفع ضريبة العرق واللون والجنس والدين.

فمن الماضي البعيد وحتى يومنا هذا، مآثر الشرق حافلة بصور الآلام والمآسي: من جلجلة السيد، إلى هجرة النبي ومن مواقع كربلاء وصفين، إلى سقوط القسطنطينية وسائر الممالك والامبراطوريات، من مأساة أرمينية واليونان وقبرص والأكراد، إلى قيام إسرائيل واغتيال لبنان وغيرها الكثير الكثير.

مسألية البحث (La Problématique)، تقف عند مسار المسلمين ونهجهم ونظرتهم وتعاطيهم مع القضية الأرمنية وفيها، عبر تاريخهم الطويل، المتقلب، الحافل بالفتوحات والغزوات والتغيرات.

تحت أقنعة كثيرة ترتسم المأساة الأرمنية؛ مأساة شكلت ورقة رابحة في لعبة الكبار ودخلت بورصة السياسة الاقليمية والدولية من بابها الواسع.

أمام كلِّ جريمة مهما كان نوعها ودوافعها، نبحث دائماً عن المستفيد منها؛ ثم عن الوسيلة والاداة التنفيذية التي تحدد الخلفية والبعد.

أرمينيه، قدرها في تمايزها، في قوميتها، في طبيعتها واستراتيجية موقعها، كما في معتقدها. فكان مثلها مثل الذئب والحمل.

أرمينية، قصة شعب وأرض وحضارة. قصة فيها الحنين والذكريات، فيها الأمل والحلم والرجاء، فيها الألم والوجع، فيها مئات الآلاف من الشهداء والقرابين، التي غصت بهم منابع

الفرات، فروت دماؤهم كلَّ أرض في الشرقين الأدنى والأوسط، وأسْمَعتْ صراخاتهم كلَّ سماءٍ من العالم.

إنّ الغوص في حيثيات القضية الأرمنية، والوقوف على دوافعها ومسبباتها، قد يحمِّل الأرمن بعضاً من تبعاتٍ ومسؤولياتٍ؛ تحولت إلى ذرائع وادعاءات في يد المجرمين.

نحن في بحثنا، لا نقول بطوباوية الأرمن، أو بقدسية قادتهم آنذاك. إلاّ أن ردّات الفعل الهمجية التي مورست ضدهم وأساليب القمع، ناهيك عن المجازر وهول الفظائع والممارسات البربرية، التي إرتكبت بحقهم، جعلتهم بحق شهداء يستحقون القداسة.

إنّ المشكلة الأرمنية، ككل مشكلة أو مأساة أصابت اللبنانيين والفلسطينيين واليهود والأكراد وغيرهم، تتمثل في مشكلة تقبل الإنسان للآخر. أو قل إنها مشكلة الإيمان بحقوق الإنسان وحريته وكرامته.

فهل تحدث المعجزة وينتصر الإنسان على ذاته وأنانيته وعنصريته وعصبيته؟

هل تحدث المعجزة، وتولد العدالة وتطبق المساواة الحقيقية، ويقبل الإنسان أخاه؟!

نقول هذا، لا برسولية المبشر، بل بإيمان أصيل بالإنسان وقيمه وقدراته.

المراقب، قد يجد في إيماننا هذا، ضرباً من الوهم أو الجنون، في زمن يتحكم فيه الجنون والانحراف، في زمنٍ إختلّت فيه الموازين وانقلبت القيم والمقاييس.

نقول هذا، كي نتجنب مآسٍ جديدة، وكي لا يكون هناك «أرمينيات جديدة» أو «لبنانات جديدة» أو «فلسطينات جديدة»،

أو بلقانات جديدة»، فنحن لن نرضى للآخرين ما نرفضه لأنفسنا، فحذار من لعبة الموت هذه، فهي لن تستثني أحداً ولن ترحم دولاً مهما عظم شأنها؛ خصوصاً متى كانت أرصدة هذه الدول كبيرة وكبيرة جداً في عالم القهر والشر والجريمة.

إنّ الظروف والعوامل والذهنية التي سلخت أرض أرمينية وشعبها، ورمت بمن أنقذته الاعجوبة في مختلف بقاع الأرض، شرقاً وغرباً، هي نفسها التي نحرت لبنان وشلّعت الشرق وأغرقت العالم الثالث في مزيد من البؤس والفقر والقهر.

عناصر كثيرة تتحكم بمصير العالم الثالث وبالعديد من بلدان الشرق الأوسط، أهمها:

أ ـ التخلف.

ب ـ الديكتاتورية (قد تكون النظام السياسي الوحيد والفاعل في معظم هذه البلدان).

ج ـ الأصولية (فرض الشريعة كمصدر وحيد للقوانين)[١].

د ـ الشرق الأوسط، ممزق بصراعاته الداخلية، إنه في حرب مع ذاته.

هـ ـ مصير الأقليات العرقية، العقائدية والدينية، وإنتهاك حقوق الإنسان.

و ـ مطامع القوى العظمى في خيراته، وإختياره كساحة مجانية لصراعاتهم.

هذه الحقائق، خلقت بؤر توتر دائمة، بانتهاكها حقوق الإنسان وكرامة المواطن.

الخلل في المجتمعات، مرده إلى سوء تطبيق الانظمة والقوانين، وإلى طغيان مبدأ القوة في ابتلاع حق الضعيف.

---

(١) ـ Bernard Chantebout: Le Tiers Monde, Paris 1986, P.89.

ونتحدث بعد كل هذا، عن ديموقراطيات وحريات وعدالة؟! إنها الديموقراطيات المستحيلة كما يسميها Bernard Chantebout. وقد تكون المشكلة في ذلك، محكومة بغياب الوعي الوطني والسياسي في شعوب هذه المنطقة المنقادة لحكومات أوليغارشية أو اتوقراطية أو ثيوقراطية.

وبغية الانتصار على هذا الواقع والخروج من مسلمات تعيق الإنسان في تطوره ومواكبة العصر والحضارة، علينا قبل كلِّ شيء تحرير الإنسان من غربته (Son aliénation) وتحريره من عقده المتوارثة البالية التي تخطاها الزمن.

في بحثنا هذا، نتوقف عند المسألة بكليتها وتحديداً عند العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، لأنها الأكثر تعقيداً وتشابكاً وشمولية؛ فهي لا تعني الأرمن وحدهم بقدر ما تعني كل الأقليات المسيحية وغير المسيحية في هذا الشرق.

فهل نخرج من مقولة تصنيف المجموعات البشرية في سلم أولويات، من مواطن درجة أولى إلى مواطن درجة ثانية وثالثة ودنيا، إنطلاقاً من الانتماء الطائفي والعرقي؟
هل نجد سلامنا واستقرارنا وحريتنا؟ هل تحصل المعجزة ونخرج من هذه الدوامة؟

نعم إنها صورة قاتمة لوجه هذا الشرق، وتحديداً لوجه هذه الأمم من المحيط إلى الخليج.
أرمينية ضحية نموذجية من ضحايا الاطماع والاحقاد الاقليمية والدولية.

إنها الحقيقة المؤلمة، التي خلقت نهجاً ومساراً سياسياً، تحوَّل إلى ثوابت قد لا تتغير في المدى المنظور.

ومأساة أرمينية، تلخِّص كلَّ مآسي الإنسان، أينما كان وكيفما كان، بينها جميعاً قرابة وتقارب، تجمعها عناصر مشتَرَكة ومشْتَرِكة، وهي وإن إختلفت هدفاً، نهجاً واداةً؛ إلاّ أنَّ الأصابع متشابهة واللهب وقوده واحد، والعقل المدبِّر صاحب مدرسة حدودها فلسفة الجريمة ولعبة الموت، تمجيداً لشهوة المادة ومجد السلطة.

هؤلاء أثبتوا أن الشر حتمية ملازمة للإنسان، متأصلة في عقله الباطني، نراها تترجم كل يوم سلوكاً سلطوياً ـ غريزياً، محموماً، في الشرق كما في الغرب.

الأرمن كغيرهم من الأقليات، ضحية هذا العقل المريض، هذا الإنسان ـ كما يسمونه ـ الذي لم يدرك بعد غاية وجوده وجوهره. كيف لا وهذا العقل هو نفسه الذي خطط لمجازر أرمينية ونفذها. فشهد العالم كله أكبر وأفظع ملحمة، ترتكب في مطلع القرن العشرين وتخط بدماء الأرمن أولى صفحات جرائمه. كل ذلك دون مبررات أو موجبات تذكر. فكل حجج الأتراك وذرائعهم، كان إختلاقاً أو حججاً واهية لا تبرر أبداً جرائم بهذا الحجم والفظائع...

وتبقى أرمينية ضحية القرن العشرين الأولى. ضحية الحقد والمطامع بكل ما فيها من رغبة للانتقام.

أرمينية تمثل لؤلؤة محيطها جغرافياً، فكرياً، ثقافياً وفنياً. إنها الوطن المميز والأمة المتفوقة بين جيرانها؛ وهي إلى ذلك، أول دولة في العالم، تتخذ من المسيحية ديناً رسمياً لها... ففي كلِّ هذا، ربما، تجسدت جريمتها.

واحدٌ وثمانون عاماً من عمر المأساة والأرمن ينتظرون ضمير العالم وعدالته.

وعبثاً ينتظرون ما دام هذا العالم محكوماً بسلطان المال، وشهوة التسلّط والاحتكار. لذا أصبح الحق والعدالة والحرية فلسفة نسبية في ميزان القوة.

واحدٌ وثمانون عاماً والقضية الأرمنية لم تتلمس طريقها إلى الحل وقد لا تجده وسط هذه الظروف الدولية والمعطيات الإقليمية والضياع الأرمني. فنحن نقول هذا بواقعية علمية، لا بنظرة متشائمة.

على الأرمن، كشعب وكأمة إعادة النظر في سياستهم وتحركهم الدبلوماسي والنضالي، في مختلف المجالات وعلى كافة المستويات. يعتقد المراقبون، خلافاً للواقع، أن الشعب الأرمني واحدٌ في النهج والسياسة؛ غير أن الحقيقة تؤكد وحدة الأرمن في العصبية والعرق والقضية، وتظهر تبايناً واضحاً، كي لا نقل إختلافاً في الأساليب وكيفية النضال السياسي وغيره.

طاقات الأرمن هائلة في بلدان المشرق ودنيا الانتشار، لكنها طاقات لا تزال تنتظر من يوحدها ويجمع شتاتها ليوظفها في خدمة القضية الكبرى، قضية أرمينية الشهيد. فالأرض لا تزال مغتصبة ومصادرة والحقوق منتهكة والكرامات مداسة.

المطلوب إذاً، إستراتيجية أرمنية جديدة، تفرض تحولاً جذرياً في السياسة الدولية حيال قضيتهم المحقة، وتترجم عملياً شرعة حقوق الإنسان، تضع الأمور في نصابها، ليس فقط من أجل إعطاء الأرمن حقوقهم وإستعادة ما سلب منهم بقوة الحديد والنار، بل أبعد من ذلك لاستعادة ثقة الشعوب المقهورة والمغلوبة، التي كفَرتْ بكل شرائع العالم ودساتيره؛ إستعادت ثقتها بالإنسان وحقها في الحياة الكريمة الحرة.

واحدٌ وثمانون عاماً، كافية لاعطاء الدليل القاطع على عقم المعالجات وفشل السياسيات حيال القضية الأرمنية. كم من «الثمانين» على الأرمن أن ينتظروا حتى تُصْدِرَ العدالة الدولية حكمها، بقضية الحق الأرمني؛ هذا الحق الذي أثبتته كل الوثائق والتقارير والوقائع، التي أقرَّ بها الأقربون والأبعدون، الأصدقاء والأعداء على حدٍ سواء.

نحن إذ نطالب بإعادة فتح كامل الملف الأرمني في المحافل الدولية، لا من أجل إثارة النعرات أو التحريض على الثأر، بل من أجل الحق الذي لا يجوز أن يسقط بمرور الزمن، وكي لا تبقى قضية أرمينية كغيرها من قضايا الشعوب المقهورة وصمة عار في تاريخ الإنسانية. فالخطأ طريق إلى المعرفة، والاقرار به فضيلة. فلماذا لا نتعلم من أخطائنا؟ لماذا تخيفنا الحقيقة؟

كيف يمكن للدول التي خططت ونفذت مجازر أرمينية، أن تكفِّر عن آثامها وجرائمها؟ كيف يمكن لدول القرار أن تخلق التوازن وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين؟ هل بالتمادي في الجريمة وخلق مآسٍ جديدة أكبر وأعنف، توزع على إمتداد خرائط العنصرية والتعصّب والتسلّط، تنسينا الجرائم السابقة؟!

إختيارنا للقضية الأرمنية، لم يكن عبثياً، بل كونها تطرح ذاتها قضية العصر، بل قضية كل زمان ومكان.

هذه القضية على أهميتها وفظاعتها، لا تزال غائبة عن البعض ومغيبةً عن البعض الآخر. كثيرون هم الذين يجهلون كلياً حقيقة الاعصار التركي الذي إقتلع أرمينية بكل ما فيها ومن فيها.

غاية بحثنا إذاً، كشف الجوانب المهمة في القضية الأرمنية وخلفياتها، مركزين بشكل خاص على حدود العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية في أهم محطاتها ومراحلها، منذ الفتح الإسلامي وحتى اليوم. أضف إلى ذلك، أن أرمينية تشكل مادة غاية في الأهمية على مختلف الصعد، السياسية ـ الإجتماعية والإنسانية.

في بحثنا هذا، نسعى إلى الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، خدمة للعلم الذي يحرِّر الإنسان من صغائره والرواسب. . .

كل هذه الفرضيات والطروحات، سنحاول وضعها في إطارها السليم في سياق هذا البحث، على إمتداد أرمينية في تاريخها وجغرافيتها وسياستها وانسانها. . .

الفصل الأول

أرمينية لمحة تاريخية وجغراسية

القسم الأول: الشعب الأرمني في أصله ونشأته وجغرافيته.

كل بحث سياسي أو كل بحث في الإنسان يعتبر مبتوراً، ما لم يتناول المجموعات موضوع الدراسة، في محيطها وموقعها الجغرافي، في تاريخها ومناخاتها السوسيولوجية والسيكولوجية، الفكرية والعقائدية الخ.

هذه المسَلَّمة، توجِّه خط بحثنا، فتوجب التعرف إلى الشعب الأرمني في نشأته وبيئته، في محيطه وحضارته وتفاعله مع سائر المجموعات والاثنيات، حتى نلامس بموضوعية وتجرد أبعد أفق في القضية الأرمنية، مستعرضين أبرز الوقائع والحيثيات. عندها فقط، يحكم لها أو عليها...

I ـ الأرمن هوية أصالة وتاريخ:

إن أول ذكر تاريخي لأرمينية، يعود إلى عام ٥١٦ ق.م. أما الوقائع التاريخية الثابتة في تاريخ الأرمن، تبدأ فعلياً بتحالفهم مع الميديين، ومشاركتهم لهم في فتح مدينة نينوى عاصمة الاشوريين عام ٦١٢ ق.م.[١]. بعض المراجع تؤكد تواجدها

(١) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ٢٢.

قبل ذلك بقرون، غير ان البراهين العلمية والأدلة التاريخية غير متوافرة حتى الآن.

ومهما تضاربت المصادر والمراجع والاجتهادات حول نشأة الشعب الأرمني، إلا أنها تجمع كلها على عراقته وأصالته وتمايز تاريخه. فجذوره تمتد في الزمن ستة آلاف سنة قبل الميلاد، وتمتد في المسيحية ما يقارب ١٦٩٤ سنة، وهكذا عمرها الكنسي، يجاري عمر المسيحية نفسها ويواكب أبرز محطات إنتشارها[١].

الشعب الأرمني، من حيث العرق والتحدر، يصنفه معظم علماء الانساب (Les généalogistes) بأنه مزيج من المواطنين في الـ Ourardou ، الذين لا نعرف عنهم شيئاً تقريباً. ولكنهم دون شك مجموعات هندو ـ أوروبية، بانتمائهم إلى العرق الآري.

الأرمن إذاً، أصيلون في الزمن وفي المسيح. كانوا سباقين في ميحطهم وفي العالم؛ فبفضل قديسهم «غريغور المنور»، إعتنقوا المسيحية منذ نشأتها، كما اعتمدوها ديناً رسمياً لدولتهم عام ٣٠١ م.[٢]، رغم ما تذكره بعض المراجع من أن ذلك حدث عام ٣١٠ م.[٣].

كلمة أرمينية موجودة إذاً، منذ ما قبل التاريخ. وهي إلى ذلك تعتبر من أهم مراكز الحضارات الأولى في العالم، والتي

---

(١) ـ Anahide Ter Minassian, la Question Arménienne, Paris 1983, P.30

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠، أنظر أيضاً، سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٣٣.

(٣) ـ Dominique & Michèle Frémy, Quid, Paris 1984, P. 1196.

من خلالها تطورت الحياة الانسانية نفسها، إضافة إلى كونها مركزاً تجارياً واستراتيجياً فريداً في الشرق الأدنى وفي آسيا برمتها. سجلت أرمينية في تاريخ البشرية محطات كبرى، لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، في أي بحث من الأبحاث الاجتماعية ـ السياسية والتاريخية، التي تتناول هذه المنطقة من العالم. فهي تفرض ذاتها كمادة «دسمة» وغنية لهذه الدراسات والعلوم، خصوصاً انها تعرضت عبر آلاف السنين من تاريخها، إلى تحولات وتغيرات أساسية وجذرية، في الأرض والحدود والديموغرافية.

تاريخ أرمينية السياسي، متقلبٌ جداً، نجده في خطٍ بياني كثير التعرج صعوداً وهبوطاً. أرمينية بين مدٍّ وجزر، عرفت أكثر فترات إستقرارها واستقلالها بين القرن الثامن ق.م والقرن الرابع للميلاد؛ حيث قسمت عام ٣٨٧ م بين الفرس والرومان إلى قسمين شرقي وغربي، كما تعرضت عام ٤٥١ م لهجمة فارسية لتفرض الوثنية عليها بدلَ المسيحية. ثم تكر السبحة مع بداية الفتح الاسلامي لأرمينية عام ٦٣٩ م، وتتلاحق سلسلة الثورات والاعتداءات، على حريتها واستقلالها، زمن الخلافة العباسية (٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م.)[١]. معاناة أرمينية ، بدأت منذ آلاف السنين ولمّا تتوقف بعد، لكنها توجت مع «السلطان الأحمر» وجماعة «الاتحاد والترقي» والحكومة الكمالية[٢].

---

(١) ـ Le Grand livre du Monde, Dictionnaire géographique illustré des Pays, des Villes et des Sites, Sélection du Reader's Digest, Paris 1993, P. 64.

(٢) ـ حكومة مصطفى كمال «أتاتورك».

مسيرة الآلام في تاريخ الأرمن قديمة إذاً، قدم وجودهم. لقد ظلت هذه البلاد قروناً طويلة مطمعاً لكل الامبراطوريات الكبيرة المتنافسة التي أنشبت مخالبها فيها، سياسياً وإجتماعياً واقتصادياً وأحياناً كثيرة طائفياً.

لقد غابت أرمينية أو غيبت عن خريطة العالم، مئات السنين. ومع ذلك كانت، في كل مرة، تعود لتفرض ذاتها، بكل ما في شعبها من تشبث بالحياة والقومية واللغة والكنيسة الوطنية المستقلة. وبذلك إستطاع الشعب الأرمني، رغم كلِّ شيء، أن يحفظ شخصيته المتمايزة وخصوصياته، رغم أصابع الجريمة التي إقتلعته من أرضه وشتتته في بقاع الأرض قاطبة. فإذا هي كلبنان تتوزع «أرمينيات» شرقاً وغرباً[1].

الباحث في مسيرة الشعب الأرمني، تلفته كثرة الأحداث وتسارعها، وتأخذه خيوط متداخلة ـ متشابكة ومعقدة، كما تغنيه صفحات متعددة الألوان أكثرها الأسود والأحمر وأقلها الأبيض، نظراً لما تعرضت له من مآسٍ ونكبات.

وإذا صحَّ ما قيل: «الألم يفجِّر العبقرية، والمعاناة تبدع الروائع»؟!

فالأرمن خير شاهد على ذلك، فهم قد أبدعوا في الفن والأدب والفكر، كما ابدعوا في تحدي الصعاب، فعرفوا أن الموت لم يكن يوماً نهاية الحياة.

من هنا نفهم قيمة العطاءات الكبيرة التي ابدعها الشعب الأرمني في مختلف مجالات الحياة، مادياً وفكرياً وروحياً.

وإذا كان لكل حدث سبب، فان أرمينية إستهوت الجميع،

---

(١) ـ بلاد الشتات، أو الإنتشار الأرمني، خلق عدة كيانات أرمنية متمايزة، في العالم.

دون إستثناء، إستهوتهم بطبيعتها وجمالها، بموقعها وثرواتها. فمنذ السلوقيين وقبلهم، إلى الساسانيين[١] الذين راحوا يفرضون ديانتهم القديمة (الزردشتية)[٢] على كل الديانات وفي طليعتها المسيحية طبعاً. بعد ذلك، رزحت أرمينية تحت الاحتلال الروماني حيناً، والاحتلال الفارسي حيناً آخر. ثم تعود، بعد فترات من الاستقلال، إلى التقسيم أو التجزئة والضم أو التهجير والابعاد الخ.

وكما يقول «ول ديورانت»: «.. إجتازتها جنود أكسانوف العشرة الآف، واحتربت من أجلها رومة وفارس وبيزنطية والاسلام، وروسيا وبريطانيا...»[٣].

أرمينية، هذه المنطقة المميزة من آسيا، تقاسمتها إيران والاتحاد السوفياتي[٤] وتركيا الحالية. فاغتصبت الأرض وذبح الشعب لذنوب لم يقترفها.

رغم الاحتلالات المتعاقبة والضم المتلاحق (اشوري، فارسي، روماني واسلامي الخ.) تمتعت أرمينية بجانب من الاستقلالية أو الحكم الذاتي، حتى تقسيمها في القرن السادس عشر، بين الأتراك والفرس.

في العام ١٨٢٨، روسيا بدورها ابتلعت منطقة «Erevan» الحيوية. وبين الأعوام ١٨٩٠ و ١٩٢٤، ضمَّ الأتراك تدريجياً،

---

(١) ـ الدولة الساسانية هي الدولة الفارسية القديمة.

(٢) ـ زردشت: (إيران ٦٢٨ ق.م ـ ٥٥١ ق.م).

(٣) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الثاني، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص. ١٠٤.

ثلثي الأراضي الأرمنية، أهمها منطقة «Kars»، إثر مجازر الابادة الجماعية في الأعوام ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ وصولاً للمجازر الكبرى في الأعوام ١٩١٥ ـ ١٩١٦ . . ١٩٢٣، حيث فاق عدد الضحايا، خلال هذه السنوات، مليوني أرمني من مختلف الاعمار والمواقع[١].

ولكن حيال كل ذلك، كانت أرمينية محصنة بقدرة شعبها وتفوقه في مختلف الميادين، الإقتصادية والتجارية والزراعية وباستقلال ثقافي وديني ولغوي أثمر فيها روائع فكرية وفنية وأدبية، لا يزال العالم حتى اليوم، ينعم بخيراتها وعطاءاتها. إنه الارث الكبير، الذي أمَّن للشعب الأرمني، إستمراريته وديمومته. بل هو الارث، الذي منح أرمينية معجزة الانبعاث والقيامة الجديدة.

أرمينية، محطات مفصلية ليس فقط في تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط، بل وفي تاريخ العالم والانسانية جمعاء.

واستطراداً نقول، إن مملكة أرمينية الصغرى (أو أرمينية في المنفى) قد تأسست في عهد الصليبيين عام ١٠٩٥ م، وذلك في الأناضول وقيليقية. ثم أخضعها المماليك لنفوذهم عام ١٣٧٥ م. كما قاست ويلات الحروب بين الفرس والترك، ثم بين الروس والعثمانيين.

عقب هذه الخريطة التاريخية ـ السياسية، تطالعنا محطة هامة ورئيسة في تاريخ الجمهورية الأرمنية المستقلة (١٩١٨)، هذه

---

(١) ـ سنفرد في سياق بحثنا قسماً خاصاً للمجازر التي تعرَّض لها الشعب الأرمني.

الجمهورية التي أكدت هشاشة كيانها ـ ولو متأخرة ـ معاهدة Sèvres في آب ١٩٢٠، أصبحت بعد الثورة البولشيڤية وسيطـرتهـم (فـي ٢٩ كـانـون الأول ١٩٢٠)، الجمهـوريـة الاشتراكية السوڤياتية ـ الأرمنية[1]. وأخيراً عادت إلى سيادتها واستقلالها، إثر سقوط الاتحاد ـ السوڤياتي وتفكك دوله، فعرفت بجمهورية أرمينية المستقلة. غير أن القضية الأرمنية، لا تزال عالقة دون حلٍّ يرضي الشعوب الأرمنية، التي دفعت غالياً جداً ثمن حريتها وسيادتها، وفي سبيل المحافظة على هويتها وقوميتها ومعتقدها. بل أكثر من ذلك، نجد أن الأسرة الدولية، والأمم المتحدة، تتجاهل، حتى الساعة، حقوق الشعب الأرمني المغتصبة على يد الأتراك وغيرهم.

الشعب الأرمني، لا يزال منذ مئات السنين، بل منذ الآفها، يسير جلجلته، فمتى تكون القيامة؟! وفي هذا السياق، نسجل اليوم قضية محورية، تتفاعل بكل قسوة وعنف، وقد تشكل اذا ما استمرت، واذا ما بقيت هذه اللامبالاة الاقليمية والدولية على حالها، خطراً داهماً وقد تكون مشروع مأساة جديد، يحاك ضد الأرمن في منطقة «ناغورني كاراباخ». إنها قضية بالغة الخطورة، ليس فقط على الشعب الأرمني ومصيره، بل على منطقة أذربيجان برمتها.

---

(١) ـ مساحة هذه الجمهورية يقدَّر ٢٩٨٠٠ كيلومتر مربع. سكانها ٣,٤٠٠,٠٠٠ نسمة، عاصمتها «يريڤان». تشتهر بالزراعة والمعادن. عام ١٩٨٨، ضربها الزلزال فحصد أكثر من ٢٥,٠٠٠ ضحية. راجع المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢ (قسم الإعلام)، راجع أيضـاً مـروان المـدور، الأرمـن عبـر التـاريـخ، بيـروت ١٩٨٢، ص. ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

«ناغورني كاراباخ» من هذه المنطقة، تقطنها غالبية أرمنية، هم سكانها الأصليون. هؤلاء طالبوا في العام ١٩٨٨ باعادة إرتباطهم بأرمينية السوڤياتية. ونتيجة للضغوطات والتوترات القومية المتزايدة مع الآذربيجانيين، نشبت إحتكاكات عنيفة بين شعبي الجمهوريتين، أوجبت تدخل الجيش السوڤياتي عام ١٩٩٠[١]، بغية وضع حدٍ لهذا النزاع التاريخي - القومي المستمر إلى يومنا هذا، بألف صورة ولون. «كاراباخ» وجه من وجوه المأساة الأرمنية الدائمة، وجرح نازف في جسد هذا الشعب. لقد أكدت هذه المقاطعة، أن العدالة نسبية وتعمل وفق مبدأ القوة. سلخت «كاراباخ» عن موطنها الأم وعن أهلها، يوم شاءت ذلك الارادة «الستالينية»[٢]. أليست مشيئة القوة، إرضاء للمصالح والحلفاء؟ منذ اثنين وسبعين عاماً (١٩٢٣)، وقضية «كاراباخ»، تتفاعل وتأخذ أبعاداً من الصراع بين الأرمن والآذريين، أكثر دموية وعنفاً.

ففي العام ١٩٢٣، «جوزيف ستالين»[٣]، يدخل مقاطعة «كاراباخ» هذه، تحت إدارة أذربيجان المباشرة، إرضاءً لاطماع حليفته تركيا آنذاك.

---

(١) ـ Le Micro - Robert 2, Dictionnaire de Culturegénérale, Noms Propres, Cartes et Chronologie, Rédaction Dirigée Par Alain Rey, Paris 1990, S P.

(٢) ـ الستالينية: مجموع نظريات ستالين المتسمة بالدكتاتورية والإرهاب.

(٣) ـ ستالين: (١٨٧٩ ـ ١٩٥٣)، المعروف بجوزيف ستالين، خريج المرسلين الارثوذكس في «تفليس» التحق بالحزب البولشيڤي، طغت على أفكاره الديكتاتورية والتسلّط.

«إنها حرب الحرية، حرب يخوضها شعب ذو هوية كاملة متكاملة، متعلق بجذوره وأصالته ولغته وعاداته وتقاليده»[١].

ففي عهد الزعيم السوفياتي «غورباتشوف»، ومع سياسة الانفتاح النسبي التي إعتمدها، وجد الأرمن في «كاراباخ» أن الفرصة سانحة للمطالبة بحقوقهم وإستعادة هويتهم وحريتهم التي سلبت منهم على يد ستالين، عندما الحقهم عنوة بأذربيجان في العام ١٩٢٣.

أفلا يحق للأقليات أو للشعوب الصغيرة، أن تطالب بحقوقها وتناضل من أجل سيادتها وحريتها وانتمائها؟

أزمة «كاراباخ»، التي تجددت عام ١٩٨٨، قد ألهبت علاقات هي أصلاً متوترة وعدائية بين الشعوب الأرمنية (٨٠ إلى ٩٠٪ من أصل سكانها) والآذريين. فهي إذاً، أرض أرمنية بحكم التاريخ والعرق والعدد. «كاراباخ» الأرمنية، مطوقة ببلدان عدوانية شهدت دفقات من اللاجئين، من كل الاتجاهات. كذلك موجات هاربة من الـ«Pogroms»[٢] وأخيراً حرب مواقع قاتلة:

في الشمال، الجيورجيون[٣]، في الغرب تركيا، في الشرق أذربيجان، وفي الجنوب إيران، هذه الدول الثلاث الأخيرة، أراضٍ إسلامية. وسط كل هذه الظروف الصعبة، يتابع الأرمن

---

(١) ـ البطريرك كسباريان، مقابلة صحافية بيروت، أيار ١٩٩٤.

(٢) ـ Pogroms: حركة قامت بها السلطات القيصرية لاستئصال اليهود. وهي التي عرفت بذبح اليهود.

(٣) ـ غالبية مسيحية، لكنهم تخبطوا بدورهم في نزاعات داخلية حادة.

ـ Voir, Le Grand Livre du Monde, 0P, cit, P.64.

نضالهم متلمسين طريقهم إلى الحرية والاستقلال. فهل يصبح الحلم، حقيقة؟!

بعد هذه العَيِّنات التاريخية والسياسية في مسيرة الشعب الأرمني، والتي ترسم صورة حقيقية لواقع الأرمن ماضياً وحاضراً وربما مستقبلاً، لا بدَّ من القاء الضوء ولو سريعاً، على أهمية الموقع أو جدلية الإنسان والتصاقه بأرضه وموطنه.

II ـ جغراسية[١] أرمينية أو ثنائية الأرض والإنسان:

الإنسان، الأرض والتاريخ، عناصر أساسية متلازمة ـ متفاعلة، يخلق واحدها في الآخر تحولات كثيرة وأحياناً حتميات كثيرة. في عودة إلى أرشيف الأحداث ووقائعها، تتأكد هذه الحقائق، كما أكدتها العلوم على اختلافها، من سياسية وإجتماعية وجغرافية وانتروبولوجية ونفسية.

فكما أنه لا يمكن دراسة الظاهرة إلا ضمن إطارها الطبيعي؛ كذلك لا تكون دراستها كاملة وسليمة إلاّ إذا وضعت ضمن بيئتها الاجتماعية والسياسية. وهكذا نجد أن العلوم الاجتماعية والاتنولوجية[٢]، ملازمة للجغرافية البشرية والعكس صحيح. والفرق بينها جميعاً، يعود إلى خصوصية البحث ومنهجيته. فالجغرافية مثلاً، تنظر إلى الظواهر بشكل أفقي لأن حدودها المكان (L'Espace)، أما علم الاجتماع فنظرته شاملة، عمودية لأن بعده الزمن (Le temps). الجغرافية تدرس المكان والموقع ككل وتفتش عن تتابع الظواهر الطبيعية وتناقضاتها،

---

(١) ـ جغراسية: La Géopolitique (دراسة العلاقات بين المعطيات الطبيعية وسياسة الدول).

(٢) ـ الاتنولوجيا: علم يبحث في أصل السلالات البشرية.

لتصل إلى امكانية تصوير هذا الواقع ضمن خريطة مرسومة محددة. أما علم الاجتماع فيحاول ان يدرس الظاهرة ككل إجتماعي متكامل، وذلك إستناداً إلى دراسة المظاهر الفردية ويصل إلى امكانية اعطاء نموذج (La typologie)[١] عن هذا الواقع.

فالموقع الجغرافي، وخصائص الأرض، في تربتها ومناخها وتوزيع ثرواتها، تطبع الإنسان بملامحه وسماته وتفرض عليه الكثير من جوانب شخصيته وحياته وعاداته وتقاليده.

فالطبيعة تدخلت ليس فقط في رسم الحدود المادية، بل أيضاً في رسم الخرائط الديموغرافية وتوزع السكان. فهل يمكن لأي تجمع بشري أن يكوّن كياناً سياسياً واجتماعياً، دون أن تتوفر لديه العناصر المادية الأساسية؟

أ ـ الأرض le territoire.

ب ـ السكان la population.

ج ـ العنصـــر الاقتصـــادي ـ التقنـــي - Structure techno économique. الناتج حكماً عن تفاعل الأرض والإنسان.

هذه العناصر المادية، اذا ما أضيفت إلى وحدة العرق والدين والرغبة في العيش المشترك الخ، توصلنا إلى عنصر معنوي هو «الأمة»، وبين كل هذا يتكون التاريخ.

والذي أعطى للحتمية الجغرافية تنظيماً علمياً شاملاً هو العالم الالماني «Ratzel»[٢] في كتابه الشهير : «la Géographie Politique».

---

(١) ـ إنه علم النماذج البشرية منظوراً اليها من حيث العلاقات بين الطبائع العضوية والذهنية.

(٢) ـ Ratzel (1844 - 1904) -Auteur d'une Anthropogéographie.

فحسب Ratzel، الموقع يؤثر بشكل كبير في تحديد سياسة معينة للدولة، وفي أنماط معيشة الشعوب وتطورها.

ومن خلال النموذجين الأرمني واللبناني، يمكننا القول ان الموقع الجغرافي، لا يؤثر في الإنسان وحياته ونظمه فحسب، بل أكثر من ذلك قد يرسم مصير هذا الإنسان وقدره. نعم للطبيعة والمناخ كلمتهما في تحديد مسار الإنسان والمجتمعات.

وما كتاب الاستاذ زين نور الدين زين، «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان»، إلا واحد من الكتب التي تفرد أبواباً لأهمية الموقع الجغرافي وانعكاسات ذلك على حياة الشعوب ومصائرها. فكتب يقول: «... ليس في الدنيا مناطق كثيرة كمنطقة الشرق الأدنى[١] حيث كان للموقع الجغرافي وما يترتب عليه من خطورة إستراتيجية، دور في تقرير مصائر الشعوب التي تتوطنها...»[٢].

وما أرمينية إلاّ النموذج الأهم في استراتيجية الموقع الجغرافي وفرادته. كيف لا وقد اعتبرت جسر العبور إلى آسيا، بل والشريان الحيوي ـ النابض بين أوروبا وآسيا. ونعمة الموقع هذا، تحولت إلى لعنة، يوم حولت أرض أرمينية إلى ساحة معارك دائمة، لأنها فتحت شهية الغزاة الطامعين، وهم كثر، إلى بلاد توفر لهم قدرة تحكم طبيعي نادر وتدر عليهم خيرات هاتين القارتين.

---

(١) ـ أرمينية واحدة من أهم هذه الدول.

(٢) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٢، ص. ٩.

كلُّ هذا قد يفسر بعضاً من ظاهرة الحروب والغزوات والكوارث والهجرات المتتالية التي تعرضت لها الشعوب الأرمنية، أو تلك التي قامت بها أرمينية كرد فعل دفاعي أو وقائي.

وفي هذا الاطار نجد أن «حرب المواقع الاستراتيجية بين العرب وبيزنطية»، كانت الحافز الرئيس (إلى جانب حوافز أخرى طبعاً) الذي دفع العرب وأغراهم لفتح أرمينية، خصوصاً أن أرمينية الغربية، كانت تؤلف بدورها الحدود الشرقية لامبراطورية الروم المعادية لهم، واحتلالِها يعني كشف الجناح الشرقي لهذه الامبراطورية وتهديدها بشكل مستمر[1].

وفي مقولة «البيئة تصنع الإنسان ـ le climat fait l'homme»، نسأل: هل الدول والكيانات السياسية والمجتمعية، هي غير هذا الإنسان؟! من هنا إذاً، حدود الدولة المعنوية، ومن هنا تستمد الكثير من خصائصها وملامحها.

إنطلاقاً من كلِّ هذا، لا نجد غرابة في القول، أن الأرض لها تأثيرها الفاعل في السياسة الداخلية والخارجية، فالمساحات الشاسعة في بلد ما قد يفرض تنظيماً سياسياً خاصاً، الولايات المتحدة الأميركية، مثلاً. والثروات الطبيعية والاقتصادية، بدل أن تكون مصدر رفاه ورخاء واستقرار لشعب معين، قد تصبح ـ خصوصاً في الدول الصغيرة والضعيفة ـ عنصر قلق ومصدر خوف وخطر، لأنها تثير شهوة الطامعين والفاتحين إلى التوسع والسيطرة وإشباع الحاجات.

هذه الأبعاد التي ترسم أهمية الأرض في طبيعتها وموقعها، في ثرواتها وغناها، تطرح جغرافية أرمينية كواقع ونموذج. فهي

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ١٩٧.

تمثل رائعة من روائع الفن الإلهي.

ماذا في طبيعة أرمينية وجغرافيتها، حتى أثارت الجميع؟!

أرمينية مناطق تعلو فوق تركيا، والاتحاد السوڤياتي (سابقاً) وإيران. فكأن الله أراد لها تمايزاً جغرافياً رائعاً ونادراً. هضبات مرتفعة، جبال شاهقة[١] تتعانق، فتغفو بأحلامها فوق ضفائر سهول حالمة بألف قصة وقصة.

غنية بينابيعها وأنهارها، وثرواتها الطبيعية. يغلب على أرمينية المناخ الجبلي القاري. وهي تشكل منطقة من أبرز مناطق آسيا الغربية، بل أبرزها على الاطلاق.

تعرف أرمينية مع جمهوريتي أذربيجان وجورجيا، بجمهوريات ما وراء القوقاز. وهي عشر مساحة أرمينية التاريخية؛ يقصد بأرمينية التاريخية أو الأصلية، الأراضي التي قطنها الأرمني قروناً طويلة، ترجع إلى ما قبل المسيح، وأصبحت مصطلحاً جغرافياً للاقليم الذي شمل الثلث الشرقي من آسيا الصغرى، المؤلف حالياً من تركيا وأذربيجان والجزء الجنوبي من جورجيا، وكانت أرمينية التاريخية تطل في أوجها (son apogée) على البحرين الأسود وقزوين، ووصلت في أواخر القرون الوسطى إلى البحر المتوسط[٢].

أرمينية هذه الطبيعة الجغرافية التي اختزنت في داخلها كلُّ المتناقضات، وأمنت لذاتها ولانسانها كلَّ العناصر الابداعية، لم تكن مجرد أرض تدرس بحدود مادية وجبال وسهول ووديان

(١) ـ أعلى قممها، جبل آرارات «Mont Ararat»، البالغة ٥١٧٢ م، والبعض يقول ٥١٦٥ م.

(٢) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ١١ و ١٢.

ومعادن، بل كانت أكثر من ذلك قيمة معنوية في إنسانها وقدسيتها وتاريخها.

والشعب الأرمني، على صورة أرضه، إتسم بقدرة التحمل والصلابة والكبرياء، تماماً كسكان الجبل اللبناني الذين روضوا الوعر وطوعوا الغزاة.

وأرمينية، إن لم تكن أرض القداسة، فهي على الأقل أرض مقدسة[١]. تغطي الثلوج قمم جبالها المخروطية على مدار السنة. ومن هذه الذرى إستوحى المهندسون الأرمن قباب كنائسهم وأماكن عبادتهم ورموزهم.

أما جبل أرارات، فيقع ضمن الأراضي التي اغتصبتها تركيا، الأمر الذي يثير المرارة والألم في قلوب الأرمن، الذين يبصرون جبلهم المقدس أمامهم، لكنهم لا يملكونه[٢].

أرمينية إلى جانب أهميتها الاستراتيجية، فهي غنية بثرواتها الطبيعية والمعدنية، إضافة إلى كونها تشكل مراكز صناعية أساسية تتواجد في «Erevan» و «Goumri» ـ (Ex - Leninakan) التي تأثرت بالزلازل المميتة. التي أوقعت أكثر من خمسين ألف ضحية في كانون الأول عام ١٩٨٨[٣].

أرمينية هذه، شكلت عبر تاريخها أهمية كبرى على الصعيدين التجاري والعسكري، ففتحت شهية معظم الشعوب

---

(١) ـ راجع قصة الطوفان، وسفينة نوح التي رست فوق جبل آرارات، حسب المعتقدات التي عاشتها شعوب ما بين النهرين «La Mésopotamie».

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ١٤ ـ ١٥.

(٣) ـ Le Grand Livre du Monde, Op, Cit, P.64.

والبلدان، طمعاً في أرضها وفي شعبها، وإن إختلفت الوسائل وتعددت الأسباب.

إلى جانب المعطيات التاريخية والجيو ـ سياسية التي رسمت مصير أرمينية وشعبها، هناك ثوابت أخرى تطرح أمامنا الكثير من المشكلات وفي طليعتها مشكلة الأقليات. هذه المشكلة، التي واكبت أحداثاً كثيرة في الشرق والغرب، وخلقت مآسٍ لا تزال هذه المجموعات الصغيرة، تدفع فاتورة اللون والعرق والدين والجنس، الخ.

أين يقف الأرمن من قضية الأقليات؟! وهل كان ذلك سبباً من الأسباب الكثيرة التي كتبت تاريخهم والمصير؟!

القسم الثاني: الأرمن في دائرة الأقليات:

الأقليات على تعددها وتنوعها، تبقى المشكلة الأبرز وتجاهلها هو تجاهل للواقع والحقيقة. وموقع هذه الأقليات ودورها داخل مجتمعها أو محيطها، محكومان بمركبين إثنين: مركب خوف وقلق ومركب تسلط وهيمنة. إنها معركة غير متكافئة، الكلمة فيها، غالباً للأقوى، الذي يهدف دائماً إلى فرض نفوذه ومعتقداته على سائر التعدديات الأضعف.

هذا هو «المنطق الأول الذي ساد في الشرق منذ الفتح العربي وقبله بعصور، هو المنطق الذي يفرض فكرة الهوية الواحدة، والجنس الواحد، واللغة الواحدة والدين الواحد

والتصور الواحد، مع أن الوجود البشري في المنطقة وفي العالم ليس واحداً ولا موحداً، بل تعددياً متمايزاً»[1].

الحقيقة أن عملية الخلط بين المفاهيم السياسية والدينية، أو زج الدين في السياسة وجعله أساساً لها ومحوراً لكل تشعباتها، أدخل المجتمعات في نفق مظلم ووضعها أمام مسلمات وحتميات فرضت عليها أفق تطورها ونموها وتفاعلها مع سائر الشعوب والحضارات المحيطة بها.

المفارقات قائمة ويجب أن تظل قائمة، حتى تعطي الحياة معنى التجدد وروعة الحركة. أما أن يصبح هذا التمايز والتلون والتعدد علة كلِّ صراع، بدل أن يكون مصدر تفاعل وإغناء، فتلك هي المشكلة.

مشكلة التعدديات قائمة وستبقى، مادام تباعدها يخدم مصالح الكبار، فحياتها وحريتها وطمأنينتها رهينة المشيئة الكبرى.

التعددية، ترسم مواقع مختلفة ومتنوعة، تبقى فيها الأقليات مهمشة ضمن دائرة المعايير التي يفرضها الكبار، لا بحق إلا حق القوة والتسلط.

منطقة الشرق الأوسط، من أغنى المناطق تعددية وأقليات. تجسد تيارات مختلفة ومتباينة خلقت منها «فسيفساء» دينية، عرقية، سياسية واجتماعية، تمثلت بأكبر كتلتين هما المسيحية والاسلام، بكل ما فيهما من تشعبات وفروع تتلاقى حيناً وتتباعد أحياناً.

«. . . وتاريخ الالتقاء يتحدد بينهما في المنطقة منذ ثلاثة

---

(١) ـ وليد فارس، التعددية في لبنان، الكسليك ١٩٧٩، ص. ٧٨.

عشر قرناً، عند الفتح العربي للشرق الأوسط ويمكن إعتبار التعددية الحضارية نتيجة لهذا الالتقاء»[١].

ومن قال أن الحضارة، لا تكون نتيجة تفاعل الاضداد والمتناقضات؟

فهي التي تتزاوج فتنجب أجمل الروائع وتطرح كلَّ الحوافز للمنافسة المبدعة. هذه المنافسة هي التي أغنت حواضر العلم ومكتبات الفكر والفلسفة.

في شجرة المسيحية، كما في شجرة الاسلام، فروع كثيرة، غزَّتها السياسة، فهجنت أبعادها وأغراضها، فراحت تبحث عن الحقيقة، والحقيقة في جوهرها وفي ذاتها. فكان مثلها كمثل من يسعى إلى ظله، متباطئاً حيناً ومسرعاً حيناً آخر. إنها دوامة أغرقت أصحابها في متاهات قد لا نعرف لها نهاية.

هذه الطوائف، وإن راحت كل واحدة منها تفسر الأمور من زاويتها وموقعها، إلاّ انها ظلت محافظة على طابعها الأصيل، ضمن هذا البناء الديني ـ الحضاري العريق. كذلك إنحفرت في ذاكرة الشعبين المسيحي والاسلامي وفي تاريخهم تقاليد صراع طويل الأمد[٢]. هذا الصراع شكَّل في غفلة من الزمن حتميات كثيرة تتحكم بشعوب أقليات، قلقة على حضارتها وهويتها ووجودها. فأصبح الخوف فعلاً تتوارثه الأجيال، وسلوكاً يعيش في كيانها ـ الباطني.

والأرمن في محيطهم ومنطقتهم، شكلوا طائفة من هذه الأقليات العرقية والدينية والثقافية المتمايزة؛ فتضافرت عناصر

---

(١) ـ وليد فارس، المرجع السابق، ص. ١٢.

(٢) ـ جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دراسة سوسيولوجية، قانونية مقارنة، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٩، ص. ١٨٢.

كثيرة إقليمية ودولية، لادخالها في دوامة لعبة ترسم الواقع والمصير وتحدد نهج الكبار في إبتلاع الصغار، أو قل سياسة الأكثرية - الأقوى حيال الأقليات والتعدديات الصغيرة والأضعف.

مقولة أسقطتها نظريات الفلسفة ومباديء المعرفة ومفاهيم اللاهوت الباحثة أبداً عن قيمة الإنسان وسعادته. مقولة ساقطة اذا ما قيست بمقياس الكم والعدد. فالعدد لم يكن يوماً معياراً لحقيقة الإنسان وجوهر وجوده. إنها ممارسة خاطئة، تعبِّر عن فلسفة الذئب والحمل.

أرمينية واحدة من هذه الأقليات الاثنية والدينية والفكرية في محيطها الجغرافي، وعبر تعاقب تاريخها وتاريخ المنطقة في الشرقين الأدنى والأوسط. فالناظر إلى موقع أرمينية وسط شعوب متناقضة في تطلعاتها ومفاهيمها وأهدافها وانتماءاتها، يجد إلى أي مدى شكَّل هذا الموقع تاريخها ومصيرها.

فالمسألة الأرمنية، ما هي إلاّ مظهر من مظاهر المسألة المشرقية، متمثلة بالعناصر التالية:

أ - النهضة الثقافية والفكرية الأرمنية.

ب - موقع الاضطهاد لأقلية مسيحية داخل الامبراطورية العثمانية.

ج- نموذج عن الحركات القومية الرافضة لتسلط القومية التركية.

د - عدم قدرة الامبراطورية العثمانية على التعصرن أو التمدن.

هـ - تنافس القوى الأوروبية[١].

---

(١) - Anahide Ter Minassian, La Question Arménienne, OP, Cit, p. 76

التعددية داخل السلطنة العثمانية، شكلت واقعاً متفجراً، حاداً؛ لأن المخطط العثماني ظلَّ يهدف طيلة عهودها، إلى خنق واستئصال كل الأقليات وبخاصة المسيحية منها، من أرمنية وسريانية ويونانية، في مرحلة أولى. ثم عمدت إلى إضطهاد سائر الأقليات بغية خلق الامبراطورية الطورونية الجديدة والقائمة على العنصرية العرقية وعلى التعصب الطائفي والمذهبي. لقد أراد هؤلاء امبراطورية تركية ـ إسلامية بكل ما فيها ومن فيها.

رغم ذلك، فقد تواجدت مجموعات متعددة ومتباينة داخل حدود السلطنة وفي مداها الجغرافي. فشكلت بذلك فسيفساء (Une Mosaïque).

في الشكل يمكننا القول، إن الملايين من الأجناس والحضارات والثقافات واللغات والديانات المختلفة عاشت تحت حكم السلطنة العثمانية وعانت ما عانته! نذكر من هذه التعدديات: الأرمن وشعوب القوقاز في آسيا، اليونانيون والبلغار والرومان وجميع الشعوب السلاقية في أوروبا المسيحية، العرب المسلمون في سوريا والعراق ومصر وشمال افريقيا وجزء من الجزيرة العربية، والعثمانيون في الأناضول وأوروبا. لكن هذه التعددية، كما يؤكد جورج قرم، والتي طبعت العالم العثماني، لم تكن صيغة تعايش، أصولها في العدالة والاحترام، أي أنَّ الشعوب المحتلة في الدولة العثمانية لم ترتبط ببعضها بنظام شبه فدرالي يحق من خلاله لأية مجموعة المطالبة بالاستقلال الذاتي والثقافي[١].

---

(١) ـ جورج قرم، المرجع السابق، ص. ٩٦.

لقد أثبتت الوقائع التاريخية أنَّ الخرائط لا تعدلها أو تلغيها، غالباً، غير القبضة العسكرية والأعمال الحربية. لذلك، نفهم كثرة التحولات والتغيرات الجزئية والكلية في هذه الخرائط، والأدلة في الشرق كثيرة. إذاً لا يمكننا، فهم الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية لشعب ما، دون دراسة المدى الطبيعي والجغرافي الذي شكَّل الاطار المادي ـ الحتمي لوجود هذا الشعب وكيانه.

فأرمينية ولبنان، هما حقيقة، النموذجان الأكثر دلالة، بين سائر أقليات هذا الشرق. إن التمايز والتباين بين التعدديات أمرٌ بديهي أو مسلَّمة من المسلمات، فوق جغرافية واحدة وفي وطن واحد، أو فوق جغرافيات متداخلة في أوطان عديدة. إلى جانب هذه العناصر جميعها، لا يمكننا تجاهل أو إسقاط العامل الاقتصادي في لعبة التناحر أو التوافق (أحياناً قليلة)، ضد الأقليات أو معها.

نحن لا نقول ان الصراع ضد الأقليات والتعدديات، حافظ على حدته طيلة قرون متواصلة؛ غير أنه حالة دائمة وإن عرفت فسحات نسبية من المهادنة والسلام.

إن الجدلية قائمة ومعقدة بين كلِّ المتناقضات في الوجود، وهي تتعدى ذلك إلى كل الأجناس والكائنات؛ فهي قائمة في اللون والجنس والعرق والقوة والدين والثقافة الخ. من هنا، تثبت الجدلية بين العددية في أكثريتها وأقليتها، فتأخذ أبعاداً خارج إطار العقلانية الواعية، لتدخل أفق الصراعات والتناحر في حربٍ بدأت ولمَّا تتوقف بعد.

يؤكد التاريخ ان التعددية كانت تشهد انتكاساتها الخطيرة في ظروف كثيرة أهمها:

أ ـ إستلام السلطة من قبل قيادات متزمتة متعصبة ذات مصالح عرقية أو دينية.

ب ـ إرتباط هذه المجموعة أو تلك بمصالح خارجية غالباً ما تكون ضد تطلعات الدولة أو المجتمع الذي يضم مختلف هذه التعدديات[١].

ج ـ مطامع الدول الكبرى في الهيمنة والتوسع على حساب الدول الصغرى بغية إحتوائها وتذويبها.

إن العامل الثقافي والوعي الفكري، هما أيضاً معياران أساسيان في تحديد مصائر الأقليات ضمن مجتمعاتها وبيئاتها. هذا ما حولها طاقة إغناء وثروة، في أماكن معينة من العالم، كما حولها أيضاً إلى طاقة تفجر وتناحر في أماكن أخرى كثيرة.

في معظم المجتمعات الراقية والمؤمنة بحقوق الإنسان، لم تعد الأقليات والتعدديات موضع بحث أو مصدر قلق، بل على العكس، أصبحت تتباهى بتمايزها الذي يخلق في الوطن «فسيفساء» لا تكتمل وحدتها وتناسقها وروعتها إلاّ بتلاحم أجزائها مهما صغر حجمها أو كبر، ومهما إختلفت الألوان وتعددت الأشكال. أما في المجتمعات الأقل وعياً وثقافة، ستبقى التعدديات كما كانت مشاريع حروب وفتن، لن تنجب غير المآسي ولن ترسخ إلاّ البغض والكراهية.

حيال هذا الواقع تطالعنا الشواهد في كلِّ مكان من العالم وبخاصة في الشرقين الأدنى والأوسط، حيث دفع الأرمن ثمن العصبية التركية وتعصبهم الأعمى. عبر أجيال وأجيال وهذه

---

(١) ـ آفاق ملحق اسبوعي تصدره جريدة الحياة، يعنى بشؤون الثقافة والتراث، عدد ١١٧٦٥، الاثنين ٨ أيار ١٩٩٥، ص. ١١.

الأقليـات ـ التعـددية، تبقـى الضحية الأولـى لهـذه العقـول المريضة.

والحديث عن المسألة الأرمنية، يطرح حتماً مسائل أخرى، كالمسألة الكردية والفلسطينية الخ. فالأكراد مثلا، يرفضون تقسيم أرضهم بين تركيا والعراق وايران، فقد شتت الملايين منهم (١٢ أو ١٥ مليون كردي) في هذه البلدان، كما في سوريا وأرمينية السوفياتية.

كذا هو واقع الجزيرة القبرصية والجبهة التي أوجدتها تركيا بين الشمال والجنوب. مشكلة الأقليات، تبقى مطروحة كمشكلة أساسية، تفرض ذاتها على مسار الأحداث وعلى حدود وجغرافية بعض المجموعات والدول.

ونحن إذ نطرح المسألة في إطارها الانساني ـ الأخلاقي، نجد فيها مؤشراً واضحاً، على تخلّف الإنسان وانحطاطه في هذه المجتمعات المتناحرة، من مبدأ الأكبر والأقوى. فكيف يجوز أن تقاس المواقع والأدوار على أساس الكم؟!

صحيح أن للعدد فلسفته، غير أنها فلسفة لم تلامس جوهر الإنسان وحقيقة الخلق. فبين المثال والواقع تطرح الأقليات ذاتها محنة عقل وأخلاق، كما تشكل مادة تجاذب وتقاتل بين مختلف المحاور والدول. الأقليات، شكلت دائماً جوائز ترضية في لعبة السياسة الدولية، أو قل هي خارج المشكلة وفي عمق الحل. فالكبار يتقاتلون، والصغار يدفعون الثمن.

المشكلة إذاً، هي بين أقليات متواجدة وأكثرية تسعى إلى ضرب هذا التواجد والتخلص منه[١]. فحللت لنفسها، كل

---

(١) ـ Joseph Abou Jaoude: Les partis Politiques au Liban, Kaslik 1985, P.8.

الأساليب والطرق لتصفية حساباتها والقضاء عليها بشرعية القوة وشريعتها.

الأقليات عرقية كانت، أم دينية، تحدد بالقوة وبالفعل مصيرها وقدرها ووجودها. والأرمن لم يكونوا يوماً خارج هذه الدائرة، بل على العكس، فهم يمثلون النموذج الأهم بين النماذج التي جاءت تؤكد حقيقة الفرضيات المطروحة حول واقع الأقليات ومشكلتهم.

تعتبر العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية من الموضوعات الأساسية والأكثر حساسية، في تاريخ المنطقة الشرق ـ أوسطية وخارجها، بل هي الحلقة الضائعة في العلاقات الاسلامية ـ المسيحية عامة.

إن العلاقات الطوائفية، خاصة في المجتمعات ذات الغالبية الاسلامية، تشكل إحدى أبرز المسائل التي يقف عندها الباحث ـ المدقق حائراً متسائلاً عن جذورها وأبعادها وخلفياتها.

قديماً لعبت النزعة الدينية ـ التوفيقية، دور تطوير للأديان وعامل تمثيل ودمج للشعوب، قبل أن تعقبها النزعة الحصرية للديانات النبوية والتوحيدية، هذه النزعة التي ما أتت بحل نهائي للمشكلة، سوى الدمج القسري أو النبذ المطلق للعناصر التي لا تنتمي إلى الديانة الرسمية السائدة[١].

إن نزعة السيطرة والهيمنة وتذويب الأديان الأخرى سعياً إلى وحدانية الدين والمذهب تعيش في باطن كل فئة وإن تفاوتت حدتها وتبدلت غائيتها.

---

(١) ـ جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، بيروت دار النهار للنشر ١٩٧١، ص. ١٧٩.

وقد طبعت هذه النزعة المناخ العام الذي عاشت فيه معظم الأقليات والتعدديات في العالم العربي والاسلامي. فهل شكل الأرمن رقما مماثلا في هذا الواقع، ام خرجت بهم الممارسة عن القاعدة والمألوف؟.

الأرمن في قضيتهم الكبرى، هم غاية بحثنا وهي محوره.

بعد هذه الجولة السريعة في أفق التاريخ والجغرافية والقومية والتعددية التي أردناها توطئة ضرورية لفهم أبعاد البحث وعمق العلاقات التي قاربت أو باعدت بين الأرمن والمسلمين عبر تاريخهم الطويل المتعرج؛ ندخل فوراً في عمق البحث وديناميته، من خلال الفصلين الثاني والثالث، حيث نحاول فيهما وضع كامل الفرضيات على بساط المعاينة العلمية، هادفين إلى وضع القضية الأرمنية في جانبها الاسلامي ضمن إطارها الموضوعي ـ المتجرد.

كيف كانت صورة العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية؟ وما هي منطلقاتها، أبعادها وخلفياتها؟!

الفصل الثاني

المسلمون العرب والأرمن
(من الفتح الاسلامي حتى القرن العشرين)

القسـم الأول: المسلمـون والأرمـن مـن الفتـح العربي حتى قيام الدولة الأموية

I ـ تأريخ الوقائع وجذور المشكلة:

إختلفت المصادر والمراجع، على ندرتها ومصداقيتها، في تحديد الأطر الموضوعية الصحيحة لأبعاد وخلفيات هذه العلاقة التي فرضتها ظروف التواصل والتلاقي بين المسلمين العرب والشعوب الأرمنية.

إنها المشكلة الأساس أمام الباحثين، إذ تفتقر هذه الحقبة إلى تأريخ سليم ـ متجرد. وقد أدركنا تماماً أن العديد من المؤرخين، كي لا نقول معظمهم، سجلوا الحدث من خلفية موقعهم وانتمائهم، لا بما تفرضه الأمانة والعلم. لذلك وجدنا أنفسنا خلال بحثنا هذا، أمام تباعد كبير في النظرة والتحليل، وأحياناً أمام تناقض واضح في الحدث نفسه.

بعضهم وصف هذه العلاقات الاسلامية العربية ـ الأرمنية بالممتازة وبأنها شهر عسل دائم، البعض الآخر إعتبرها مقبولة وغيرهم نعتها بالسيئة والعدوانية. فما هي حقيقة الواقع؟ وما هي حدود هذه العلاقة، أبعادها وخلفياتها؟

إن العديد من البحاثة في التاريخ الاسلامي والعربي، إعتمدوا على المصادر الأرمنية نفسها، لأنها إعتبرت الأكثر علمية بين المصادر المتوافرة. فالدكتور فايز نجيب إسكندر[١]، الذي نذر نفسه للبحث عن الحقيقة والتنقيب في دفائن التاريخ وحضارات الشعوب، يكشف النقاب عن حقائق كثيرة[٢]. بالاستناد إلى كتابات المؤرخ الأرمني «سيبيوس» الذي عاصر وعاين الفتوحات الاسلامية الأولى لبلاده، يقدم فايز إسكندر، صورة مشرقة عن الفترة الممتدة بين ١١ و ٤٠ للهجرة/ ٦٣٢ و ٦٦١ للميلاد. وما إعتماد المسلمين، في هذه الحقبة، على مؤرخي الأرمن وغيرهم من المسيحيين، إلاّ لأنهم جهلوا التدوين التاريخي حتى العصر العباسي، فكانوا يعتمدون في البداية على الرواية الشفوية، فتاريخ المسلمين الأول، هو عبارة عن وقائع وأيام وفتوحات، محفوظاً في الذاكرة، يرددونه على ألسنتهم وفي أخبارهم. وحقيقة الأمر، ان المصادر الأرمنية أولت هذه الفتوحات الاسلامية الأهمية التي تستحق في مجال التدوين والتأريخ، في حين أهملتها المصادر البيزنطية.

و «سيبيوس» الذي كان شاهد عصره ومراقب أحداثه، خصوصاً في هذه الحقبة من تاريخ الفتوحات الاسلامية، يحتل مكانة مرموقة، كونه قدم خدمات جلى لوطنه أرمينية. وقد حظي مؤلفه «هرقل» باهتمام جميع الباحثين ـ المؤرخين، على

---

(١) ـ استاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعات مصر وصنعاء باليمن، وأحد أهم البحاثة المعاصرين في التاريخ الاسلامي والعربي.

(٢) ـ طاهر مصطفى، صفحة من تاريخ الفتوحات الإسلامية لمؤرخ أرمني عاصر أحداثها مباشرة، جريدة الحياة، السبت ٣ كانون الأول ١٩٩٤، عدد ١١٦١٢، ص. ٢٠.

إختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم، نظراً لدقة تصويره لمجمل أحداث عصره، الذي عانى من التحولات والتقلبات الكثيرة والكبيرة؛ الأمر الذي جعل منه مرجعاً رئيساً يستقى منه الجميع، وسجلاً تاريخياً أصيلاً، لذلك تمت ترجمته إلى لغات كثيرة[1].

لقد أرّخ «سيبيوس» من أواخر القرن الخامس وصولاً إلى إنفراد معاوية بالحكم عام ٦٦١ م.

أما المشكلة الاسلامية ـ الأرمنية في أبعادها وجذورها، لم تكن يوماً في التعددية، كجوهر وعمق إنساني، على إختلافها دينية كانت، أم عرقية، أم حزبية، لكن المشكلة كل المشكلة كانت ولا تزال في معتقداتنا وسلوكيتنا وممارستنا الهادفة أبداً إلى نزعة التسلّط والاستئثار. المشكلة، إذاً، ليست في الدين، بل في إستغلال هذا الدين أو ذاك، لأغراض وشهوات القيِّمين عليه أو لمصالح الحكّام والمسؤولين؛ وشعارهم دائماً: «نحن أو لا أحد».

فمن هذه المسلمات وغيرها، تفاعلت علاقات المسلمين بالأرمن، وتفاوتت حدتها بين قومية وأخرى... فما هي الصورة الحقيقية لهذه العلاقات، عبر عهود العرب، فتوحاتهم ومعاهداتهم في كلِّ ما لها وما عليها؟...

II ـ خلفاء المسلمين وفتح أرمينية (٦٤٠ ـ ٦٦١ م): متغيرات وثوابت:

١ ـ أرمينية في قبضة المسلمين العرب لأول مرة:

إن ظهور الاسلام وما تلاه من فتح العرب للأقاليم البيزنطية

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٠.

في سوريا وفلسطين من جهة (في معركتي أجنادين ٦٣٤ م، واليرموك ٦٣٦م)، وكذلك الامبراطورية الفارسية الساسانية من جهة أخرى (في معركتي القادسية ٦٣٦ م. ونهاوند ٦٤٠ م)، قد ترتب عليه تغيير في مصائر الشعب الأرمني إلى درجة كبيرة، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أن الجيش الفارسي كان يضم في معركة القادسية وحدات من نبلاء الأرمن الاقطاعيين: ٣٠٠٠ رجل تحت إمرة واحد منهم، هو «موشيغ ماميكونيان» و ١٠٠٠ رجل آخرين تحت إمرة أرمني آخر يدعى «غريغور السيوني»[١].

خضعت أرمينية للدولة الاسلامية، ثم أنشأت تحت رعايتها أو بعيداً عن سيادتها، ممالك أرمنية شبه مستقلة، كان أبرزها المملكة البجراطية.

رغم تناقض الوقائع التاريخية، إلاّ أن بعض المراجع تؤكد، أن الغارات الاسلامية الأولى وقعت حوالي ٦٣٩ ـ ٦٤٠ م. في مقاطعتي (جولتن) بمنطقة (جولفا). ويرسم Grousset، خط سير الحملات الاسلامية، فيذكر انها عبرت نهر الرس (Arax)، وفي ٦ تشرين الأول ٦٤٢ م دخل المسلمون مدينة «دوين Dwin» (عاصمة بلاد أرمينية) واستولوا عليها، ولم يغادروها إلاّ ومعهم غنائم هائلة، ونحو ٣٥,٠٠٠ ألف أسير[٢].

وهكذا إنتهى التجاذب الفارسي ـ الروماني لأرمينية، إثر الفتح العربي وسقوط المملكة الفارسية عام ٦٤٢، حيث إنضمت أرمينية إلى الخلافة العربية الاسلامية[٣].

(١) ـ الدكتور صابر محمد دياب حسين، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة بالخرطوم: أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية ـ مصر (١٣٩٨ هـ. /١٩٧٨ م)، ص. ١٩.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٢.

(٣) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ٣٤.

كذلك تؤكد الوقائع، أن الفتح الاسلامي ـ العربي لأرمينية، تمَّ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ثاني الخلفاء)، فكانت الحملة الأولى عام ٦٤٠ م. بقيادة «عياض بن غنم الأشعري»، فتوغلت في الأراضي الأرمنية حتى وصلت مدينة (بتليس)، ثم توغلت أكثر في عمق البلاد، حيث جبت الجزية وعادت إلى سوريا.

ثم جيَّش هذا الخليفة حملته الثانية عام ٦٤٢ م، ضد أرمينية إنتهت هذه الحملة بتوافق على جزية معينة. وفي العام ٦٥٣ م، وقعت بين الطرفين معاهدة، جاء في أهم بنودها ما يلي:

أ ـ تعفي الدولة العربية أرمينية من الجزية مدة ثلاث سنوات.

ب ـ على الأرمن بعد مرور الثلاث سنوات أن يدفعوا الجزية للدولة العربية بدمشق.

ج ـ يحق لأرمينية أن يكون لها جيش مؤلف من خمسة عشر ألف فارس ينفق عليه الأرمن من حساب الجزية.

د ـ لا يدعى هذا الجيش للعمل في بلاد الشام.

هـ ـ على الجيش الأرمني كحليف للدولة العربية أن يحارب إلى جانبها ضد الاعتداء عليها من الخارج.

و ـ إن الجيش الأرمني يكون صاحباً لقلاعه دون أي تدخل أجنبي.

ز ـ ان الدولة العربية تتعهد حماية أرمينية وحدودها ضد هجمات العدو وبنوع خاص ضد هجمات الروم[1].

هذه المعاهدة أثارت غضب بيزنطية، ولمّا لم توفّق هذه

---

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢ م ٤، بيروت ١٩٨٨، ص. ١٩٧ و ١٩٨.

الأخيرة إلى اقناع الأرمن بالغائها، مقابل تأمين الحماية لهم، بدأت سلسلة الحروب في عهد الامبراطور «كونستانس الثاني» الذي دخل أرمينية بجيش جرَّار.

ولكن ما يهمنا من كل هذا، هو أبعاد وخلفيات الغزو الاسلامي لأرمينية.

٢ ـ ماذا في ثوابت الغزو الاسلامي لأرمينية ومتغيراته؟:

في هذا السياق نقتطع بعضاً من رسالة «عياش بن غنم الأشعري»[١] التي أرسلها إلى الخليفة عمر بن الخطاب، يصف له فيها الانجازات التي حققها إثر غزوه لأرمينية، وهذا أهم ما جاء فيها:

«. . . أما بعد، سلام الله عليك ورحمته وبركاته، فانني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فالحمد لله الذي أيد الإسلام بنصره وأدحض الشرك بقهره (المسيحيين)، ولله الحمد على ما أولى ومنح، وأزال وكشف، ورفع وصرف من عظائم، وأخذ من غنائم. . . وإنهم إحتالوا وخايلوا، وداهنوا وأرسلوا، وأظهروا البعد عن الآثام، والدخول في الاسلام. . . »[٢].

إنها حرب المؤمنين ضد المشركين، حرب السبي والمغانم، هكذا يؤكد بوضوح أول قائد مسلم يغزي أرمينية، كما يؤكد أيضاً تمسك الشعب الأرمني بمسيحيته حتى في أحلك الظروف وأصعبها ولو إقتضى الأمر خدعة أو مداهنة.

---

(١) ـ أول قائد مسلم يغزي أرمينية.

(٢) ـ صابر محمد دياب حسين، المرجع السابق، ص. ٢٣.

أما حملة المسلمين الثانية[1] على أرمينية فكانت حوالي ٦٤٢ م، ولم تبتعد بأهدافها عن الحملة السابقة. لكنها لقيت مقاومة عنيفة في جميع جبهات أرمينية، حيث فشلت هذه الحملة.

غير أن الدولة العربية ـ الاسلامية صممت على المضي في تنفيذ خطتها إزاء أرمينية. وبالفعل تمكن المسلمون في ١٠ آب ٦٤٢ م من الاستيلاء على مدينة «أردزاب» في أرمينية، وقتل في هذه العملية الكثير من قوات الأرمن. لكن «ثيودور الرشتوني» أمكنه في اليوم التالي من مفاجأة القوة الاسلامية الموجودة في المدينة «أردزاب» واسترد ما معها من غنائم وأسلاب[2].

يعتبر عهد الخلفاء الراشدين[3]، وبخاصة عهد عمر بن الخطاب، المحطة الرئيسة التي رسمت نهج المسلمين حيال أهل الكتاب والمسيحيين عامة والأرمن خاصة. عهد الخليفة عمر، يعتبر العهد الأكثر عدائية ـ بين كل العهود ـ في مواجهة المشركين وأهل الكتاب. ألا يكفي هذا العهد، انه واضع الشريعة العمرية الشهيرة، التي تحدد السلوكية الجائرة الواجب انتهاجها في مواجهة كلٍّ من هو غير مسلم؟!

هذه الشريعة، خلقت عند المسيحيين خاصة، وضعاً نفسياً قلقاً ودائم الحساسية نحو المسلمين. ومرد ذلك إلى المفاضلة التي تضع المسلم في مرتبة فوق كلٍّ من هو غير مسلم. «أنتم خير أمة أخرجت للناس».

---

(١) ـ قاد هذه الحملة إثنان هما: حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٤ و ٢٥ و ٢٦.

(٣) ـ عهد الخلفاء الراشدين (٦٤٠ ـ ٦٦٠ ميلادية).

إن المفاضلة على أساس الدين، وتصنيف الشعوب مراتب ودرجات، هي التي كانت ولا تزال من أهم عوامل التوتر والتباعد وهي التي خلقت المناخ الملائم لنمو مركبات نقص ومركبات عظمة بين الطوائف والأديان. عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، خلق سابقة خطرة في التعاطي الانساني وكرَّس الطلاق المجتمعي بين التعدديات على إختلافها وتنوعها.

المسألة المسيحية ـ الاسلامية تمتد جذورها إذاً، إلى زمن الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية الأولى. ومسألة الجهاد، الحرب المقدسة، ضد الأمم العدوة للمسلمين، تعتبر العنصر الأكثر حساسية والأكثر قدرة على تأزم الأوضاع وتفجرها[١]. وأرمينية التي إعتنقت المسيحية، منذ عهودها الأولى، وكرَّستها ديناً رسمياً لدولتها عام ٣٠١ م[٢]، دفعت الثمن باهظاً وعلى يد الجميع وبخاصة على يد الفرس والسلاجقة والأتراك والعرب والبيزنطيين أيضاً.

تجدر الإشارة، إلى أن أولوية هذه الأسباب تفاوتت بين شعب وشعب وبين مرحلة ومرحلة وبين خليفة وخليفة.

غير أن السبب الدائم والثابت للجميع، كان أرض أرمينية وثرواتها. ففي هذا المجال يقول فايز نجيب إسكندر نقلاً عن المؤرخ الأرمني «أريستاكيس اللستيفرتي» ما يلي:

---

(١) ـ Edmond Rabbath, La Formation Historique du Liban Politique et Constitutionnel, Beyrouth 1973, P. 240

(٢) ـ أرمينية الدولة الأولى في العالم التي إعتمدت المسيحية ديناً رسمياً لها.

. . . ولا شك أن الموقع الجغرافي لأرمينية، وأهميتها التجارية، وازدهارها الاقتصادي بسبب كثرة مواردها الطبيعية، وثرائها الفاحش، كل هذا كان له عواقبه الوخيمة على الشعب الأرمني. إذ أن بلاده أصبحت عرضة لأطماع كل من الفرس والبيزنطيين والمسلمين والسلاجقة الخ. كذلك أسهم إلى حدٍ بعيد في إضفاء قدر كبير من الأهمية على تلك الدولة الحاجزة (Etat Tampon) بين المسلمين والبيزنطيين والتي قدِّر لها أن تلعب دوراً عظيماً على مسرح أحداث العصر الوسيط، وخاصة في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد[١].

أصبح من المؤكد، أن موقع أرمينية واستراتيجية جغرافيتها وثرواتها الطبيعية والبشرية ومعتقدها، شكلت جميعاً الدوافع الرئيسة لكل الدول والشعوب المعتدية على كيانها ووجودها أرضاً وشعباً، منذ ما قبل التاريخ وحتى اليوم.

لقد حفلت الفترة (٦٤٠ م. إلى ٦٤٦م.) بالعديد من الحملات الاسلامية التي تواترت على البلاد الأرمنية. ورغم تضارب المعلومات وتباينها حول هذه الفترة، إلاّ أن الحملات العربية ـ الاسلامية إنتهت بإبرام إتفاقية بين ممثلي الأرمن والمسلمين، تعهد الأرمن بموجبها أن يدفعوا للمسلمين فدية سنوية رمزية مقدارها ٥٠٠ دينار من الفضة ضماناً لهم وللحفاظ

---

(١) ـ مؤرخو الأرمن في العصور الوسطى ـ ٢ ـ أريستاكيس اللستيفري، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة (١٠٠٠ ـ ١٠٧١ م./ ٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ.) في مصنف أريستاكيس. دكتور فايز نجيب إسكندر، مدرِّس تاريخ العصور الوسطى في جامعتي الزقازيق والقسطنطينية، ١٩٨٣، ص. ١٧ ـ ١٨.

على استقلالهم أمام كلٍّ من البيزنطيين والمسلمين على حد سواء[1].

وهكذا نجد، انه بالرغم من غنى التراث القرآني، تبقى واضحة تماماً الحدود الثابتة التي عينها النبي للتعددية والتسامح[2].

الأرمن كغيرهم من الأقليات التي عانت الاضطهاد بسبب العرق والدين والتمايز. فهذه الاضطهادات فارسية كانت أم تركية أم بيزنطية أم عربية، شكلت جميعها الجانب الأهم في تاريخ هذا الشعب.

وحقيقة الأمر، أن أرمينية دخلت دائرة التجاذب الإقليمي والدولي منذ أمدٍ طويل. وقد ضاع إستقلالها عملياً يوم وقعت بيزنطية والساسانيون معاهدة السلام بينهما عام ٣٨٧ م. هذه المعاهدة كرست إنفصال أرمينية نهائياً وحتى القرن الحالي إلى دولتين، الحقت الأولى (الساسانية) بهؤلاء أولاً، ثم بالعرب، ومن بعدهم بالسلاجقة الأتراك، ثم المغول، فالعثمانيين، فالفرس، ثم الروس القيصريين، والأتراك.

أما الدولة الأرمنية الثانية، فخضعت أولاً لبيزنطية، ثم للمغول، وبعدهم الفرس (الإيرانيين)، ثم العثمانيين، وأخيراً الروس القيصريين. وهكذا...[3].

فعام ٤٥١ م. أرمينية تخوض أولى حروبها الدينية ضد الفرس الساسانيين، الذين سعوا بكل قوة إلى تذويب الأرمن في مجتمع إيران وخاصة عبر معتقداتهم «المازدية MAZDAISM»

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ١٦، ١٧، ١٨.

(٢) ـ جورج قرم، المرجع السابق، ص. ٢١١.

(٣) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص. ١٨٦.

أما المعركة الحاسمة ضد الوثنية (الفرس) كانت في سهل «أفارايز AVARAYR» يوم ٢٦ أيار عام ٤٥١ م.

وفي ليلة المعركة سهر المقاتلون الأرمن، ثم تلقوا القربان المقدس، وتمَّ تعميد من كان بحاجة إلى ذلك. وانتهت المعركة بهزيمة الأرمن وقتل قائدهم «وارطان» بعد إنسحاب احدى الفرق الأرمنية من المعركة، بقيادة الأرمني المرتد إلى الوثنية، «واساك سوني»[1].

ظهر العرب على مسرح التاريخ كامبراطورية جديدة أواخر القرن السابع للميلاد. فدكوا الامبراطورية الفارسية وهددوا الامبراطورية البيزنطية بحروب طاحنة ومستمرة. وبطبيعة الحال، أمام هذا السيل الجارف، المتحمس للاسلام والمتعطش إلى كلِّ مواطن الحضارة والثروة، كان لا بدَّ لأرمينية من أن تكون ضحية ما يلي:

أ ـ إستراتيجية موقعها وجغرافيتها.
ب ـ ثرواتها الطبيعية والبشرية.
ج ـ قدرات شعبها في ترجيح الأعمال العسكرية.
د ـ دينها ومعتقداتها المسيحية، التي سجلت بهما سبقاً دولياً.
هـ ـ مشكلة الأقليات.

---

(١) ـ يعتبر الأرمن أن هذه الموقعة مقدّسة وهم يحتفلون بها حتى الآن. كما خلدوا جميع شهدائها وحفروا أسماءهم في الكنائس. المرجع نفسه ص. ١٨٨. كان قد استشهد في هذه المعركة إلى جانب القائد وارطان الأول واميكونيان، حوالي الف جندي أرمني، ثم أخوه «همایاك» ثم «هوسيب الأول» والقديس «ليڤون». راجع سمير عربش المرجع السابق، ص. ٣٣.

أما الذي سهّل كثيراً، سقوطها بين أيدي الجميع وتناوب القاصي والداني عليها وإنتهاك حرماتها ومقدساتها وسيادتها، كان المرض الأكثر فتكاً، عنيت به التفكك الداخلي والصراع على السلطة[١].

صحيح أن الشعب الأرمني، موهوب بخصائص كثيرة وبخصال قتالية إستثنائية، ولكن المؤسف هو تواجده على مفصل كبار الامبراطوريات المتخاصمة، وغالباً الممزقة بفتن وإنشقاقات داخلية وحروب أهلية، والمصابة بمرض العظمة والتسلّط والتوسع، الأمر الذي جعل الشعب الأرمني، يحيا مصيراً دائم التقلب وغالباً مأساوياً ودمويا[٢].

والفتوحات الاسلامية، إضافة إلى أولوية الجهاد المقدس[٣] فيها، لم تغب أبداً عن حقيقة هذا التوجه المادي والسلطوي.

والقائل، أن هذه الفتوحات الاسلامية، كانت كلها في سبيل الدين، أو كلها في سبيل الغزو وما يتبعه، فهو لم يصب كامل الحقيقة، لأنها مزيج من كل هذا.

إن عهود الخلفاء الراشدين[٤]، كانت سلسلة طويلة من الجهاد، بغية توطيد أساسات الاسلام وركائزه. فنالت أرمينية،

---

(١) ـ لنا عودة في سياق البحث، إلى هذا الموضوع في اطار الصراع الأرمني ـ الأرمني.

(٢) ـ Encyclopedia Universales, Vol 2, P.429.

(٣) ـ الجهاد المقدّس، هو حروب في سبيل الدين أو حروب دينية وقد أضيف هذا المفهوم إلى ركائز الإسلام الخمس.

(٤) ـ أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

نصيبها من هذه الفتوحات الاسلامية ـ العربية في فترتها الأولى، كما في فتراتها اللاحقة.

لكن العلاقة الأرمنية ـ الاسلامية في زمن الخلفاء، لم تكن على وتيرة واحدة، فهي متقلبة صعوداً وهبوطاً. بحيث شهدت فسحات من الهدوء والاستقرار والاستقلال؛ إلى جانب غزوات مدمرة، حفلت بالنهب والسلب والسبي.

غير أن تاريخ الفتح الاسلامي لأرمينية، يحيطه الكثير من الغموض والابهام في كثير من جوانبه وتفاصيله[١]، خصوصاً أن الكثير من المصادر العربية تتناقض مع المصادر الأرمنية. لكن هذه المصادر تؤكد بغالبيتها، أن الفتوحات الاسلامية لأرمينية والتي بدأت في خلافة عمر بن الخطاب، لم تنقطع في العهود اللاحقة، خصوصاً في عهد عثمان بن عفان (ثالث الخلفاء)، حيث كثرت المحاولات لفتحها. فقد سجلت في هذا العهد أعنف الحملات وأشرسها[٢] وذلك بين نهاية ٦٤٥ م وبداية ٦٤٦ م، استطاعت أن تُخضِع أرمينية للمسلمين، كما يؤكد ذلك المؤرخون والجغرافيون العرب أنفسهم[٣].

ويروي «Grousset» نقلاً عن «Sebeos»: أن المسلمين وخلال أحداث ٦٤٥ م، و ٦٤٦ م، شنوا حملاتهم التي بدأت من أذربيجان، ثم راحوا ينهبون البلاد في أراراط وفي إقليم سيبا.. لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على «يريڤان». بعدها

---

(١) ـ الدكتور صابر محمد دياب حسين، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر ١٩٧٨ م، ص. ٢٠.

(٢) ـ كانت هذه الحملة بقيادة سلمان بن ربيعة، قوامها ١٢ ألف مقاتل.

(٣) ـ الدكتور صابر محمد دياب حسين، المرجع السابق، ص. ٢٦.

حصلت موقعة كبيرة، بين الجيش البيزنطي[1] وبين الجيوش العربية، داخل أرمينية نفسها، إنتصر فيها المسلمون على الروم والأرمن ومن عاونهم من المرتزقة.

الجيوش الاسلامية ـ العربية، عرفت بعض قوتها ولحمتها زمن عثمان بن عفان، حيث إستمر زحفها إلى كيليكيا ثم إلى خلاط وتفليس وسائر المدن والحصون التي سقطت بالتوافق أو الاستسلام، مقابل شروط غالباً ما كانت قاسية وموجعة.

وفي هذا الاطار، نورد أهم ما جاء في كتاب الصلح الذي بعث به حبيب بن مسلمة[2]، إلى أهل تفليس وفيه يؤمِّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ويشترط عليهم الجزية والخراج.

ماذا في هذا الكتاب؟

«. . . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس، بالأمان على أنفسهم وبيعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم، على إقرار بالصغار (أي الاعتراف بالسيادة الاسلامية والخضوع لها) والجزية، على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية... ولنا نصيحتكم وضلعكم (مؤازرتكم) على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم، وقرى (إكرام وإيواء) المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن إنقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم اداؤه (إيصاله أو تسليمه) إلى أدنى فئة (حامية) من المؤمنين (المسلمين) إلاّ أن يحال دونهم. وأن

---

(١) ـ وعدده ثمانون ألفاً.

(٢) ـ قائد الجيوش المسلمة، الذي أرسله عثمان بن عفان في حملاتهم على أرمينية.

أنبتم وأقمتم الصلاة فاخواننا في الدين، وإلاّ فالجزية عليكم، وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك . . . هذا لكم وهذا عليكم ـ شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا . . . »[1] .

ثم تلاحقت الغزوات الاسلامية في أرمينية والمناطق المحيطة بها، فتوجه حبيب بن مسلمة نحو الجنوب الشرقي تجاه بحيرة «أرجيش»، ثم نحو عاصمة أرمينية الفارسية «دبيل»، حيث استولى عليها وعقد مع «بطريقها» صلحاً جاء فيه :

« . . . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم (حاضرهم) وغائبهم. إني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج . . . شهد الله وكفى بالله شهيداً»[2] .

وعلى غرار رسائل الأمان والصلح هذه، كتب حبيب بن مسلمة إلى سائر القرى والمدن ومنها «جرزان وبرذعة»[3] . وحقيقة الأمر أن الذي فتح مدينة «برذعة» هو سلمان بن ربيعة الباهلي في خلافة عثمان بن عفان. ثم صالح أهلها بعد فتحها رغم مقاومتهم العنيفة لقوات المسلمين[4] .

---

(١) ـ المرجع نفسه ص. ٢٩ .

(٢) ـ المرجع نفسه ص. ٣٠ .

(٣) ـ مدينة برذعة إسمها في اللغة الأرمنية بتراف، وكانت فيما مضى من أكبر مدن القوقاز وهي الآن عبارة عن قرية ومجموعة من الخرائب على نهر Terter .

(٤) ـ البلاذرى: فتوح ٢٤٢ دائرة المعارف، ٦٤٣/١، المرجع نفسه ص. ٣٠ .

إن طفرة الفتوحات الاسلامية، تعود في عمقها وأصلها إلى مفاهيم رسم أطرها النبي محمد وتهدف إلى فرض الاسلام ونشره، وهو ما عرف ولا يزال يعرف بفكرة عالمية الاسلام، شموليته وأحاديثه. إنها وصية الرسول، التي عمل خلفاؤه وولاته وقادته على تنفيذها بكل دقة وأمانة.

من هنا تظهر بوضوح إستراتيجية المسلمين وتعاطيهم السياسي والمجتمعي. وحقيقة الأمر، أن الفتوحات الاسلامية جميعها، لأرمينية، لم تغب عن هذه المسلمات التي دمجت في كلية متكاملة الدين والدنيا.

غير أن الفتوحات العربية الاسلامية لأرمينية، زمن الخلفاء الراشدين، كانت أكثر اعتدالاً ورحمة، إذا ما قيست بالفتوحات الاسلامية لها، زمن العباسيين وفي العهود التركية على إختلافها.

والواقع أن المسلمين تمكنوا من بسط سلطانهم على بعض المناطق الأرمنية، في الحقبة الأولى، ومنها أودية نهر الرس والفرات. لكنَّ العرب هادنوا وعقدوا الصلح؛ حيث واجهتهم المقاومة الأرمنية العنيفة، خصوصاً في مناطق تفليس والمناطق الجبلية الوعرة.

أما العنصر الأكثر أهمية في توجيه سير المعارك الأرمنية ـ الاسلامية، هو تجاهل بيزنطية لكل إلتزاماتها تجاه الشعب الأرمني ووقوفها موقفاً سلبياً من المعارك الاسلامية ـ الأرمنية، الأمر الذي أعطى حرية الحركة لجيوش الخلفاء وبخاصة جيوش عثمان بن عفان وولاته.

نؤكد القول، أن الخلاف واضح بين الروايات العربية والأرمنية في تفاصيل الحملات الاسلامية وتواريخها على

أرمينية. والمقارن بين كتابات «سيبيوس» و «البلاذري» يلمس التباين بينهمـا.

لكننا نثبت الحقائق التالية:

١ ـ المعـاملـة الاسـلاميـة لـلأرمـن، كـي لا نقـول العـلاقـات الاسلامية ـ الأرمنية، زمن الخلفاء الراشدين، لم تأتِ بسياسة واحدة ثابتة. فقد تراوحت بين أقصى الايجابية وأقصى السلبية.

٢ ـ عرفت فسحات لا بأس بها، من الاستقرار والطمأنينية والتحالف الناتجة عن خسارة معارك ومواقع، أو عن مقاومة أرمنية شرسة.

٣ ـ غير أن أرمينية، نتيجة لمعاهدات الصلح بينها وبين العرب المسلمين، دفعت من حكمها الذاتي وخسرت الكثير من إستقلالها وذلك خلافاً لما يذكره بعض المؤرخين ومنهم الدكتور صابر محمد دياب حسين (كلية الآداب ـ جامعة القاهرة بالخرطوم)، حيث يصف المعاهدة التي فرضها العرب على الأرمن؛ بشخص قائدهم الجنرال «ثيودور الرشتوني»، بقوله:

ـ «... وهكذا كانت المعاهدة ـ على ما يبدو منها ـ ليس فيها أي حيف أو إجحاف من العرب على الأرمن...»[1].

والدارس لبنود هذه المعاهدة وغيرها، يجد خلاف ذلك، بحيث انتهكت السيادة الأرمنية رغم ما قيل عن إعتراف العرب باستقلال الأقاليم الأرمنية والدليل ما جاء في المعاهدة عينها:

(١) ـ المرجع السابق، ص. ٣٢.

أ ـ أن يعترف العرب باستقلال الأقاليم الأرمنية.

ب ـ يسلم الأرمن بسيادة العرب عليهم بنفس الشروط التي سبق للفرس أن مارسوا بها سيادتهم على أرمينية.

ج ـ يعين العرب حاكماً عاماً على أرمينية(١).

د ـ تعبيء أرمينية وحدة من فرسانها وتضعها تحت تصرف العرب لتقاتل في خدمتهم (وكان عدد هذه الوحدة ١٥ ألف جندي)(٢).

٤ ـ ضعف المنعة الأرمنية وتماسكهم، كان العامل الأكثر أهمية في التغيرات والتحولات السياسية والعسكرية في تاريخ الأرمن منذ آلاف السنين وحتى اليوم. وهذا ما ساعد المسلمين من عرب وغيرهم، كما ساعد كل أعدائهم شرقاً وغرباً. وفي هذا المجال يقول سيديو: «بعد إخضاع بلاد ما بين النهرين، هاجم العرب أرمينية ولكنهم وجدوا في هذا البلد ذي الجبال السامقة، شعباً شديد المراس إحتفظ بنوع من الاستقلال بين جيرانه الأقوياء، ولما كان الأرمن قد اعتادوا تولي الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم، فانهم صمدوا لجيوش الفاتحين المسلمين، وربما كان في مقدورهم صدهم، لو أنهم (أي الأرمن) كانوا أكثر اتحاداً»(٣).

وهكذا نجد ان «سيديو» يلخص بهذه الكلمات الكثير الكثير من خصائص الشعب الأرمني وطبيعة أرضه التي ساهمت إلى حدٍ ما، في حمايته والدفاع عنه، كما صور جانباً من واقعه

---

(١) ـ وكان هذا الحاكم هو ثيودور الرشتوني.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٢.

(٣) ـ Le Sedillot: Hitoire Générale des arabes, Paris, 1854, P. 113, Cf Dr, Saber Mouhammad Houssayn, OP. Cit, P. 33.

السياسي، في ضعف الوحدة الداخلية وسط محيط طامع وقوي. ومن هنا ظلت أرمينية طوال عصورها عرضة لتحديات كثيرة وخطيرة.

إلى جانب ذلك، نسجِّل إفادة العرب من الخلافات البيزنطية ـ الأرمنية، التي تفاقمت خصوصاً في الأعوام ٦٥٣ ـ ٦٥٤، عندما عزل الامبراطور البيزنطي الحاكم الأرمني ثيودور الرشتوني، الأمر الذي أتاح للعرب فرصة الانتصار على الطرفين معاً[١].

ظلت أرمينية، طيلة عهد عثمان بن عفان، تدفع الفدية السنوية للمسلمين، مقابل ضمان شبه إستقلالٍ لها وحمايتها من الروم أو إعتبارها محمية عربية، كما قال هذا الخليفة نفسه في إنذاره إلى الامبراطور البيزنطي «كنسطانز» بأن أرمينية محمية عربية ومحظور دخولها.

ولكن القلاقل والفتن التي حصلت داخل الدولة الاسلامية والتي توجت بمصرع الخليفة عثمان بن عفان في ٣١ أيار ٦٥٦ م، حتمت وجود تحالفات جديدة وتحولات في السياسة العربية، كان لها أثرها الكبير على وضع أرمينية وسياستها داخلياً وخارجياً.

هذه التطورات الدراماتيكية الاسلامية، أرغمت معاوية على سحب القوات الاسلامية المرابطة داخل أرمينية، بغية تدعيم موقفه في مواجهة الإمام علي بن أبي طالب[٢]. وبذلك خلت

(١) ـ كان ذلك زمن الخليفة عثمان بن عفان.

(٢) ـ الصراعات الدامية بين الأمويين والإمام علي بن أبي طالب، تركت بصماتها الرئيسة، ليس فقط في تاريخ الشيعة ولكن في تاريخ المسلمين عامة.

آرمينية من وجود حامية إسلامية، الأمر الذي قلّص النفوذ الاسلامي وأعاد مكانة بيزنطية اليها[1].

إستمر الوضع على ما هو عليه، إلى أن إستأثر معاوية بالخلافة عام ٦٦١ م. عندها دخلت العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية مرحلة جديدة، سنحاول الوقوف عل أهم خفاياها وخلفياتها.

---

(١) ـ دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٦٤٤ مادة أرمينية بقلم... Sterck، راجع جابر محمد حسين، المرجع السابق، ص. ٣٧.

القسم الثاني: المسلمون والأرمن في الدولة الأموية:

إستأثر معاوية بالخلافة عام ٦٦١ م. فحوّل الحكم فيها وراثياً محصوراً في سلالته، واستمر ذلك حتى سقوط دولتهم عام ٧٤٩ م. خلال هذه الحقبة، حدثت تطورات على جانب كبير من الأهمية، عربياً واسلامياً، كما على صعيد العلاقات مع مختلف المجتمعات غير المسلمة خارج نطاق الدولة الاسلامية وفي مقدمهم الشعب الأرمني.

ماذا في العلاقات الأموية الأرمنية؟

I ـ ايجابيات هذه الحقبة:

مرت العلاقات العربية الأرمنية خلال حكم بني أمية، بتغيرات وتقلبات كثيرة تراوحت بين التحالف والمهادنة حيناً وبين التهور والتوتر والتدهور أحياناً أخرى.

يعتبر عهد بني أمية، من حيث العلاقة مع الأرمن، عهد إمتداد للخلفاء الراشدين مع بعض الفوارق التي نوردها في سياق البحث.

تحت هذا العنوان تطالعنا وقائع التأريخ المتباينة والمتناقضة أحياناً كثيرة. سنعمد إلى غربلة أهم الآراء والاتجاهات في وصف هذه العلاقة الاسلامية ـ الأرمنية، زمن خلفاء بني أمية.

«لقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصائبون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير. ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلاّ على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، والارقاء، والشيوخ والعجزة والعمي والشديدي الفقر»[(١)].

في وصف «ويل ديورانت»، لهذه العلاقة، بعض الحقيقة التي يؤكدها، المؤرخ الأرمني «سيبيوس» نفسه، عندما تحدث عن المعاملة الحسنة التي لقيها الأرمن على يد المسلمين الأمويين، فهؤلاء، كما يقول، لم يفرضوا اسلامهم عليهم، بل أكثر من ذلك فقد منحوهم الاستقلال الذاتي[(٢)].

في عهد معاوية (٦٦١ ـ ٦٨٠ م.) نَعِمَ الأرمن بعلاقات طيبة بشكل عام. وقد سمى معاوية «كريكور ماميكونيان» حاكماً فعلياً ورسمياً على أرمينية. إستمرت الصورة هكذا، زمن خلافة

---

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص. ١٣٠ و ١٣١.

(٢) ـ الدكتور فايز نجيب إسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر «سيبيوس»، دار الحكمة اليمانية ١٩٩٤، راجع جريدة الحياة، السبت ٣ كانون الأول ١٩٩٤، ص. ٢٠.

كل من يزيد (٦٨٠ ـ ٦٨٣ م.) ومعاوية الثاني (٦٨٣ ـ ٦٨٤ م.) ومروان بن الحكم (٦٨٤ ـ ٦٨٥ م.) في عهد عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م.)، حكم أرمينية الأمير أشوط باقرادوني (٦٨٥ ـ ٦٨٩ م.) وسمباط باقرادوني (٦٩٣ ـ ٧٢٦ م.)، وفي هذا العهد شهدت أرمينية إضطراباً كبيراً عندما إجتاحتها قبائل الخزر Khazars وخربتها، كما دخلها الروم للانتقام من المسلمين العرب ومن الأرمن معاً[١].

تسجل الوقائع أيضاً، أنه في عهد الخليفة الأموي عبد العزيز (٧١٧ ـ ٧٢٠)، قام بطريرك الأرمن «هوفهانيس» بزيارة دمشق فاستقبله الخليفة بحفاوة أسفرت عن صداقة متبادلة. أما في عهد هشام بن عبد الملك (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م)، وكما يقول الأب «اوهانيس آدميان»، فقد نعمت أرمينية بعيشة هانئة، إزدهرت خلالها التجارة والصناعة[٢].

أما في عهد مروان بن محمد (٧٤٥ ـ ٧٥٠ م)، عيِّن كريكور ماميكونيان قائداً عاماً على أرمينية، ثم عيِّن بعده موشيغ ماميكونيان في المركز عينه، وفي عهده نعمت أرمينية بفترة إزدهار واستقرار.

توطدت الصداقة بين بعض الحكّام الأرمن وخلفاء بني أمية، فنالوا حظوة مهمة، كما حصل مع ثيودور الرشتوني، الذي زار دمشق زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان، فنال الكثير من الهدايا

---

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٢، ص. ١٩٩.

(٢) ـ الدكتور صابر محمد حسين، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر ١٩٧٨، ص. ٣٨.

والهبات المذهبة، كما منح حكم أرمينية وجورجيا وصولاً إلى شعاب القوقاز(١).

II ـ الوجه الآخر من سياسة الأمويين حيال الأرمن:

الواقع أن أرمينية، في ظل الحكم الأموي، كانت تعيش وضعاً سياسياً وعسكرياً مشوشاً ومتداخلاً. فكان يشرف على أمورها الداخلية من دينية وثقافية وعمرانية وإجتماعية الخ، حاكم أرمني، أما جباية الضرائب وقيادة الحامية العربية العسكرية داخل أرمينية، فكان يشرف عليها العامل العربي، وهكذا نجد أن إستقلالها لم يكن ناجزاً وتاماً.

إن حقيقة الوجه الآخر من سياسة الأمويين في مواجهة الأرمن، يبقى مجهولاً أو متجاهلاً لألف سبب وسبب. فقد سقط ذلك، عمداً أحياناً كثيرة، أو بفضل حلقات التقهقر التي شهدها الشرق الأوسط والعالم العربي، حيث دمرت وأحرقت ونهبت واتلفت مكتبات كثيرة، بكل ما فيها من مصادر ومراجع ووثائق إعتبرها المؤرخون والباحثون غاية في الأهمية، وخسارة قد لا توازيها خسارة أخرى، لا لسبب بل لأنها رحلت وهي تخفي في طياتها حقائق وأسرار كثيرة لا تزال حتى تاريخه موضع جدل واجتهاد.

صحيح إن علاقات المسلمين العرب مع الأرمن، زمن بني أمية، كانت تتسم في بعض مراحلها بطابع التسامح، إجمالاً، أو قل بطابع المصلحة المتبادلة. ومهما يكن من أمر فان الوقائع تؤكد أن هذه العلاقات كانت الأفضل نسبياً بين المسلمين والأرمن.

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٢٠.

إن المواجهة بين العرب والأرمن بعيدة في التاريخ وسابقة للفتوحات الاسلامية لأرمينية. فقد قاتل الأرمن في صفوف الروم[(١)]، كما قاتلوا في صفوف الفرس[(٢)] ضد العرب، يوم كانت أرمينية مقسَّمة بين دولتي الفرس الساسانية والروم البيزنطية[(٣)]. إن التباين واضح بين مختلف المصادر التي أرَّخت هذه الحقبة من العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، أكانت مصادر عربية أم سريانية أم بيزنطية وحتى أرمنية.

يؤكد الباحث فايز نجيب إسكندر، ان التسلل العربي إلى أرمينية للمرة الأولى كان في العام ١٩ للهجرة ـ ٦٤٠ م، وان الحملة كانت إستطلاعية مهدت الطريق أمام حملات المسلمين المتعاقبة، وبفضلها تمكن العرب من فتح العاصمة الأرمنية[(٤)].

هل صحيح، أن المصادر الأرمنية قد أسقطت هذه الوقائع أو أغفلتها كما قالت بعض المصادر العربية؟

إذا كان الأمر صحيحاً فنحن في هذا المجال أمام سؤال منطقي ـ تبريري، يفرض نفسه؛ لماذا يسقط مؤرخو الأرمن هذه الحقائق؟ أو لماذا يتجاهلونها؟ فقد لا نجد مبرراً لذلك، خصوصاً أن مؤرخي الأرمن عرفوا بما يلي:

---

(١) ـ قاتل الأرمن في صفوف الروم ضد العرب، خصوصاً في معركة «أجنادين» بالشام وذلك في العام (١٣ هـ. / ٦٣٤ م).

(٢) ـ إنخرط الأرمن في صفوف الجيش الفارسي لمحاربة العرب في موقعة «القادسية» بالعراق وذلك عام (٦٣٦ م ـ ١٥ هـ).

(٣) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ٤٣.

(٤) ـ جريدة الحياة، عدد ١١٦١٢، السبت ٣ كانون الأول ١٩٩٤، ص. ٢٠.

أ ـ مؤرخو الأرمن، الذين عاصروا الفتوحات العربية لأرمينية، على قلتهم، مشهودٌ لهم بالتجرد والأمانة والدقة وأبرزهم: المطران «سيبيوس» (القرن السابع) و «غفوند» (القرن الثامن)[1]، وهذه الشهادة أقرَّ بها الأعداء قبل الأصدقاء، كما رأينا.

ب ـ مؤرخو الأرمن دوّنوا أحداثاً أكثر خطورة وأهمية، كان من الأفضل لهم إغفالها أو تجاهلها ومع ذلك لم يفعلوا. فلماذا يتجاهلون إذاً، أحداثاً أقل أهمية ولا تلحق بهم، نسبياً، أي ضرر مادي أو معنوي، بل على العكس فهي تدين أصحابها. خصوصاً أن المعتدين هم العرب وليس الأرمن، كما تؤكد معظم المصادر والمراجع؟

أضف إلى ذلك، أن العديد من المؤرخين الأرمن والبيزنطيين يؤكدون أن أولى الغارات العربية الاسلامية على أرمينية، كانت على التوالي في الأعوام ٦٤٠ و ٦٤٢ و ٦٤٥.

ففي الغارة الثانية (٦٤٢ م.) تمكن العرب من الوصول إلى جبال أرارات، وسيطروا على «دوين» عاصمة أرمينية الثانية وخربوها، ولكنهم عادوا وانسحبوا منها، بعد أن حصدوا الكثير من المكاسب والمغانم.

أما الحملة الثالثة (٦٤٥ م.)[2] على أرمينية، فجاءت إثر

---

(١) ـ على التوالي في كتابهما «تاريخ هرقل» و «تاريخ غزوات العرب لأرمينية».

(٢) ـ المصادر العربية تقول، إن فاتح أرمينية هو القائد «حبيب بن مسلمة الفهرى»، حيث ولاه الخليفة عثمان بن عفان، عام ٦٤٥، قيادة جيش من ثلاثة آلاف مقاتل من عرب الشمال والجزيرة لفتح أرمينية، راجع سمير عربش المرجع السابق، ص. ٤١.

الانتصار الساحق على الفرس وقضائهم على دولتهم، بعدها دخل العرب إلى عمق أرمينية الثالثة من الشرق ووصلوا كذلك إلى أرارات، إنتهت بعقد هدنة ثلاثية المدة والأطراف[1].

إلاّ أن الفتح العربي لأرمينية، لم تتم فصوله كاملة إلاّ بعد العام ٦٦١ م، أي زمن بني أمية[2].

في أولوية بحثنا، وهدفيته، إظهار الأطر الحقيقية للعلاقات الاسلامية ـ الأرمنية. وهذا ما حتم إبراز بعض الركائز التاريخية، بغية ملامسة الوقائع بكل جوانبها التقريرية والموضوعية.

إن الصورة الأولى والحقيقية لهذه الحقائق، لم تكن دائماً وفاقية، كما لم تكن كذلك عدائية. فهي وإن شهدت الكثير من التسامح والمهادنة، زمن بعض خلفاء بني أمية، إلاّ انها عرفت متغيرات كثيرة وتقلبات متسارعة وحادة زمن بعضهم الآخر. فهي إذاً، ليست ثابتة، بل متعددة الأوجه، متغيرة تغير السياسات والمصالح والأشخاص.

أما السبب، الأكثر تأثيراً، في ضعف المناعة داخل المجتمع الأرمني، كان الصراع الداخلي بين أمرائهم، هؤلاء انقسموا إلى فريقين، واحد يدعم العرب، وآخر يقف إلى جانب الروم. وكان النزاع بين الأرمن على أشده، حتى أنَّ الأعمال الحربية بينهم هدرت الكثير من الدماء الأرمنية، وأفسحت المجال واسعاً أمام جميع الغرباء الذين انتهكوا السيادة ودنسوا الأرض، من روم وعرب وفرس وأتراك وغيرهم.

---

(١) ـ المدة ثلاث سنوات والأطراف هم الروم ـ الأرمن والعرب.
(٢) ـ العصر الأموي (٦٦١ م ـ ٧٤٩ م).

في مطلع العهود الأموية، شعر أمراء الأرمن بحاجتهم إلى الوئام والوحدة الوطنية، فتمت بينهم المصالحة، ولكنها لم تدم طويلاً، الأمر الذي جعل المطران «سيبيوس» يأسف لعدم دوام هذه المصالحة أو الهدنة الوطنية الأرمنية، ولعدم الحرص على الإفادة منها[١]. ان أمراء الأرمن تقاسموا إيرادات بلادهم من الضرائب، الأمر الذي دفع «ثيودور الرشتوني» إلى طلب معونة العرب للحفاظ على سلامة وأمن أرمينية وحمايتها من الصراعات المحلية[٢].

من هنا نجد أن الظروف السياسية الداخلية، كانت مؤاتية أمام العرب لدخول أرمينية والإستفادة من خيراتها.

يتفرد المطران «سيبيوس» دون غيره من المصادر الأرمنية والبيزنطية وحتى الاسلامية، في تدوين بداية الفتوحات العربية الاسلامية في المناطق الأرمنية، كما ينفرد في نشر النص الحرفي للإتفاقية المبرمة بين الأرمن ومعاوية بن أبي سفيان.

ماذا في ايجابيات هذه الإتفاقية وفي سلبياتها؟ ماذا أعطت للأرمن؟ وماذا فرضت عليهم؟

أ ـ منحت الأرمن بعضاً من الحرية الدينية.
ب ـ منحت الأرمن شبه إستقلال ذاتي.
ج ـ فرضت عليهم، الإعتراف بسيادة دولة الخلافة على أرمينية.

---

(١) ـ تاريخ طائفة الأرمن، ط، بيروت (١٨٦٧ م)، ص. ١٦٤ ـ ١٦٥، المرجع السابق، ص. ٣٩.
(٢) ـ Grousset, Ibid, P.303.

د ـ فرضت على الأرمن، دفع جزية[١] سنوية مقدارها عشرة ملايين درهم.
هـ ـ مّد العرب بخمسة عشر ألف فارس أرمني زمن الحرب.
و ـ القبول بحامية عربية في العاصمة «دوين»[٢].

قَبِلَ الأرمن بنود هذه المعاهدة، كخطوة وقائية لمنع الهجومات العربية من جهة، ومن جهة ثانية نظراً لحساسيتهم المفرطة وتخوفهم من مضايقات الروم لهم في معتقداتهم وطقوسهم الدينية التي يتشبثون بها بكل قوة وعناد.

إنَّ الأمان الذي أعطي للأرمن في عهود بني أمية وخصوصاً في عهود بني العباس، لم يكن إلاّ نسبياً وآنياً؛ بحيث كانوا يدفعون الجزية شأنهم في ذلك شأن كل الذميين وأهل الكتاب في بلاد الاسلام، ويحاربون في صفوفهم ومع ذلك ظلَّ هاجس القلق على الوجود والمصير قائماً في كل لحظة، وظلوا عرضة للسبي والنهب والأذية في معظم العهود وتبعاً لنزاعات المسلمين أنفسهم وتشتتهم شيعاً ومذاهب متصارعة ومتناحرة.

مقابل ذلك، نجد فئة المسلمين المعتدلين المتسامحين، أو قل فئة العقلانيين والمفكرين في الاسلام، هؤلاء يدينون الاعتداءات على أنواعها واختلافها، بما في ذلك إعتداءات المسلمين على الأرمن المسيحيين.

في هذا المجال، نسجل إدانة إبن حوقل النصيبي[٣]

---

(١) ـ الجزية، ضريبة يدفعها أهل الذمة.

(٢) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٤٢، راجع أيضاً جريدة الحياة السبت ٣ كانون الأول ١٩٩٤، ص. ٢٠.

(٣) ـ مفكر وجغرافي عربي ـ مسلم، عاش في القرن العاشر للميلاد، راجع سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٤٦ ـ ٤٨.

للاعتداءات العربية على أرمينية في كتابه «صورة الأرض» التي تعتبر دليلاً واضحاً على جو هذه العلاقات ومناخها الايجابي في جانب من جوانبها، والتي وإن دلّت على شيء فعلى إمكانية التوافق المسيحي ـ الاسلامي، إذا ما ارتقى الجانبان إلى مستوى الديانات السماوية، في فكرة الخلق وحتى في القانون الطبيعي للإنسان، الذي تناوله العلماء والفلاسفة في أبحاثهم.

إنَّ العلاقات الاسلامية العربية ـ الأرمنية، لا تخرج كثيراً عن دائرة العلاقات المسيحية ـ الاسلامية بشكل عام. هذه العلاقات التي تأرجحت بين الحدّة والتشنج أحياناً وبين اللين والمهادنة أحياناً أخرى، تبقى محكومة عن وعي أو عن غير وعي بفوقية دينية وعرقية متمايزة.

المسيحيون في الشرق، ما لم يعانوا الاضطهاد مباشرة، عانوه بالواسطة. فكان مثلهم كمثل «الذئب والحمل» في خرافات «لافونتين». دفعوا أثماناً باهظة، وأحياناً كثيرة، أثماناً لأخطاء لم يرتكبوها هم، فكانوا شهوداً لها وشهداء.

في هذا المجال، نسجِّل على سبيل المثال، أعمال الثأر والانتقام ضد الأقليات المسيحية ـ لاسيما الأرمن ـ في أماكن متعددة بعيد إنتهاء الحملات الصليبية في الشرق[١].

إنَّ الآراء في العلاقات العربية الاسلامية ـ الأرمنية، كثيرة ومتناقضة. فمعظم الذين أرخوا فيها كانوا يؤرخون من موقعهم وانتمائهم؛ والحقيقة تقال أن أرمينية، عاشت زمناً طويلاً بين المطرقة الاسلامية والسندان البيزنطي. فهاتان القوتان الكبيرتان تعاقبتا عليها وتقاسمتا خيراتها.

---

(١) ـ جورج قرم، تعدّد الأديان وأنظمة الحكم، المرجع السابق، ص. ٢٣١.

ففي القرن السابع للميلاد، إجتاح الغزاة العرب أرمينية، وخلال عشرات السنوات تناوب على إحتلالها قوتان كبيرتان ومتجابهتان في الشرق هما بيزنطية والعرب[1]؛ ولكن سرعان ما إستعادت أرمينية إستقلالها وعرفت في ظل السلالة الحاكمة «البجراطية»، فترة رخاء تعتبر الأكثر إشراقاً في تاريخها، خصوصاً في القرنين العاشر والحادي عشر.

هؤلاء الملوك، نقلوا عاصمتهم إلى «آني»، التي اشتهرت بفخامة قصورها وروعة معالمها، فأضحت «جادة الحضارة المشرقية والمسيحية في هذه المنطقة من آسيا». ولكن ما تنتجه عبقرية الإنسان من حضارة وإبداع، خلال سنين طويلة سرعان ما تدمره غريزته وعدائيته. والنماذج على ذلك أكثر من أن تذكر هنا، نكتفي بما حصل للمدن الأرمنية وبخاصة عاصمتهم «آني» من تدمير وتشويه...

وفي ذلك نجد أن الأسباب كثيرة، والمسؤولية تتوزعها فئات متعددة بمن فيهم الأرمن أنفسهم. فالمنافسة الدائمة والحادة بين وجهاء الأرمن وزعمائهم، إضافة إلى غزوات الأتراك ـ السلاجقة، وهجومات البيزنطيين؛ شكلت جميعها ضربة قاضية، حوّلت هذه المملكة الأرمنية الرائعة بفنها وجمالها إلى ركام وأطلال.

فكيان الدول والأوطان، ككيان الجسم البشري، متى أصابه الضعف والهزال، غزته الأمراض وفتكت به، هكذا هي المجتمعات والقوميات، متى توزعتها الأهواء والزعامات نثرتها كيانات كثيرة وضعيفة يسْهُلُ ابتلاعها وتذويبها.

---

(١) ـ Encyclopedia Universales, Vol 2, Paris, 1968, P.429.

فأرمينية، تقاسمتها الصراعات الداخلية فأضعفتها وكانت سبباً من الأسباب الرئيسة التي حتمت إلى حدٍ كبير مصيرها؛ بحيث أصبحت بلا حدود أو سياج، يرد عنها أو يحميها من شهوات الطامعين إلى السيطرة والتوسع وهم كثر.

وهكذا نجد، أنه يوم إعتلى معاوية العرش عام (٦٦١ م)، بادر فوراً إلى دعوة أهل أرمينية إلى الامتثال والخضوع لسلطان العرب، ودفع الجزية، فلم يجرؤ أمراء تلك البلاد على رفض تلك الدعوة[١]، نظراً لتفككهم وتناحرهم.

عمل بنو أمية، طيلة خلافتهم، على تقويض أركان أرمينية والقضاء على استقلالها وذلك من خلال القضاء على رموزها وأمرائها. وفي كل مرة كانوا يختلقون الحجج التي تخدم منطقهم واستراتيجية حربهم وسياستهم وجهادهم. فحيناً كانوا يوجهون اليهم التهم، بحجة عدم الوفاء أو الولاء للخلافة العربية ـ الاسلامية، وحيناً آخر بحجة مساندة أعدائهم من البيزنطيين أو من الفرنجة زمن الحملات الصليبية. ففي العام ٦٩٩ م، نفذت اعتداءات كثيرة ضد أمراء الأرمن، فصادر خلفاء بني أمية أملاكهم وأموالهم، كما اقتادوا بعضهم رهائن إلى دمشق وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[٢].

يقول سمير عربش في كتابه «أرمينيا أرض وشعب»، إنه نتيجة هذه السياسة الاسلامية الجائرة زمن نائب الوالي العربي عبد الله بن حاتم، قرر الأرمن مواجهة الظلم، فتحالفوا مع جيرانهم وقرروا الخروج على دولة الخلافة وذلك سنة ٧٠١ م،

---

(١) ـ الدكتور صابر محمد دياب حسين، المرجع السابق، ص. ٤٠.

(٢) ـ من سنة ٦٥ هـ./ ٦٨٦ م ـ ٧٠٥ م.

حيث واجهوا الجيوش العربية وانتصروا عليها في معركة وردان كرد[1].

ومهما يكن من أمر، فان المسلمين العرب، زمن الخلافة الأموية، وضعوا اليد على أرمينية، مباشرة أو بالواسطة، خصوصاً منذ العام ٦٦١ م، وحتى العام ٦٨٥ م، عندما عيَّن معاوية والياً أرمنياً عليها هو الأمير «غريغور ماميكونيان».

في منطق الحروب وفلسفتها، لكل ظرف منطقه ولكل فعل ردةٌ. هكذا فعل الأمويون إثر هزيمتهم أمام الأرمن، إذ صدرت أوامر الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أخيه محمد[2] وقائده عثمان بن الوليد بن عقبة الذي كان يقاتل الروم بالقرب من أرمينية الرابعة لتوحيد جيشيهما وتسيير حملة موحدة للانتقام من الأرمن. فكان له ما أراد، وعاد الأرمن تحت الضغط والتهديد، إلى فلك العرب، حيث منحهم هؤلاء العفو الذي طلبوه وقبلوا العودة إلى نظام الجزية الذي إبتدعه المسلمون.

تصاعدت حدة الإعتداءات الاسلامية ـ الأموية ضد أرمينية، وأخذت أشكالاً أكثر عنفاً ودموية. فتعرض أهلها للتنكيل والقتل والحرق كما تعرضت نساؤها للسبي في فترات مختلفة من حكم بني أمية. وهذا ما أكده المؤرخون العرب أنفسهم أمثال اليعقوبي (ت ٩٠٥ م)، حيث قال ما معناه:

في العام ٧٠٥ م، توارث الخلافة عن أبيه الوليد بن عبد الملك[3]. وكان هذا الأخير، قد عقد العزم على

---

(١) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٥٢؛ راجع أيضاً، الدكتور صابر حسين، المرجع السابق ص. ٤٠ ـ ٤١.

(٢) ـ والي إقليم ما وراء القوقاز.

(٣) ـ (٨٦ هـ. ـ ٩٦هـ./ ٧٠٥ م ـ ٧١٤ م).

إخضاع أرمينية وسلبها إستقلالها وكل مظهر من مظاهر السيادة والسلطة الذاتية، بغية الثأر والإنتقام. غير أن الأرمن، بما هم عليه من تشبّث بحريتهم وكرامتهم وإستقلالهم، واجهوا بعناد كبير وبمقاومة صلبة الأطماع العربية، بغية منعها من تحقيق أغراضها العدوانية، لذلك توافق أميرهم سمباط السادس البجراطي مع الروم (أقل الشرين). ومع ذلك تمكّن الأمويون، بقيادة محمد بن مروان، من دخول العاصمة الأرمنية «دوين»، بعد قتال مرير، حيث نكلوا بشعبها، «ثم لجأوا إلى الخدعة وجمعوا ١٢٠٠ منهم في كنيستين بعد أن أعطوهم الأمان وأغلقوا الأبواب وأحرقوهم أحياء فيها»[١].

نتيجة لهذا الضغط الاسلامي، كان من الطبيعي ولأسباب نفسية وإجتماعية أن يعتنق بعض الأرمن الدين الاسلامي، شأنهم في ذلك شأن كل الذين أرهقتهم الاضطهادات وأضعفتهم الأوجاع والنكبات الموسمية ـ المتلاحقة. هذه الصور، رأيناها تتكرر مع العديد من شعوب الشرق خاصة. إنه الخوف بل قل صراع الإنسان من أجل البقاء.

يضاف إلى عوامل الخوف والقلق على المصير والوجود، عوامل كثيرة تدفع بالإنسان، مسيراً مجبراً، إلى إستبدال وجهه ودينه وتاريخه وحتى إسمه، أحياناً كثيرة؛ وفي صدارة هذه العوامل يطالعنا المال والجاه وحب الاستئثار والتعصب.

تحت ضغط الترغيب والترهيب، نجد العديد من الأفراد والعائلات والشعوب، تقع في التجربة، فتنقلب المواقع، وتتبدل الهويات وتتغير الأديان والمعتقدات. وفي هذا الاطار،

(١) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٥٣.

تاريخ أرمينية كتاريخ لبنان حافل بالأمثلة والشواهد، حول هذه الوقائع والحقائق.

رغم كل ذلك، يمكننا القول أن الشعب الأرمني قد نَعِمَ بسلام عميق ونسبي، زمن الأمويين، خصوصاً إذا ما قيس بسائر العهود الاسلامية.

والحقيقة التي يجب تدوينها في هذا الاطار، هي أن العرب قد خلطوا وزاوجوا كثيراً بين أرمينية وبلاد الكرج. ويذكر «مينورسكي» أن هذه البلاد زارها ـ إبَّان حكمها المشترك مع أرمينية تحت السيادة الاسلامية (٦٦٣ ـ ٧٤٣ م.) ـ شخص يدعى «مروان قرو العاتي» (المعروف بمروان الأصم)، الذي قال:

إنه كان والياً على أرمينية في خلافة هشام بن عبد الملك (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م.)[١]. كذلك لم تنقطع الحملات الاسلامية، منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان، على آسيا الصغرى، حتى وصل المسلمون بحملاتهم إلى مدينة خلقيدونية (Chalcedonia)، وكثيراً ما أمضى المسلمون فصل الشتاء في أملاك وبلاد بيزنطية[٢].

في أواخر القرن السابع للميلاد، بدأ الوهن والضعف يدب في جسم الدولة الأموية، خصوصاً بعيد وفاة معاوية بن أبي سفيان (نيسان ٦٧٩ م)، حيث غرقت الدولة الاسلامية بدفق من الفتن والاضطرابات الداخلية، الأمر الذي فتح شهية المتربصين بها وهم كثر في الداخل وفي الخارج.

---

(١) ـ Monorosky: Encyclopedia Of Islam (Art: Taphlis) Vol. I, P. 645, Cf Dr, Saber P. 41.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٤١.

ومن منطق التفاوض على أساس القوة، أعيد خلط الأوراق والمعاهدات بين المسلمين والروم وقسّم خراج أرمينية مناصفة بين الدولتين المتعاهدتين، خصوصاً في العام ٦٨٩ م.[١].

تضاربت الآراء واختلفت حول نتائج المعارك بين المسلمين العرب وبين أعدائهم البيزنطيين. وكل ما يهمنا منها هو تأثيرها في حياة ومصير الشعوب الأرمنية، وما خلفته من إيجابيات وسلبيات في هذا النطاق.

III ـ أرمينية في واقعها الاجتماعي ـ السياسي، قبيل تدهور الدولة الاسلامية ـ الأموية:

إنَّ الظروف السياسية والدينية والعسكرية، التي أوصلت معاوية إلى الحكم، هي ذاتها التي وفّرت ظروف الفتن والثورات ضد الأمويين أنفسهم.

فالواقع المبني على خطأ، لا ينتج غير الخطأ، والسياسة القائمة على ظلم وقهر، لا تنجب غير الرفض والثورات.

إنَّ الخلاف الكبير والجدّي بين المسلمين حول السلطة والخلافة، هو نفسه الذي عمّق الخلاف العقائدي بينهم، وجذَّر صراعاتهم ووزعهم شيعاً وفرقاً وأحزاباً. فحفل تاريخهم بالفتن والقلاقل والاضطرابات والصراعات، قوضت جميعها دعائم دولهم وممالكهم في الغرب كما في الشرق.

هذه الصورة الرمادية والقاتمة في العلاقات الاسلامية ـ الاسلامية، شكلت الفرصة الذهبية أمام الأقليات والجماعات غير المسلمة لالتقاط أنفاسها والانتفاض مطالبة بحقوقها وحرياتها.

---

(١) ـ تاريخ المعاهدة التي أبرمها الخليفة عبد الملك بن مروان.

ففتنة إبن الزبير مثلاً عام (٦٨١ ـ ٦٨٢ م)، تعتبر واحدة من أخطر الحروب الأهلية بين المسلمين، كونها ضربت إستقرار الدولة العربية الاسلامية من جهة، وأيقظت الوعي القومي والوطني عند الشعوب المقهورة من جهة أخرى.

وهكذا نجد كيف إستفاد الأرمن والجيورجيون من هذه الفرصة التي وفّرتها الحروب الأهلية الاسلامية، فثاروا في وجه العرب، طيلة ثلاث سنوات، أعقبتها ثورة الخزر[١] الذين توغلوا عبر القوقاز واحتلوا أجزاءً مهمة من أقاليم جورجيا.

نتيجة لثورة الأرمن هذه، ضد المسلمين العرب، عمد هؤلاء إلى تغيير إستراتيجيتهم السياسية، بسحبهم الثقة من عائلة «ماميكونيان» وتقربهم من عائلة «البجارطة»، حيث عينوا أحد أفرادها وهو أشوط الثاني البجراطي (٦٨٦ ـ ٦٩٠ م.)[٢]، إلاَّ أنَّ بعض المراجع تؤكد انه أشوط باقرادوني (٦٨٥ ـ ٦٨٩م.) ومن بعده سمباط باقرادوني (٦٩٣ ـ ٧٢٦ م.)[٣].

وفي هذا الإطار، نجد التناقض واضحاً في أحداث هذه الحقبة ووقائعها وأسمائها، ففي حين نرى أن بعض المراجع أمثال الدكتور صابر دياب حسين في كتابه «أرمينية من الفتح الاسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري»، يؤكد هذا التحوّل في السياسة العربية داخل أرمينية كما يؤكد التقارب والتحالف بين العرب وبين عائلة باقرادوني (البجارطة؟) وعلى رأسهم أشوط باقرادوني (البجراطي؟)، ما يلبث المرجع نفسه

---

(١) ـ الخزر، شعب تركي من جنوب روسيا.

(٢) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٤٣ ـ ٥٠.

(٣) ـ Laurent: Généalogie des Bagratides, P. 334; Cf Loc. Cit.

راجع أيضاً، مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٢٠٠.

وفي الصفحة ٤٤ تحديداً، أن يؤكد مقتل أشوط هذا أثناء تصديه للقوات العربية الاسلامية، هذه القوات التي أرسلها الخليفة عبد الملك بن مروان عام. (٦٩٠ ـ ٦٩١ م)، ليؤدب بواسطتها الجيوش البيزنطية التي كانت قد إستعادت نفوذها على أرمينية إعتباراً من العام (٦٨٦ م.) فكيف ذلك؟

هذه الوقائع تضعنا أمام أمر من إثنين:

أ ـ إمّا أنَّ هذا التأريخ خاطيء، وهذا مشكوك فيه.

ب ـ إما أنَّ التحالف بين العرب والأرمن كان خدعة أو تحالفاً تكتيكياً آنياً، إنهار أمام أول فرصة سانحة له، وإلاّ لماذا يقاوم الأرمن حلفاءهم العرب؟ هذا ما يؤكد بالفعل هشاشة هذه العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية.

نسأل بالتالي، لماذا توالت الحملات الاسلامية ـ الأموية على أرمينية لاخضاعها وإعادتها إلى السيادة العربية؟! ومن أهمها حملات الأعوام (٦٩٣ م)، و (٧٠٣ م)، والتي حققت أهدافها، بقيادة «محمد بن مروان»، ظلت أرمينية خلال هذه الفترة من تاريخها، تتأرجح بين الانتقام البيزنطي والانتقام العربي المضاد. كما ظلت مسرحاً للمعارك الطاحنة التي كانت تدور رحاها بين العرب والخزر (القبائل التركية)[1].

كذلك نسأل، لماذا إنتفضت أرمينية ضد الدولة العربية الاسلامية، إثر فتنة إبن الزبير والحرب الأهلية العربية؟

ثم لماذا، لجأ محمد بن مروان إلى الإرهاب، عندما ولي أرمينية من قبل أخيه عبد الملك؟ حيث عمد إلى خدعتهم، بعد أن نكَّل بهم، فجمعهم في الكنائس لإعطائهم الأمان، ثم عمد

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٢، ص. ٢٠١.

إلى إغلاق الأبواب وتعيين حرّاس عليهم، بغية إرعابهم وتخويفهم، كما يؤكد ذلك الواقدي[١].

ومما زاد الأمر تعقيداً، إضافة إلى المثلث المتناحر: بيزنطية ـ العرب والخزر، هو الصراع الأرمني الداخلي، وتحديداً الصراع بين الأسر الاقطاعية الأرمنية. وقد تكون الصورة التالية خير معبِّر عن واقع أرمينية في هذه الفترة من العلاقات مع العرب:

«. . . وعندما عاد محمد بن مروان إلى سوريا ومعه قافلة محمّلة بالأسلاب التي اجتلبها من هاياستان (أرمينية)[٢] ترك الأهالي كأنهم جمرات مبعثرة، أو غبطات وطئتها الخنازير البرية»[٣].

تظهر الوقائع السياسية والعسكرية، أن الأهداف الإسلامية ـ الأموية كانت تصبو إلى خنق كل نزعة أرمنية تحررية ـ إستقلالية، عن طريق القضاء على نفوذ طبقة كبار النبلاء والأسر الاقطاعية الأرمنية. في خانة هذه السياسة الأموية عمد واليهم «عبد الله بن حاتم الباهلي» إلى إعتقال عدد كبير من الأرمن وسجنهم، كما ألقى القبض على بطريركهم إسحق الثالث وقائدهم العام «سمباط البجراطي»، ونقلهما إلى بلاط دمشق، حيث فرض عليهما الإقامة الجبرية[٤].

---

(١) ـ الواقدي: فتوح الشام ٢/ ٢٠٥، راجع صابر دياب حسين، المرجع السابق، ص. ٤٥.

(٢) ـ Haeistan هو الإسم التي كانت تعرف به أرمينية وهو الأكثر تحبباً إلى قلوب الأرمن.

(٣) ـ Grousset، ص. ٣٠٩، المرجع نفسه، ص. ٤٥.

(٤) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٥.

هذه المعاملة العربية السيئة، دفعت الأرمن إلى إعتماد سياسة الانتقام لما لحقهم من ذل الهزيمة والاسر على يد العرب. فما كان من سمباط البجراطي[1]، بعد عودته من الاسر، إلاّ العمل على جمع شمل الأرمن وتوحيد كلمة أشرافهم والاقطاعيين، لتحقيق النصر في معركة الشرف وإعادة الاعتبار. وحصلت مواجهة شرسة بين الطرفين، في السفح الشمالي لجبال أرارات الكبرى، بعد أن عبر الجيش العربي نهر الرس (Arax)، وكان هذا الجيش يعد ثمانية آلاف مقاتل. في هذه المعركة القاسية والحاسمة، قضى معظم الجيش العربي ولم ينجُ منه أكثر من ثلاث مئة فقط، فروا إلى إقليم «سيونيك»، وهم بين الحياة والموت[2]. نشوة النصر هذه أسكرت الأرمن، فراحوا يحتفلون ويبشّرون الروم به. فأهدى أمير الأرمن «سمباط البجراطي» إلى امبراطور الروم «. . . جياداً عربية ممتازة، مما سلبه من العرب، وأنوف أعدائه الذين سقطوا في المعركة»[3].

إثر ذلك، توطدت العلاقة بين الأرمن والروم، في حين سقطت المهادنة بينهم وبين العرب في ملحمة من المعارك والدماء. هكذا إتسمت العلاقة بين الأرمن والعرب وخصوصاً في الفترة الممتدة من العام ٦٨١ وحتى سقوط دولة بني أمية، بالتوتر الشديد، بل بالعدائية والانتقامات المتتالية. فالجريمة لا تولد غير الجريمة والأحقاد لا تولد غير الانتقام. أضف إلى

---

(١) ـ هناك تناقض واضح في العديد من المراجع حول عائلة سمباط هذا، فبعضهم يؤكد أنها عائلة باقرادوني والآخر يؤكد انها البجارطة.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٦.

(٣) ـ Grousset، ص. ٣١٠، المرجع نفسه ص. ٤٦.

ذلك، القلق الكبير، الذي عاشه الأرمن، خوفاً من ثارات العرب ضدهم.

وحقيقة الأمر، أن العرب راحوا يعدون العدة لهجوم مضاد على الأرمن، هدفه هذه المرة إجتياح كامل أرمينية وإخضاعها لسيادتهم. كان ذلك، أواخر عهد الخليفة عبد الملك بن مروان؛ إلاّ أن حكمة وجرأة البطريرك إسحق الثالث، الذي كان منفياً إلى سوريا منذ ٦٩٥ م، أنقذت شعبه من مجزرة عربية محتمة. فقد حمل هذا البطريرك رسالة إلى الخليفة، يتعهد فيها:

أ ـ خضوع النظام الأرمني كله للسيادة العربية.
ب ـ مقابل وقف زحف المسلمين أو الوعد بعدم تنفيذ أعمال إنتقامية ضد الأرمن.

ألا أنَّ وفاة هذا البطريرك أثناء الطريق وفي يده هذه الرسالة، ترك أكبر الأثر في نفس «محمد بن مروان»، الذي قرأ الرسالة فوقف أمام جثمان البطريرك خاشعاً ومخاطباً إياه قائلاً:

«عندما قرأت ما كتبت، عرفت حكمتك. لقد بادرت وأنت الراعي الشجاع بالمجيء إليَّ ومواجهة حسامي. ساعياً لخير رعيتك. وإني أوافق على ألا يتضرج سلاحي بدم الأبرياء، وأتعهد بتحقيق كل ما طلبت مني...»[1].

ودخلت الجيوش الإسلامية معظم المناطق الأرمينية الرئيسة، دون إنتقام يذكر، ولكن مقابل جزية كبيرة يدفعونها وفرض شروط إجتماعية وحياتية قاسية وصعبة.

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٧

هذه المعاملة العربية السيئة، دفعت الأرمن إلى إعتماد سياسة الانتقام لما لحقهم من ذل الهزيمة والاسر على يد العرب. فما كان من سمباط البجراطي[١]، بعد عودته من الاسر، إلاّ العمل على جمع شمل الأرمن وتوحيد كلمة أشرافهم والاقطاعيين، لتحقيق النصر في معركة الشرف وإعادة الاعتبار. وحصلت مواجهة شرسة بين الطرفين، في السفح الشمالي لجبال أرارات الكبرى، بعد أن عبر الجيش العربي نهر الرس (Arax)، وكان هذا الجيش يعد ثمانية آلاف مقاتل. في هذه المعركة القاسية والحاسمة، قضى معظم الجيش العربي ولم ينجُ منه أكثر من ثلاث مئة فقط، فروا إلى إقليم «سيونيك»، وهم بين الحياة والموت[٢]. نشوة النصر هذه أسكرت الأرمن، فراحوا يحتفلون ويبشّرون الروم به. فأهدى أمير الأرمن «سمباط البجراطي» إلى امبراطور الروم «. . . جياداً عربية ممتازة، مما سلبه من العرب، وأنوف أعدائه الذين سقطوا في المعركة»[٣].

إثر ذلك، توطدت العلاقة بين الأرمن والروم، في حين سقطت المهادنة بينهم وبين العرب في ملحمة من المعارك والدماء. هكذا إتسمت العلاقة بين الأرمن والعرب وخصوصاً في الفترة الممتدة من العام ٦٨١ وحتى سقوط دولة بني أمية، بالتوتر الشديد، بل بالعدائية والانتقامات المتتالية. فالجريمة لا تولد غير الجريمة والأحقاد لا تولد غير الانتقام. أضف إلى

---

(١) ـ هناك تناقض واضح في العديد من المراجع حول عائلة سمباط هذا، فبعضهم يؤكد أنها عائلة باقرادوني والآخر يؤكد انها البجارطة.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٦.

(٣) ـ Grousset، ص. ٣١٠، المرجع نفسه ص. ٤٦.

ذلك، القلق الكبير، الذي عاشه الأرمن، خوفاً من ثارات العرب ضدهم.

وحقيقة الأمر، أن العرب راحوا يعدون العدة لهجوم مضاد على الأرمن، هدفه هذه المرة إجتياح كامل أرمينية وإخضاعها لسيادتهم. كان ذلك، أواخر عهد الخليفة عبد الملك بن مروان؛ إلاّ أن حكمة وجرأة البطريرك إسحق الثالث، الذي كان منفياً إلى سوريا منذ ٦٩٥ م، أنقذت شعبه من مجزرة عربية محتمة. فقد حمل هذا البطريرك رسالة إلى الخليفة، يتعهد فيها:

أ ـ خضوع النظام الأرمني كله للسيادة العربية.
ب ـ مقابل وقف زحف المسلمين أو الوعد بعدم تنفيذ أعمال إنتقامية ضد الأرمن.

ألا أنَّ وفاة هذا البطريرك أثناء الطريق وفي يده هذه الرسالة، ترك أكبر الأثر في نفس «محمد بن مروان»، الذي قرأ الرسالة فوقف أمام جثمان البطريرك خاشعاً ومخاطباً إياه قائلاً:

«عندما قرأت ما كتبت، عرفت حكمتك. لقد بادرت وأنت الراعي الشجاع بالمجيء إليَّ ومواجهة حسامي. ساعياً لخير رعيتك. وإني أوافق على ألا يتضرج سلاحي بدم الأبرياء، وأتعهد بتحقيق كل ما طلبت مني...»[1].

ودخلت الجيوش الإسلامية معظم المناطق الأرمينية الرئيسة، دون إنتقام يذكر، ولكن مقابل جزية كبيرة يدفعونها وفرض شروط إجتماعية وحياتية قاسية وصعبة.

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٧

مع نِهاية عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٠٥ م)، كانت العلاقة العربية ـ الأرمنية تميل إلى التوافق، ولكنه ظلَّ توافق مصلحة، ليس له أي بعد وأي عمق تحالفي ـ إستراتيجي. ثم تكشفت هشاشة هذه العلاقة، مرة جديدة، عندما سعى الأمير «سمباط البجراطي» لدى بيزنطية لكسب دعمها وتدخلها ضد العرب في أرمينية؛ الأمر الذي أثار غضب الخليفة الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ ـ ٧١٥ م)[١]، الذي سعى إلى التخلص من زعماء الأرمن ومن قادتهم وإقطاعييهم، عملاً بالمثل القائل: أضرب الرأس، تفرق القطيع. وبذلك يكون قد تمَّ خنق المقاومة الأرمنية من جهة وضرب التحالف البيزنطي ـ الأرمني من جهة ثانية، الأمر الذي أتاح لجيوش المسلمين بقيادة «محمد بن مروان» دخول مدينة «دوين» عام ٧٠٥ للميلاد، بعد إنسحاب البيزنطيين منها.

إنَّ سلوكية العرب، خصوصاً في هذه الفترة، تخطت بتجاوزاتها كلَّ الخطوط الحمراء. الأمر الذي ولَّد نقمة الشعوب الأرمنية وغضبها. هذا الواقع المتفاقم، أرغم الخليفة الوليد على إجراء تعديلات أساسية في القيادات العربية، داخل أرمينية، فعزل «محمد بن مروان» وعيَّن مكانه «عبد العزيز بن حاتم الباهلي»، الذي إعتمد سياسة مغايرة تماماً لسلفه، حيث عفا عن المنفيين الأرمن وأرجع أملاكهم اليهم. وفي عهده أعيد بناء مدينة «دوين»، فتحولت إلى حصنٍ عربي منيع، داخل أرمينية[٢]، أما عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

(١) ـ هو إبن الخليفة عبد الملك بن مروان.
(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٨ ـ ٤٩.

(٧١٧ ـ ٧٢٠م)[١]، كان عهد طمأنينة وعدل وأمان، بالنسبة للأرمن، نظراً لما كان يتمتع به هذا الخليفة، من إيمان وأخلاق طيبة.

إنَّ تبدّل التحالفات الأرمنية وتأرجحها بين بيزنطية والدولة الأموية، كذلك تقلب المعادلات بين أمراء الأرمن والمسلمين العرب، كان له أكبر الأثر على الأوضاع الداخلية الأرمنية، خصوصاً على تماسك عائلاتها. والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها ما حصل من خلافات بين أعيان ماميكونيان وأمراء البجراط في العام ٧٣٢ م، زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م).

وفي العام ٧٣٧ م، تحالف الأرمن مع الجيوش العربية، دفاعاً عن الحدود الأرمينية ضد الأتراك، بقيادة مروان بن محمد.

يشيد المؤرخ Levond، بالحكم العربي في أرمينية قائلاً: «لقد كان حكم هؤلاء الولاة الأمويين، إذن، وبصورة إجمالية حكماً طيباً، بالنسبة إلى ما يمكن أن يكون عليه الحكم الأجنبي. ولسنا نجد عملاً من أعمال التعصب الديني، سوى إستشهاد «فاردان Vardan» أو «فاهان ـ Vahan» من جولتن. فقد اعتقل هذا السيد عام ٧٠٦ م. أثناء معارك ناختشيفان، وكان صغير السن وقتذاك، وأرسل إلى سوريا حيث أسلم ونشأ نشأة إسلامية. ولما عاد إلى وطنه، وسمح له باسترداد أملاكه ومكانه في المجتمع الأرمني، إرتد إلى الديانة المسيحية. ولأن

---

(١) ـ المشهور بخامس الخلفاء الراشدين لتقواه وحبه العدل.

المسلمين لا يبيحون مثل هذه الردة، لذلك قبضوا عليه عام ٧٣٧ م. وأرسلوه إلى سوريا حيث أعدم»[١].

هذا النموذج، في التشدد الديني، لم يكن فريداً كما يؤكد المؤرخ Levond، لأن العشرات منه، حدثت على مختلف المستويات وبين الرجال والنساء. ثم لماذا تعتبر عودة Vahan إلى المسيحية، ردة عن الاسلام، ولا يعتبر إرغامه على إعتناق الاسلام، ردة عن المسيحية؟!

ولكنَّ الحقائق التاريخية تؤكد، تحوُّل مدينة «دوين» عاصمة أرمينية، إلى مدينة عربية بل وإسلامية، الأمر الذي لم يتحمله بطريركها[٢]، الذي كان يقيم فيها، وكان يؤلمه صوت المؤذنين، كما يقول Grousset، فهجرها وبذلك فقدت قيمتها كمدينة بطريركية[٣].

بعد ذلك تفجرت حربٌ أهلية جديدة (٧٧٤ م)[٤]، داخل الدولة الأموية، فتركت أثرها المباشر في الحياة السياسية الداخلية لأرمينية. حيث عاد الصراع بين عائلاتها، إثر مغادرة مروان بن محمد لها وعودته إلى دمشق للمشاركة في هذه الحرب (٧٤٥ م.) وتوليه الخلافة.

تقرب أشوط البجراطي وأتباعه، من الخليفة الجديد، الذي أصدر أمره إلى واليه على أرمينية (إسحق بن مسلم) بالقبض على الأخوين ماميكونيان (الأعداء التقليديون للبجارطة)،

---

(١) ـ الدكتور صابر دياب حسين، المرجع السابق، ص. ٥٥.

(٢) ـ البطريرك دافيت الأول.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٦.

(٤) ـ حرب بين إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد.

وبخاصة «دافيت». فقبض عليه، وقطعت يداه ورجلاه ثم قتل خنقاً بأمر من الخليفة نفسه.

وهكذا أعيدت عائلة البجارطة إلى حكم أرمينية، في ظل الدولة العربية الاسلامية وحمايتها. ظلَّ هؤلاء على ولائهم للأمويين، حتى سقوط دولتهم عام ٧٥٠ م. الدولة الأموية، تلفظ أنفاسها الأخيرة، والصراعات الأرمنية ـ الأرمنية تستعر من جديد، فعاد "موشيغ ماميكونيان" ليقود مجدداً حركة التمرد والمقاومة الاقطاعية الأرمنية ضد كلٍّ من البجارطة والنفوذ العربي ـ الاسلامي في أرمينية[١].

IV ـ الأطر العامة ونتائج العلاقات الاسلامية الأموية ـ الأرمنية:

الشعب الأرمني، شعب مناضل، حافظ على تمايزه الديني والعرقي، رغم دخول المسلمين العرب إلى أرمينية. وفي هذا الاطار يقول سمير عربش: «... لم ينتشر الاسلام في أرمينية إلاَّ إنتشاراً محدوداً وكان إنتشاره المحدود هذا في أرمينية الرابعة[٢] لقربها من أقاليم دولة الخلافة ووجود حاميات عربية لها وتهجير بعض العرب اليها»[٣].

ولكن هذا الواقع لم يكن من الثوابت، بسبب ما تعرض له الأرمن من ضغط عربي ـ إسلامي، خصوصاً بعد أن حلَّ فيها المسلمون ثانية، عقب الفتح المغولي وحروب تيمورلنك على

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) ـ أرمينية الرابعة هي الإقليم الجنوبي الغربي بما فيه شمشاط وقاليقلا (ارزن الروم ـ أرضروم) وأرجيش وقصبتها خلاط.

(٣) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ٤٨.

جورجيا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد، حيث إستقر فيها الترك فصار الاسلام هو السائد فيها.

إنَّ حركة التداخل المسيحي ـ الاسلامي، حقيقة قائمة عبر التاريخ، وهي تقوى وتضعف وفق ظروف ومتغيرات دينية وسياسية وعسكرية وإجتماعية كثيرة ومتشابكة. تضعف زمن السلم وتعنف زمن الجهاد والحروب.

هذه الحركة، عرفت بعض دوافعها، ليس فقط في العصبيات الدينية والمذهبية، بل أيضاً في العنصريات القومية أو العرقية. فنجد العديد من الأرمن الذين إستعربوا مثلاً، مع بقائهم على نصرانيتهم.

إنَّ العلاقات الأرمنية ـ الاسلامية، في إطار دول الخلافة الأموية (٦٦١ ـ ٧٥٠ م)، فرضتها عوامل كثيرة وتحكمت بها ظروف مختلفة الأبعاد والغايات، فسيرتها ضمن ظروف داخلية وإقليمية، شكلت المناخ الصالح لتفاعلها ونموها، نتوقف عند أهمها:

أ ـ الشرق برمته، كان يبحث عن تثبيت هويته ورسم حدوده.

ب ـ الحروب الإقليمية الدائمة بين بيزنطية من جهة ودولة الخلافة العربية الاسلامية من جهة ثانية، وضعت أرمينية في وضع دائم الاضطراب.

ج ـ ضغط الحروب الأهلية الكثيرة، زمن بني أمية، أو قل الصراع الاسلامي ـ الاسلامي، الذي أخذ طابعاً دموياً في أكثر الأحيان. مصائب العرب هذه، كانت للأرمن بمثابة فوائد، أعطتهم المتنفس الذي أراحهم وساعدهم نسبياً في السعي إلى تحررهم واستقلالهم.

د ـ صراع القوميات والأديان والمذاهب وتفكك امبراطوريات ونشوء أخرى، خلق في المنطقة الشرق أوسطية بركاناً متفجراً، لم يسلم من ناره معظم التجمعات والأقليات، بمن فيهم الأرمن.

هـ ـ الصراع الداخلي في أرمينية نفسها، بين وجهائها وعائلاتها وبخاصة بين آل «ماميكونيان» وآل «البجراطي». ساهم في إضعاف الكيان الأرمني ـ الوطني، وخلق إضطراباً وعدم إستقرار بين الأرمن جميعهم.

و ـ أرمينية وإن حافظت على إستقلالها أحياناً، أو خلقت لها إستقلالاً معنوياً خاصاً، عن طريق تمسكها بعقيدتها وكنيستها ولغتها وتراثها، إلاّ أنها ظلّت أحياناً كثيرة عرضة للتجاذب والتقاسم والإحتلال.

ز ـ العملاق الفارسي وما جسّده من مخاطر وتهديد لسيادة أرمينية (قبل سقوطه أمام الجحافل العربية عام ٦٤٢ م)، شكّل نقطة محورية في التاريخ الأرمني[١].

ح ـ أرمينية موقع إستراتيجي غاية في الأهمية عسكرياً وتجارياً، كما إعتبرت بوابة التواصل الفكري والحضاري بين شعوب العالم.

ط ـ الشعب الأرمني، قوة إنتاج وإبداع، أعطى الكثير الكثير في مختلف المجالات الفكرية والفنية والعلمية والحرفية وغيرها، فاعتبر بحق «شعب المعجزة».

---

(١) ـ في العام ٣٨٧ م، قسمت أرمينية إلى أرمينيتين: الأولى غربية (Arsace II) ظلت بيزنطية، والثانية شرقية أو (Persarménie) عاصمتها «دوين» ألحقت ببلاد فارس. راجع Quid، المرجع السابق، ص. ١١٦٩.

كل هذه العوامل وكثير غيرها، جعلت من أرمينية، أرضاً وشعباً وكياناً، هدفاً يسعى إليه الجميع. ولهذه الأسباب وغيرها، تعاقبت عليها مختلف الجنسيات والشعوب، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً[1]. وهكذا إذا أردنا وضع رسم بياني لمجمل الأحداث والثورات والحروب التي تعرضت لها أرمينية، أو خاضها الشعب الأرمني، لوجدناه رسماً شديد التقلّب والتعرّج، رسماً دائم التحرّك والاضطراب. وأرمينية زمن الخلافة الأموية، عاشت الظروف والمتغيرات نفسها. وهي وإن عرفت فترات ذهبية من الإستقرار والسلام وشبه الإستقلال، على يد بعض الخلفاء الأمويين، إلاَّ أنها فترات متقطعة، متباعدة، قصيرة وغير ثابتة. كما لا ننكر أن بعض هؤلاء إتسم بالخلق والحكمة والعدالة وكان أبرزهم الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان (٧١٧ ـ ٧١٩ م)، الذي عامل الشعوب الأرمنية معاملة حسنة عادلة، وعفا عن سجنائهم في دمشق. فعرف الأرمن في عهده، على قصره، فسحة من الطمأنينة والحرية، فكان موضع إعجاب وتقدير من الأرمن خاصة ومن المسيحيين عامة.

إنَّ العلاقات غير المتكافئة وغير المتوازنة القوى، أو تلك التي تبنى على أساس من الفوقية، وتفرضها الحروب والصراعات على اختلافها، لا يمكن وفق مفاهيم السياسة وعلم الاجتماع، أن يطلق عليها تسمية «علاقات»، لأن هذه التسمية تحتم وجود فعلٍ إرادي وأطراف متساوية الحقوق والرغبة. فيصح لذلك، تسميتها «تبعية ـ Subordination أو

---

(١) ـ من فرس وسلاجقة (من الشرق)، الرومان والعثمانيون (من الغرب)، العرب (من الجنوب) الخزر والروس (من الشمال).

Dépendance. فكيف يمكن إذاً، أن تنشأ علاقات بين محتلٍ نصَّب نفسه سيداً، وبين خاضع أو تابعٍ له؟

من هنا هشاشة هذا التواصل الذي يبقى دون عمق أو أصل، ينتظر المناخ المناسب والفرصة السانحة لينتفض لكرامته وأصالته وموقعه الطبيعي. وهذا ما حصل بالفعل، مع حاكم أرمينية من قبل الأمويين، الأمير «همازسب» الثاني ماميكونيان»[1]، الذي سرعان ما إنحاز إلى الروم، إثر مقتل عثمان بن عفان وإضطرار معاوية إلى سحب القوات العربية من أرمينية لإخماد الفتنة الكبرى التي إشتعلت بين المسلمين (٦٥٦ ـ ٦٦١ م)[2].

والدليل الآخر، حصل «في غضون الحرب الأهلية الثانية التي نشبت في دولة الخلافة (٦٨١ ـ ٦٩٢ م)، نتيجة الصراع الثاني على السلطة بين الخليفة الأموي يزيد الأول بن معاوية بن أبي سفيان وبين الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، حيث إغتنم حكّام بلدان القوقاز الثلاث (أرمينية وألبانيا وايبيريا) الفرصة وخلعوا طاعة دولة الخلافة وتحالفوا معاً ضدها»[3].

شهد التاريخ الأرمني، زمن بني أمية، الكثير من ردّات الرفض والتمرّد والمقاومة، التي حققت الكثير من الانتصارات وأعادت إليهم الإعتبار، فغيروا بذلك سياسات كثيرة وأرغموا تحت ضغط مقاومتهم بعض الخلفاء الأمويين على التحالف معهم لتأمين مصالحهم الحيوية.

نذكر في هذا المجال، كيف أُجبِرَ الخليفة الأموي الوليد

---

(١) ـ صهر «تيودور الرشتوني» أول حاكم لأرمينية في العهد العربي.

(٢) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٥٠.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٠ و ٥١ و ٥٢.

الأول بن عبد الملك على تغيير سياسته حيال الأرمن عام ٧١٠ م، بعد أن أرهقه هؤلاء بمقاومتهم، الأمر الذي إضطره على التحالف معهم ضد الخزر، مقابل الإبقاء على إستقلال أرمينية[(١)].

بعد هذه الجولة الوافية في صفحات الخزائن الأرمنية ـ الأموية، نجد أنفسنا أمام محطات هامة وأساسية، لم تكن بمجملها وليدة التعصّب الديني، الاسلامي ـ المسيحي، كما لم تكن غريبة في كثير من مراحلها عن خلفية هذا الصراع، مباشرة كان أم بالواسطة.

إنَّ التباعد بين المسيحيين والمسلمين، وإن كان حالة مرضية نرفضها بكليتها، غير أنه حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها أو التسليم بها. بل على العكس، يجب تشخيصها بعقلانية وتجرّد، بغية إيجاد العلاج الناجع لها.!! ونحن في هذا المجال، تغرقنا الاجتهادات والتأويلات في بحر من المفارقات والتناقضات.

إنَّ وجهة نظر المؤرخ «ويل ديورانت» في السلوكية الأموية حيال الأرمن، على صدقها، إلاَّ أنها تبقى نصف الآية ونصف الحقيقة. فأهل الذمة كانوا يدفعون الجزية، مثلاً، لا لإعفائهم من الخدمة العسكرية حباً لهم، بل لأنهم مرفوضون من قبل المسلمين لعدم الثقة بهم. وهذا ما يفسِّر كذلك رفض شهادتهم في المحاكم الاسلامية.

إنَّ التسامح الاسلامي معهم كان يختلف باختلاف الاسر الحاكمة، فكان بعض الخلفاء الراشدين أشداءَ عليهم، كذلك فإن الشريعة المنسوبة إلى عمر بن الخطاب واضحة الأبعاد

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٤.

والمرامي، هذه الشريعة التي حرمت المسيحيين، كلَّ مقومات وجودهم الإنساني، في الحرية والمعتقد والحياة الكريمة.

وقد ذكر صاحب «قصة الحضارة» نفسه، أن الخليفة عمر قد أخرج المسيحيين واليهود من جزيرة العرب لأنها أرض الاسلام المقدسة[1]، التي لا يجوز تدنيسها أو انتهاكها من الكفّار...

وخلاصة القول، أن العهد الأموي، إذا ما قيس بما أعقبه من عهود إسلامية، ورغم ما عانى خلاله الأرمن، يمكن تسميته بالفترة الأكثر تسامحاً والأقل إنتقاماً. فقد شهد هذا العصر إنفراجات ومهادنات مرحلية هامة ومتمايزة، أعطت الأرمن بعض إستقلالهم وحريتهم.

وعلى العموم فان السياسة التي انتهجها الأمويون في أرمينية، كانت جزءاً من سياستهم العامة، أي سياسة «فرِّق تسد» من هنا نفهم، سعيهم الدائم إلى ضرب العائلات الأرمنية ببعضها وخصوصاً عائلات «باقرادوني»، و «ماميكونيان»؛ وهذه الأخيرة عرفت بالتطرّف ونصبت نفسها المدافع الوحيد عن أرمينية وديانتها. الأمر الذي أكسبها حقد العاهل الأموي[2]. أضف إلى ذلك حذر العرب من الأرمن بسبب ولائهم للبيزنطيين.

ومهما قيل من إيجابيات وسلبيات في سياسة المسلمين الأمويين حيال الأرمن، فان المأساة الأرمنية، تبقى ماثلة

---

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص. ١٣٠.

(٢) ـ دكتور فايز نجيب إسكندر، مؤرخو الأرمن في العصور الوسطى ـ ٢ ـ أريستاكيس اللستيفرتي، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة (١٠٠٠ ـ ١٠٧١ م)، القاهرة، ١٩٨٣، ص. ١٨.

للعيان، تزداد حجماً وتنوعاً، كلما توالت السنون وتعاقبت الدول والممالك.

فكيف كانت سلوكية المسلمين، على إمتداد الخلافة العباسية، تجاه المسيحيين عامة والأرمن خاصة؟!

القسم الثالث: الأرمن والدولة الاسلامية ـ العباسية:

بعد سقوط الدولة الأموية وسيطرة العباسيين واستئثارهم بالخلافة، عقب معارك دامية بين المسلمين؛ فُتحت صفحة جديدة في التواصل أو في التلاقي الاسلامي ـ الأرمني، كانت أشد إيلاماً وأكثر سواداً من سابقتها.

I ـ المناخ الإجتماعي والسياسي في ظل الحكم العباسي:

مع إطلالة الدولة العربية العباسية عام ٧٥٠ م، كانت البلاد الأرمنية في حالٍ من الغليان والضياع، شأنها في ذلك شأن معظم المناطق الشرقية. وازدادت الأمور سوءاً بين العرب والامبراطورية البيزنطية فاستفادت هذه الأخيرة من هذا الواقع المضطرب، فعمدت إلى احتلال أرمينية، وقد ساعد العديد من الأرمن في هذه الحروب ضد العرب.

إنَّ الخلافة العباسية، التي إستمرت نيفاً وخمسة قرون، تعتبر الأطول والأخصب في تاريخ المسلمين العرب. لقد شهدت أحداثاً كثيرة وكبيرة. وتداخلت فيها أعراق وشعوب مختلفة ومتعددة، فتشابكت المصالح والمطامع والأغراض. فتآمر الإبن

على أبيه والأخ على أخيه، واختلت الموازين والمقاييس وأصبح عصرهم هذا، عصر المتناقضات، يطالعك بكلِّ شيءٍ. فأنت أمام مجتمع يبهرك ويدميك في آن، فهو ذهبي في فكره وأدبه، ترابي في إنسانه وقيمه. شعوب كثيرة، حظيت بسلطة واسعة ونفوذ كبير خلال تعاقب العصور العباسية. بحيث يلتبس عليك الوضع الإجتماعي والسياسي، فتتساءل أحياناً، هل أنت أمام عصور فارسية، تركية، بويهية، سلجوقية أم أمام أعصر عباسية عربية إسلامية؟ وفي قصة الحضارة، بعض الصورة والحقيقة فتقول:

«... وكان رؤساء الجند الأتراك من عهد المعتصم إلى آخر أيام الدولة العباسية هم الذين يرفعون الخلفاء إلى العرش ويسقطونهم، ويأمرونهم ويغتالونهم. وأصبحت قصور الخلفاء في بغداد مباءة للدسائس الدنيئة، والاغتيالات وسفك الدماء، مما جعل الخلافة العباسية في آخر أيامها غير خليقة بأن يبقي التاريخ على ذكراها»[١].

العوامل الداخلية أفسدت أحوال الخلافة[٢]، ثم جاءت القوى الخارجية لتقضي عليها. ناهيك عن الصراعات الدينية والمذهبية والعداوات العنصرية والمناطقية والإقليمية. فلم يكن العـرب، والفـرس، والسـوريـون، والبـربـر، والمسيحيـون، واليهود، والأتراك، لم يكن هؤلاء جميعاً يجتمعون إلاّ على

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، دار الفكر، الجزء الثاني من المجلد الرابع، بيروت ١٩٨٨، ص. ٩٩.

(٢) ـ تفشت الشهوات والترف والبطالة، واللواط... بين طبقة الحكام وتعدى ذلك إلى الشعب نفسه، فضعفت صفاته الحربية. المرجع نفسه، ص. ٩٨.

إحتقار بعضهم بعضاً؛ والذي زاد في الطين بلّة، أن الدين الذي كان من قبل يجمع شملهم ويوحِّد صفوفهم قد فرقهم وقسمهم شيعاً[١] متصارعة متناحرة.

في العهود العباسية، إنقلبت السياسة العربية ـ الاسلامية، انقلاباً جذرياً، وتبدلت التحالفات والمواقع، عملاً بالقول المأثور: «صديق عدوك عدوك، وعدو عدوك صديقك».

فاستحكمت العصبيات والعنصريات، وتحوّل المجتمع إلى بركان يموج بكل أنواع الصراعات بين هذه التعدديات العرقية والدينية والمذهبية والحزبية المختلفة. فانعدم كلُّ رادعٍ أو ضابط يحفظ توازن المجتمع واستقراره. طالت الفوضى، جَميع الفئات، فدفع الصغار ثمن جرائم الكبار، كما دفعت الأقليات ضريبة عددها أو قل ضريبة ضعفها. باختصار، إنه الوضع الشاذ إجتماعياً وسياسياً.

في هذا المناخ، تمَّ التلاقي الاسلامي ـ المسيحي، وبالأخص التلاقي الاسلامي ـ الأرمني، ولكن ما يهمنا من كل هذا، هو حقيقة هذا التلاقي أهميته ومصداقيته.

II ـ «كرونولوجيا» الأحداث بين المسلمين والأرمن، في ظل العباسيين:

منذ العهود الأولى للدولة العباسية (٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م)، بدأت تلوح في الأفق ملامح نهجٍ جديد حيال المسيحيين، في كلِّ بقاع آسيا، الخاضعين لسلطة الخلافة مباشرة أو بالواسطة. ففي هذا المناخ المتلبِّد، عادت رياح الذمية تهب قوية زمن

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٩٨ ـ ٩٩.

العباسيين، فطاولت بسمومها جميع الأقليات المسيحية وغير المسلمة، بمن فيهم الشعوب الأرمنية في آسيا الصغرى ومناطق الخلافة الاسلامية. وكان ذلك منذ إطلالتهم الأولى، حيث أقام أبو العباس السفاح[1] أخاه أبا جعفر المنصور[2] والياً على الجزيرة وآذربيجان وأرمينية كلها مدة خلافته[3].

في بحثنا هذا، لن نقوم بسرد تاريخي لوقائع هذا العصر، على أهميتها، بل سنتوقف عند أبرز المحطات المعبرة والكاشفة لخفايا وأبعاد علاقات المسلمين بالأرمن، دون الإكتراث للتسلسل التاريخي إن لم يكن ذلك موجباً.

١ ـ أرمينية ضمن المخطط الاسلامي الكبير:

لم تكن أرمينية خارج المخطط الاسلامي الكبير، الذي راح يفرض سيطرته على معظم مناطق الشرق ومدنه. هذا الحلم، راود مخيلة الخلفاء المسلمين من أمويين وعباسيين، ولكن ظروفاً كثيرة، داخلية وخارجية، حالت بينهم وبين رغبتهم في جعل أرمينية بلداً إسلامياً، كغيره من البلاد التي فتحوها مثل العراق، والشام، ومصر، والمغرب مثلاً[4].

فرض المسلمون، سيطرتهم المباشرة على أرمينية، طيلة

---

(١) ـ أول خليفة عباسي (٧٥٠ ـ ٧٥٤ م).

(٢) ـ أصبح بعد ذلك، ثاني الخلفاء العباسيين (٧٥٤ ـ ٧٧٥ م).

(٣) ـ تاريخ الطبرى، الجزء الرابع، دار المعارف ١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة، ١٩٧٧، ص. ٢٤٦. راجع سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ٥٩.

(٤) ـ الدكتور صابر محمد حسين، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، مصر، ١٩٧٨، ص. ٦٣.

قرنين من الزمن، وذلك منذ العام ٦٤٠ للميلاد، كما حكموها مراراً بواسطة أمرائها الوطنيين، وتدخلوا في شؤونها الداخلية، مستخدمينها ورقة ضغط في وجه بيزنطية.

ومنذ اللحظة الأولى ٧٥٠ م، عمد العباسيون إلى عزل العائلات الأرمنية، التي ناصرت أعداءهم الأمويين. من جهة أخرى، فان الصراع المستميت بين العباسيين والأمويين، عمّق أكثر فأكثر التباعد بين المسلمين أنفسهم، أو قل كرّس الإنفصال بينهم إجتماعياً، وسياسياً وعقائدياً.

أما العوامل والظروف التي لعبت دورها الرئيس، في إفشال المخطط العربي الهادف إلى ضم أرمينية إلى امبراطوريتهم الإسلامية كثيرة، نذكر بعضها:

أ ـ الصراع الإسلامي ـ الإسلامي والحروب الأهلية الداخلية.
ب ـ الاطماع البيزنطية في أرمينية.
ج ـ جغرافية أرمينية وطبيعة أرضها وشعبها.
د ـ المقاومة الأرمنية العنيفة.
هـ ـ المخاطر الخارجية التي كانت تحيط بالدولة الإسلامية.

ولمّا أدرك العرب المسلمون، إستحالة ضم أرمينية نهائياً إلى دولتهم، عمدوا إلى سياسة الترهيب والترغيب. فما لا يؤخذ بالسيف قد يؤخذ بالمعاهدة والتحالف. هذا ما يستنتجه الباحث في عمق العلاقات الاسلامية العربية ـ الأرمنية. يقول: «Pasdermadjian» مؤرخ أرمني الأصل ما يلي:

«. . . وقد بذلت الدولة الاسلامية ـ على مراحل عصورها ـ جهودها لنشر الاسلام، بين الأرمن. إلاّ أن نتاج جهودها، في هذا المجال، لم تكن بنفس القوة، كما لم تأتِ بنفس التأثير

والفائدة، التي حصلت عليها دولة الاسلام في مناطق أخرى، كمصر، والشام، والعراق، وبلاد المغرب. . . »[١].

أضف إلى ذلك، فان الدولة الاسلامية كانت تدرك إستراتيجية أرمينية وأهمية الدور الذي لعبه الأرمن كحاجز (Etat Tampon) بينها وبين شعوب ما وراء (عبر) القوقاز. . . أدرك المسلمون إذاً، أهمية أرمينية وشعبها كسدٍ حصين يقيهم أخطار هذه الشعوب، «الجورجيون» و «الالبانيون» فضلاً عن «الخزر» سكان شمال القوقاز منذ القرن السادس الميلادي الذين غالباً ما زحفوا حتى شمال أرمينية بإيعاز وتحريض من الامبراطورية البيزنطية، بهدف إضعاف القوة الاسلامية وهذا ما جعل الدولة الاسلامية، بحاجة ماسة إلى التعاون الوثيق مع الأرمن وكسب دعمهم، بغية صد المخاطر القوقازية والبيزنطية المحدقة بهم[٢].

أرمينية إذاً، شكلت عمقاً إستراتيجياً، وسياسياً وإقتصادياً وعسكرياً، للدولة العربية الاسلامية. من هنا نفهم، أنها تخطت بأهميتها ومكانتها هذه، فكرة نشر الدعوة الاسلامية أو فرضها. ولكن تحت ستار الدين وباسمه، كانت ترسم وتنفذ كل مخططاتها السياسية والعسكرية وغيرها. . .

وفي هذا الإطار، يؤكد «Pasdermadjian»، كما يؤكد غيره أن الخلفاء العباسيين كانوا يلجأون في كثير من حالات التمرد

---

(١) ـ Pasdermadjian (Originaire d'Arménie), Histoire de l'Arménie (Depuis les Origines Jusqu'au Traité de Lausanne), 2 ème Ed, Paris, 1963, P.128.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ١٢٩ راجع أيضاً الدكتور صابر حسين، المرجع السابق، ص. ٦٤.

الداخلية، إلى طبقة النبلاء المحاربين الأرمن ـ ولو ظرفياً ـ لقمع تمرد ولاتهم المسلمين ضدهم[١].

في هذا المناخ، نفهم تشبّث العرب المسلمين وإصرارهم للسيطرة على أرمينية أو التحالف معها. كما نفهم سلسلة غزواتهم وحروبهم ضدها. ولكن ما لا نفهمه هو القمع والعنف والاضطهاد، الذي مورس من قبلهم، ضد الشعوب الأرمنية في كل مكان.

٢ ـ أبرز المحطات في العلاقات الاسلامية العباسية ـ الأرمنية:

كانت العلاقات الأرمنية الاسلامية تتقلب تبعاً للسياسة التي ينتهجها خلفاؤهم، ووفقاً لثوابت دينهم ومعتقداتهم وتقاليدهم، دون إغفال لسائر العوامل، والموقف السياسي العام.

كيف نظر المسلمون إلى أرمينية؟ وما هي حقيقة السياسة التي طبعت العلاقات بين العباسيين والأرمن؟.

بعد سقوط الحلم بضم أرمينية إلى الدولة الاسلامية، سقطت كذلك، مقولة قيام تحالف دائم وقوي بين الأرمن والعرب؛ وحتى بين الأرمن وبيزنطية. ومردّ ذلك، إلى طبيعة الشعب الأرمني المقاوم، وتمسكه باستقلالية كنيسته ووطنه. إن التضحيات التي قدمها الأرمن، عبر تاريخهم، هي التي ساهمت إلى حدٍ بعيد، في حفظ وجودهم وهويتهم. ولولا ذلك، لما نعمت أرمينية ببعض الحرية وشبه الاستقلال، في العديد من ولاياتها. إلى ذلك، لم تسلم أرمينية، من ضربات ونكبات

(١) ـ المرجع نفسه ص. ٦٥، بالاستناد إلى: Allen, W. Hist. of Georgian People (Londres, 1932), P.79.

قاصمة، على يد المسلمين أو البيزنطيين، على حدٍ سواء. والذي وفَّر المناخ لكل هذا، هو الصراع الدائم والمستحكم، بين الاسر الأرمنية الكبرى[١]. حيال علاقات المسلمين العرب بالشعوب الأرمنية، تطالعنا مواقف وآراء كثيرة وأحياناً متباعدة ومتضاربة. في هذا السياق نورد ما قالته الدكتورة الأرمنية، «سيراربي نارسيسيان»:

«إنه بمجرد ولوج هؤلاء المسلمين للأراضي الأرمنية، وحط رحالهم فيها، فانهم اندمجوا في الحياة العامة الأرمنية، والحياة الإجتماعية، بالتزاوج والمصاهرة. مما جعل من المستحيل نجاح أي عملية يكون هدفها مقاومة الوجود الاسلامي، أو محاولة إزاحته عن أرمينية، باعتباره نفوذاً أجنبياً. ذلك أن الاندماج العربي الأرمني آتى ثماره بسرعة بين المسلمين والأرمن في أرمينية»[٢].

رداً على ما أوردته الدكتورة نارسيسيان نسجِّل الملاحظات التالية:

أ ـ في المفهوم الإجتماعي والسياسي، يتولد الإندماج غالباً، من وضع إرادي توافقي.

ب ـ إنَّ المجتمع الأرمني، متشدد جداً كي لا نقول مغلق، خصوصاً في شأن التزاوج والمصاهرة. فهو يرفض التزويج والتزاوج من غير الأرمن، حتى ولو كانوا

---

(١) ـ Vardan (Trad. Par Muy Idermans): La Domination Arabe en Arménie, Sd, P. 110 - 111; cf Pasdermadjian, Ibid, P. 133; Voir aussi Dr.Saber Houssayn, Ibid, P.66.

(٢) ـ Sirarpie Nercessian , The Armenians , Norwich, Sl, 1972, P.33.

مسيحيين، فكيف يقبله من المسلمين. وإذا كان قد حصل هذا فعلاً، فيكون بالقوة والإكراه، وهذا ما أكدته غالبية المراجع.

ج ـ إنَّ الوقائع والأحداث الكثيرة والمتتالية بين المسلمين والأرمن، خلقت واقعاً مضطرباً، كما أكدت وجود مقاومة أرمنية شرسة في مواجهتهم؛ خلافاً لما أوردته الدكتورة نارسيسيان.

د ـ الحالات الاستثنائية لا تشكل قاعدة. والحديث عن إندماج في المجتمع الأرمني أو معه، قد يكون هو المستحيل وليس العكس.

أما أبرز المحطات الواجب التوقف عندها، في علاقة المسلمين مع الأرمن، زمن العباسيين، تتمثل في العهود التالية:

العباس أبي عبد الله السفاح، أبو جعفر المنصور، المهدي، هارون الرشيد، الأمين، المأمون المعتصم والمتوكل...

توخياً للدقة والإيجاز، سنحاول بالاستناد إلى مختلف المراجع، إنتقاء عينات من أبرز إيجابيات وسلبيات أهم العهود العباسية، وفقاً للجدول التالي:

إسم الخليفة	الوالي على أرمينية	الفترة الزمنية	أبرز الأحداث بين المسلمين العرب والأرمن ايجابياتها وسلبياتها
العباس أبي عبد الله السفاح	أبو جعفر المنصور	٧٥٠ ـ ٧٥٤ م.	ـ وقف الأرمن ضد العرب في قتالهم الروم. ـ أخضع المنصور الأرمن لنظام ضريبي دقيق، بحيث «جعل في رقبة كل أرمني ختماً من رصاص»، ولم يستثنِ طبقة الحكام (النبلاء أو التخارارك) من ذلك.
أبو جعفر المنصور	يزيد بن أسيد	٧٥٤ ـ ٧٧٥ م.	ـ دخلت قبائل عربية كثيرة إلى أرمينية (اليمنية ـ بنوقيس الخ). ـ أقام المنصور «ساهاك باقرادوني» حاكماً عاماً على أرمينية.

			ـ سيادة عباسية على الأرض ـ غارات عربية متتالية وثورات أرمنية كثيرة ضد الحكم الاسلامي ـ تشدد وقسوة.
المهدي	سمباط باقرادوني وبقراد باقرادوني	٧٧٥ ـ ٧٨٥ م.	ـ إستقلال ذاتي تحت سيادة البطاركة الأرمن. ـ إزداد دور الكنيسة الأرمنية. ـ لم تكن علاقتهم بالعرب تتعدى دفع الجزية المقررة.
هارون الرشيد	يوسف بن راشد السلمي ـ محمد بن زهير الضبي	٧٨٦ ـ ٨٠٩ م.	ـ سياسة متوازنة مع الأرمن. ـ فترة رخاء وازدهار. ـ أكرم قادة الأرمن وأعيانهم ـ دفع الجزية.
الأمين	ـ أسد بن يزيد اسحق بن سليمان		ـ عهد ضيق واتساع، تشدد في الجزية والضرائب. ـ حركة عصيان أرمنية، أعلنها بعض الأمراء والأعيان.
المأمون	ـ خالد بن يزيد ـ عيسى بن محمد		ـ إضطراب وفوضى. ـ تشدد وقسوة.
المعتصم	ـ (الأفشين) حيدر بن كاوس		ـ عام ٨٤٩ م يواجه المعتصم ثورة الأرمن عليه. ـ توقفت الثورة، بسبب الخلافات بين قادة الأرمن، وتشدد القائد العربي خالد بن يزيد وقسوته ضدهم. ـ تشدد في دفع الجزية.
ـ الواثق ـ والمتوكل	ـ خالد بن يزيد ـ محمد بن خالد ـ يوسف والبغا	٨٤٢ ـ ٨٤٧ م. ٨٤٧ ـ ٨٦١ م.	ـ أعلنت أرمينية العصيان وتحولت إلى بركان يغلي. ـ شهدت البلاد الكثير من الظلم والجور. ـ فعمت الفوضى، خصوصاً أن الدولة العباسية كانت بدأت مرحلة انحطاطها والعد العكسي لانهيارها.

هذه العينات المأخوذة من العهود العباسية تضعنا أمام المسلمات التالية:

أ ـ دفع الجزية، أصبح أمراً بديهياً في ظل كل العهود الاسلامية.

ب ـ العهود العباسية وإن تخللها بعض التسامح والانفراجات

---

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٢، ص. ٢٠٢ وحتى ص. ٢٢١. راجع أيضاً سمير عربش، المرجع السابق، ص. ١٠٠ ـ ١١٥؛ راجع د. صابر حسين، المرجع السابق ص. ٦٧ ـ ٨٢، راجع د. فايز نجيب إسكندر أريستاكيس، المرجع السابق، ص. ٢٠ ـ ٥٣.

السياسية والعسكرية، إلاَّ أن الطابع الغالب عليها هو التشدّد والقسوة.

ج - ثورات أرمنية كثيرة، في وجه العرب، وهي تدل على أن العلاقات بينهم وبين المسلمين العرب، لم تكن ودية وصافية؛ وإلاَّ ما الذي يبرر كل هذه الثورات؟

د- إعتباراً من القرن التاسع للميلاد، أصيبت الدولة العباسية بالوهن والتفكك، الأمر الذي يبرر تبدل الظروف السياسية وتسارعها.

هـ- حتى في الفترات التي حكمت أرمينية من قبل حكّامها وأمرائها، لم تنعم بكامل السيادة والإستقلال، لأن هؤلاء كانوا مرتهنين للخارج غالباً كي لا نقل دائماً. . .

ومهما قيل عن روح التسامح، التي طبقها المسلمون في تعاطيهم مع الأرمن وسائر المسيحيين، فان الاضطهاد الديني لم يغب أبداً عن سلوكيتهم هذه. فعهدا الرشيد والمتوكل مثلاً، خير شاهد على حقيقة هذا الواقع. وقد جاء في قصة الحضارة ما يلي:

«. . . وجدَّد المتوكل الأمر المعزو إلى عمر بن الخطاب ضد المسيحيين، والذي وسعه هارون الرشيد حتى شمل اليهود (٨٥٠)، ثم جدَّد المتوكل هذا الأمر ففرض على اليهود والمسيحيين أن يلبسوا ثياباً من لونٍ خاص تميزهم عن غيرهم من أفراد الشعب، وأن يضعوا رقعاً ملونة على أكمام أثواب عبيدهم، وألا يركبوا غير البغال والحمير، وأن يثبتوا صوراً خشبية للشيطان على أبواب بيوتهم، وأمر بهدم جميع الكنائس والمعابد المسيحية واليهودية الجديدة، وحرَّم رفع الصليب علناً في المواكب المسيحية، ولم يسمح لمسيحي أو يهودي أن

يتلقى العلم في المدارس الإسلامية»[1].

تؤكد معظم المراجع، أن المتوكل[2] كان أكثر الخلفاء قسوة وتعصباً وأصولية في مواجهة النصارى عموماً والأرمن خصوصاً. ففي عهده عادت الذمية إلى واجهة الأحداث، وانتعشت فكرة الجهاد لمحاربة الكفار والمشركين. وكان للأرمن، كما رأينا، حصة الأسد من هذا النهج المتوكلي، الذي راح يعمل على حدّي الدين والعرق.

في عهد هذا الخليفة وفي عهد واليه على أرمينية يوسف بن محمد المروزي[3]، تفجرت الأحقاد وعانت الشعوب الأرمنية الكثير من الظلم والتنكيل. وكان من نتائج هذه السياسة الخاطئة والمرفوضة، أن نشبت الثورات وقامت الحروب في وجه الخلافة العربية ـ الاسلامية. فانتصر الأرمن في بعضها. لكنَّ المتوكل، عاد فجيَّش حملة الثأر الثالثة ضد الأرمن، بقيادة كبار قواده الأتراك[4]، فانتصروا عليهم ودخلوا أرمينية الرابعة حيث أسروا الأمير الأرمني «سمباط الثامن البجراطي» والكثير معه وأرسلوهم مكبلين إلى بلاط المتوكل، وارتكبوا الفظائع وقتلوا العديد من الأرمن إنتقاماً. كما لاحقوا الفارين من الأرمن وعاملوهم معاملة شنيعة. خلال هذه الحملة حصل

---

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢ م ٤، بيروت ١٩٨٨، ص. ٢٠٢.

(٢) ـ أبو الفضل جعفر المتوكل، هو عاشر خلفاء بني العباس، تولى الخلافة عام ٨٤٧ م.

(٣) ـ عيِّن والياً على أرمينية عام ٨٤٩ م.

(٤) ـ بقيادة القائد التركي «بغا الكبير الشرابي»، الذي ورد ذكره في شعر بعضهم دلالة على سيطرة هؤلاء الأتراك، على مقدرات «الدولة وسلطة الخليفة، الذي أصبح كالببغا في عهدهم».

الكثير من عمليات النهب والسبي، شأنهم في ذلك شأن كل الغزاة السابقين. والحقيقة أنهم خربوا إقليم ما وراء القوقاز وعاثوا فيه فساداً قتلاً وتدميراً[١].

ففي سياسة المتوكل العدائية حيال الأرمن والمسيحيين عامة، نجد الكثير من صور المهانة والاضطهاد، فطبقت الذمية بكثير من التشدّد والمبالغة. كذلك نجد كما يجد غيرنا، أن روح التسامح والتحالف الاسلامي، التي شهدتها بعض الفترات من العصور الاسلامية ـ العربية؛ إضمحلت جزئياً أو كلياً في عصور إسلامية أخرى أكثر أصولية وتشدّداً؛ هذا ما يؤكده «ول ديورانت» صاحب موسوعة الحضارة، حيث يقول:

«. . . ولمّا إنتصر أهل السنة ضعفت روح التسامح الديني، وعادت إلى الوجود شيئاً فشيئاً القواعد الصارمة التي يعزونها إلى الخليفة عمر بن الخطاب. . . ولا تزال هذه هي النصوص الحرفية للشريعة الاسلامية وإن لم تكن هي المعمول بها على الدوام. . »[٢].

لقد تركت الفتوحات الاسلامية، إنعكاساتها على مختلف المجموعات المسيحية وغير المسلمة في كل مكان. فكان من أبرز نتائجها وسلبياتها، بعد الفتح الاسلامي ـ العربي لشمالي إفريقية، أن إختفت المسيحية من هذا الإقليم إختفاءً تدريجياً

---

(١) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الجزء ٤، مجلد ٤، القاهرة ١٩٦٥، ص. ٢٠٠، ٣٦٦ و ٣٦٧.

ولكنه يكاد يكون تاماً[1]. ونجد أن السبب الطبيعي في كل ذلك يعود إلى عاملي الترهيب والترغيب.

فالترهيب يكون بحد السيف أو بالضغوطات المعنوية والاضطهادات التي تفرضها قوانين الذمية. أما الترغيب، فيشمل كل الاغراءات التي تمتع بها المسلم نفسه بما في ذلك الجوانب الإقتصادية وما يتبعها من متعٍ وملذاتٍ وكسبٍ للجنة، هرباً من الجحيم وناره الخ.

هذه السلوكية كان لها تأثير مباشر في حركة إعتناق الاسلام من قبل العديد من الأقليات الدينية الأخرى. فقد كان غير المسلمين يؤدون الفرضة، التي أعفي منها إلى وقت ما من يعتنقون الاسلام. فالبربر مثلاً، لم يعتنقوا الاسلام وحسب، بل أصبحوا فوق ذلك أكثر أنصاره تعصباً له ودفاعاً عنه. كذلك، «لما عرض والي مصر العربي على أهل البلاد هذا الإعفاء عام (٧٤٤ م.) إعتنق الاسلام ٢٤,٠٠٠ من المسيحيين. وربما كان الاضطهاد الذي وقع على المسيحيين، كان شديداً، قد أثر في كثيرين من المصريين فحملهم على الدخول في دين الحكّام. غير أن أقلية قبطية في مصر ظلت مستمسكة بدينها بشجاعة وأقامت كنائسها شبيهة بالحصون، كانت تؤدي فيها مناسكها سراً»[2].

إنَّ الاضطهاد الذي مارسه الرشيد والمتوكل، حيال الأرمن، كان سبباً مباشراً وأساسياً في قيام العديد من محاولات الرفض والانتقام التي قام بها الأرمن لمواجهة هذا الظلم. لذلك نجدهم يقتنصون الفرص المؤاتية داخلياً وخارجياً، للإنسلاخ

(١) ـ المرجع نفسه، ج ٢، م ٤، ص. ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٧٦.

عن سلطة المسلمين وهيمنتهم، وهذا ما حصل إثر إندلاع الفتن والحروب الأهلية في العالم الاسلامي، حين إرتقى الخليفة العباسي المتوكل على الله الخلافة (٨٤٧ ـ ٨٦١ م). هذا الخليفة هو الذي دبَّر القيام بعمليات تأديبية ضد الأرمن لإيقاف ما سماه المؤرخون ـ غروسيه وغيره ـ «بالانزلاق الأرمني»، مما جعل الأرمن يطلقون عليه لقب: نيرون العصر الاسلامي[١].

إن أعمال المتوكل في أرمينية، مباشرة أو بالواسطة، تجعله بحق صاحب هذا اللقب، نظراً لما أقدم عليه من قسوة وتشدّد في فرض الجزية وتضييق الخناق على الولايات الأرمنية، بغية ترويضها لتطويعها، إلاّ أن الرياح الأرمنية لم تهب وفق ما تشتهي سفن المتوكل. لذلك ثارت الكرامة الأرمنية فانتفضت مقاومتهم في وجه الجيوش العربية وهزمتها ـ بعد أن توحدت التيارات الأرمنية المتنازعة ـ عام (٨٥٠ م.) ففرت هذه الجيوش إلى بتليس.

لم يرضَ المتوكل بهذه الهزيمة الموجعة، فحرك جحافل المسلمين المتفوقة عتاداً وعديداً، فدخلت أرمينية وأدّبتها، ثم فرضت عليها جزية مرهقة جداً، ثم ألقيّ القبض على «باجارات البجراطي» الطاروني وأرسل مكبلاً بالاغلال إلى بلاط الخليفة «المتوكل العباسي» في سامراء سنة (٨٥١ م.)[٢]. وحقيقة الأمر أن الأمير العباسي «يوسف بن محمد» ـ بعد أسره لأمير الطارون وكبار النبلاء والأمراء الأرمن فيه ـ ظنَّ أنه أصبح سيد الموقف وأنه يملك زمام الأمور كلها في أرمينية وانها أصبحت

---

(١) ـ الدكتور صابر حسين، أرمينية من الفتح العربي. . . المرجع السابق، ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) - المرجع نفسه، ص. ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧.

في قبضته وتحت رحمته. لكن الأمور لم تكن على هذا النحو، فقد جهل هذا القائد العربي أموراً كثيرة، تدخل في الاستراتيجية العسكرية ومنها طبيعة الشعب والأرض، وهذا ما تحدث عنه الدكتور صابر دياب حسين، إذ قال ما حرفيته:

«... في الحقيقة نسي الأمير العباسي أو تناسى عاملاً هاماً لم يعمل حسابه، وهو شعب الطارون، خاصة أهل الجبال الشديدي المراس في «خويت»، الذين تجمعوا وتسلحوا ليناوئوا هذا الأمير المسلم إستجابة لعصبيتهم الجنسية واندفاعاً مع تعصبهم الديني...»[١].

وهكذا نجد أن المعطيات السياسية تفرض ذاتها في المعادلات والتوازنات، لذلك زحف أهل الجبال الطارونيون إلى مدينة «موشى» - الطارونية - وهجموا على الحامية الاسلامية الموجودة فيها وذبحوها عن آخرها، وخلصوا أسراهم الذين كانوا هناك. والمفارقة الغريبة في هذا، أن الأمير «يوسف بن محمد» هرب محتمياً داخل كنيسة، ثم قتل فوق سطحها.

مرة جديدة تبرز أهمية العنصريات والعصبيات، عرقية كانت أم دينية، في مسار الأحداث، بحيث أصبحت من المسلمات والثوابت في تاريخ الإنسان قديمه وحديثه، ونحن لا ندعي على الاطلاق أنَّ هذه العصبيات كانت حكراً على فريق أو طائفة دون الأخرى. ولكن المسافة بينهما تبقى كالمسافة بين الفعل والاستجابة أو ردة الفعل.

---

(١) - Grousset, R. Ibid, P. 358; Cf. Dr. Saber Diyab Houssayn, Ibid, P.P.117, 118.

الهزيمة كبيرة ومؤلمة، لذلك كرر المتوكل هجماته على أرمينية[1]، التي كان من نتائجها إحراق مدينة «تفليس» بمن فيها، فقضى خمسون ألفاً حرقاً، ناهيك عن النهب والسلب والتعديات.

من الأخطارِ الأساسية والاستراتيجية التي ارتكبها العباسيون إذاً، كان إحراق مدينة تفليس وتخريبها، هذه المدينة التي شكلت في فترة الأمويين مركزاً مهماً لهم، فأصبحت إمارة اسلامية. فاحراقها كان بمثابة من يسقط البيت على رأسه ورؤوس أعدائه. وبالفعل يؤكد الباحثون أن نفوذ المسلمين في بلاد القوقاز بدأ يتقهقر ويتلاشى منذ إحراق تفليس، الحدث الكارثة[2]. وكانت حملة بغا الكبير، حملة تأديبية بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

مرة جديدة، نتوقف عند التفكك الأرمني الداخلي، الذي شكَّل ولا يزال النزف الدائم في كيان الأمة الأرمنية.

ففي معركة بغا هذا، كان الأمير «سمباط البجراطي» ملتحقاً كتابع في الجيش العباسي، لذلك لم يستطع القائد التركي لجيش المتوكل من رفض إطلاق الاسرى الأرمن، تقديراً لولاء سمباط له. لكنه عجز عن إطلاق سراح الأمير الاردزروني «أشوط»[3].

---

(١) ـ من أهم هذه الهجمات تلك التي قادها «بغا الكبير» وضمت ٢٠٠ ألف من المسلمين وكان المتوكل قد أمره بالقاء القبض على كل أمراء الأرمن المتمردين على النفوذ العباسي في أرمينية عام ٨٥٢ م.

(٢) ـ المسعودي: مروج الذهب ج ٣، ص. ٦٧، المرجع نفسه، ص. ١٢٠.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ١٢٢ ـ ١٢٣.

ظلت المعارك بين المسلمين والأرمن على شدّتها ووتيرتها، زمن العباسيين، من هزيمة، إلى نصر إلى تحالف وخضوع. نذكر في هذا السياق حادثة لها دلالتها؛ تقول الحادثة:

... رغم النصر الذي أحرزه «كوركين أردزروني» وحلفاؤه الأرمن، غير أنه وقع في الفخ، فمثل أمام القائد التركي العباسي «بغا الكبير»، فخلع عليه تاج إمارة ـ الفاسبوراكان، قابلاً هذا المظهر من التبعية للمسلمين، وقلده سيفاً وأركبه بغلاً...

وفي العام (٨٥٣ ـ ٨٥٤ م)، وصلت الجيوش العباسية، إلى تفليس فحاصرتها وقبضت على أميرها إسحق بن إسماعيل فصلبته وقطعت رأسه، ثم أحرقت المدينة...[١].

في هذه الفترة، من الفتوحات الاسلامية، يمكننا القول انها حملت عنوانين كبيرين أساسيين هما:

أ ـ تأديب أرمينية والبلاد المحيطة بها.
ب ـ تأديب أمراء العرب المسلمين المنشقين عن طاعة الخليفة العباسي[٢].

كان من الطبيعي والحال هذه، أن يلجأ الأرمن إلى طلب نجدة البيزنطيين للتخلص من الخطر العباسي. ولكن خلال وجود «بغا» في أرمينية أقدم على الكثير من الأعمال الانتقامية،

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ١٢٤ ـ ١٢٦.
(٢) ـ وكان على رأس هؤلاء موسى ابن زرارة «أمير أرزن» وإسحق بن إسماعيل أمير تفليس. راجع الطبري: ج ٣ ص. ١٤٠٩ والبلاذرى: فتوح ص. ٢١١ ـ ٢١٢؛ Grousset, R: Ibid, P. 363

حتى أنه إرتد على الذين ناصروه من الأرمن وغيرهم أمثال «سمباط أبلاباس» الذي القى به في السجن.

وفي نهاية المطاف، أصبح جميع الأمراء والنبلاء الأرمن[1]، الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للمقاومة الأرمنية، في وجه جيش المسلمين العرب، أصبح هؤلاء في قبضة الخليفة المتوكل في سجون سامراء. «أما سائر الأمراء الأرمن لم يقتلهم المتوكل لتظاهرهم باعتناق الاسلام أمام الخليفة العباسي، بينما ظلوا على نصرانيتهم في الباطن، ومنهم بصفة خاصة «باجارات الباجراتوني» أمير طارون»[2].

ولكن المؤسف في كل هذا، إضافة إلى تضييق المسلمين على الأرمن، هو تآمر بعض أمراء الأرمن ضد بعضهم الآخر لحساب العرب، كما حصل بين «غريغور ماميكونيان» و «أشوط الكبير»، عندما أقدم هذا الأخير، على قطع رأس «غريغور» (ولو كان ذلك بعد وفاته) وإرساله إلى الوالي العباسي محمد بن خالد، مع رسالة يقول له فيها: «إنه أراد أن ينتقل إلى الروم، فأرسلت (أي أشوط) في أثره قوات تعقبته وقتلته، وهاكم رأسه أمامكم»[3].

أخيراً، لن ننسى الدور الكبير الذي قام به سادة الكنيسة الأرمنية من بطاركة وأساقفة، دفاعاً عن كرامة شعبهم وحفاظاً

---

(١) ـ باجرات باجراتوني أمير أمراء أرمينية وولديه آشوط ودافيت وأخوه سمباط أبلاباس وأشوط أردزروني وابنه غريغوار الخ...

(٢) ـ Grousset, R: Ibid, P.369, n.1 راجع الدكتور صابر حسين، المرجع السابق، ص. ١٣١.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ١٣٧.

على أصالة كنيستهم واستقلال دولتهم، فقدموا الكثير من الشهداء في ساحة الشرف، كما حصل عام (٨٧٢ م)، عندما إستشهد بطريرك أرمينية على يد محمد بن الفضل بن سنان، قائد العباسيين[١].

III ـ خلفيات ونتائج العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، زمن العباسيين:

١ ـ أطراف العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية وحجم الإكراه فيها:

لكل لعبة، لاعبوها وممثلوها، ولكل ممثل دور يؤديه في مكان وزمان معينين، تحركه أصابع مخرج مبدع. نعم لكل فعل فاعلٍ. فمن هم الفاعلون في العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية وما حجم أدوارهم وانعكاساتها، زمن العباسيين؟

«... نستطيع القول انه مرّت على حكم العرب لأرمينية عهود قاتمة، كان السبب فيها بعض أولئك الولاة الذين جهلوا طبيعة الشعب الأرمني...»[٢].

ولكن لا يجوز أن نسقط من حسابنا، الدور السلبي الذي لعبه بعض كبار رجال الاقطاع الأرمن وزعماؤهم، الذين تهددت مصالحهم وسلطاتهم. وهذا العامل ترك أثراً واضحاً في عصيان الأرمن وثورتهم ضد المسلمين.

إلى ذلك، يوضح البلاذري موقف «بطارقة» أرمينية وأشرافها من عمال الخلافة العباسية فيقول: «لم يزل بطارقة أرمينية

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ١٣٩.

(٢) ـ مروان المدور، أرمينية عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٢٠٥.

مقيمين في بلادهم، يحمي كل واحد منهم ناحيته، فإذا قدم الثغر عامل من عماله داروه، فان رأوا منه عفة وصرامة، وكان في قوة وعدة أدوا إليه الخراج، وأذعنوا له بالطاعة، وإلا إعتمزوا عليه (أي تآمروا عليه) واستخفوا بأمره»[1].

في قول البلاذري، ثلاث ملاحظات:

أ ـ تأكيد لسلطة رجال الكنيسة الأرمنية وبطاركتها الزمنية، فكان لكل واحدٍ منهم ناحية يحميها. وهذا الواقع، هو ميزة المجتمع الأرمني المتلاحم مع كنيسته.

ب ـ إظهار حنكة هؤلاء القادة الكنسيين ودهائهم. يهادنون ويقاومون حيث يكون ذلك ممكناً وموجباً.

ج ـ الضرائب الباهظة ومنها الخراج، التي فرضتها الدول الاسلامية، كما فرضها غيرها، على المجتمع الأرمني.

وحقيقة القول، ان سياسة أرمينية كانت متقلبة جداً، تتغير وفق مصالحها، فكان أن أكسبتها هذه السياسة حقد المسلمين والبيزنطيين معاً. فهي لا مع هؤلاء ولا مع أولئك، بل هي مع مصالحها فقط[2].

فعقب مقتل المتوكل (٨٦١ م)، مثلاً، هادن العباسيون الأرمن، نتيجة الفوضى والاضطراب في الخلافة العباسية. لذا

---

(١) ـ البلاذري: فتوح البلدان، ليدن ١٨٦٦، ص. ٢١٠ ـ ٢١١، راجع فايز نجيب إسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، في مصنف أريستاكيس، ١٩٨٣، ص. ٢٠

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ١٤٩.

أطلق «العاهل» العباسي سراح أمراء الأرمن المعتقلين في سامراء وبغداد، فعادوا إلى مواطنهم الأصلية لينقضوا على ما كانوا قد تعاهدوا عليه مع العباسيين. فارتدوا عن الاسلام الذين تظاهروا باعتناقه غشاً وخديعة[1]. وقد شجعهم على ذلك أيضاً، تجدّد الصراع بين الامبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية.

هذه الحقائق تؤكد بكل وضوح ما يلي:

أ ـ فرض العباسيون، على أمراء الأرمن المعتقلين لديهم، إعتناق الاسلام بالقوة والإكراه. والدليل واضح، وهو إرتدادهم عن الاسلام الذين تظاهروا باعتناقه غشاً وخديعة، كما يقول أنطون خانجي.

ب ـ تحالفات الأرمن كانت تتم وفق متغيرين هما: قوة الطرف الآخر وحجم الخطر الذي يشكله عليهم. ثم مصالحهم وميزان الربح والخسارة.

ففي العام (٧٩٤ م)، أصدر الامبراطور البيزنطي قسطنطين السادس (٧٧٦ ـ ٧٩٧ م.) أوامره لنقل أعداد هائلة من الأرمن بالقوة والقهر إلى صقلية. ونتيجة لهذه السياسة الفاشلة والخاطئة، تحالف الأرمن مع المسلمين ضد البيزنطيين.

ولقد أدرك كلُّ الطامعين بأرمينية، من مسلمين وغيرهم، أن هذه البلاد بموقعها وجغرافيتها وعزيمة شعبها، تشكل حصناً

(١) ـ أنطون خانجي: مختصر تواريخ الأرمن، بيروت ١٨٦٨، ص. ١٧٣، راجع فايز نجيب إسكندر، المرجع السابق، ص. ٢٢.

منيعاً يصعب إسقاطه، أو إخضاعه، ما لم يعمل على زعزعة تماسكه الداخلي وضرب وحدته الوطنية، بتأليب زعاماته الزمنية والروحية بعضها ضد بعض. وهذه السياسة إنتهجتها كلُّ الشعوب التي غزت أرمينية أو كانت تطمع في غزوها.

والمحلل لعمق الصراع وشراسته، بين المسلمين والبيزنطيين للسيطرة على أرمينية، يدرك أبعاد هذه السياسة، كما يدرك أهمية أرمينية ومكانتها إستراتيجياً وإقتصادياً.

فقد كان المسلمون، من وقت لآخر يشنون الحملات، ويقومون بأعمال السلب والنهب والتدمير، ويؤلبون الاسر الأرمنية الاقطاعية الواحدة على الأخرى[١]. هذه الحقيقة، يمكن إعتبارها من الثوابت، التي شاركت في هزائم الأرمن ونكباتهم المتلاحقة والمتنوعة بتنوع مرتكبيها وأهدافهم ومفاهيمهم. تجمع المراجع تقريباً، على أن المكتفي بالله، عمل جاهداً على ضرب العائلات الأرمنية بعضها ببعض، لإضعافها، تسهيلاً لتنفيذ مخططه. ففي العام (٩٠٨ م.) أرسل هذا الخليفة، تاجاً ملكياً إلى جاجيك أردزروني، وذلك بهدف إقامة أسرة ملكية قوية في مواجهة آل بجراط. وبالتالي إشعال نار الحرب الأهلية بين الاسر الأرمنية الكبيرة، بغية السيطرة على الشعب الأرمني[٢].

وسط كل هذا، تبقى الصراعات الأرمنية ـ الأرمنية، المتغير الأساس والعامل الأهم الذي إستفاد منه أعداء أرمينية كلهم،

---

(١) - Movsessian, Histoire des rois Kurikian de lori, R.E,A, VII, 1927, P.216; Cf. Fayez Najib Iskandar, Op, Cit, P. 25.

(٢) - المرجع نفسه، ص. ٢٦.

وبخاصة خلفاء بني العباس، حيث تضافرت الظروف لتخدم عقلهم السلطوي ونهجهم التوسعي. على هذا الوتر عزف الخلفاء والولاة العباسيون طيلة مئات من السنين. أضف إلى ذلك، أن هذا الصراع بين العائلات الأرمنية وأمرائها، الذي شهد تقلبات وأبعاداً كثيرة[1]، وظفه العباسيون لخدمة سياستهم ومصالحهم.

فالخليفة المنصور (ثاني الخلفاء)، إضافة إلى تشدّده وإستبداد ولاته[2] في معاملة الأرمن وغيرهم، ومعاملتهم معاملة الذميين في كثير من جوانب الحياة. فقد إستمال هذا الخليفة إليه، الأمير الأرمني إسحق الثالث البجراطي وعينه حاكماً على أرمينية من العام (٧٥٤ م.) وحتى (٧٦١ م)، والهدف واضح.

هكذا نجد أن الصفوف الأرمنية كانت مخترقة؛ وأن المسلمين، حكموا أرمينية من الخارج وبواسطة أمرائها وملوكها، في كثير من فترات خلافتهم، كما حكمها البيزنطيون والفرس وغيرهم. فكيف نتحدث إذاً، عن سيادة واستقلالٍ، في ظل قوى خارجية غريبة، تتحكم بمصير الشعوب وتتدخل بشؤونها؛ ولو كان ذلك عن طريق أدواتها المحليين، الذين أضعفتهم المناصب والجاه والمال.

لكن الشعب الأرمني، واحدٌ من الشعوب التي لم تألف الذل

(١) ـ أهم هذه الصراعات كان بين أمراء آل بجراط وأمراء ماميكونيان، وباقرادوني وغيرهم.

(٢) ـ من هؤلاء الولاة: بكار بن مسلم العقيلي (٧٦٩ م) والقائد حسن بن قحطة الطائي (٧٧١ م).

والخضوع، فثار لكرامتهِ ضد دولة الخلافة وظلم ولاتها. وما الثورة الشعبية العارمة، التي أشعلها الأرمن، دفاعاً عن حريتهم وإستقلالهم، إلاَّ واحدة من عشرات الثورات التي سجلتها صفحاتهم المشرِّفة. ليس غريباً على هذا الشعب المناضل، الصلب والمقاوم، أن يثور وينتفض لكرامته، ولكن من غريب المفارقات حقاً، أن يقضي العباسيون على هذه الثورة الشعبية الأرمنية الشاملة، بمساعدة الحاكم الأرمني «سمباط السابع البجراطي». فكانت النكسة موجعة للأرمن، لأنها من ظلم ذوي القربى؛ لذلك رأيناهم يعمدون إلى حركات عصيان وتمرّد، فشنوا غارات متتالية وحرب مواقع بقيادة الحاكم السابق، الأمير الأرمني «موشيغ الزابع ماميكونيان»، الذي كان بحكم المنفي. ورغم إنتصاراته الكثيرة ضد العباسيين، فقد إنتهت إنتفاضته هذه بالهزيمة عام (٧٧٢ م).

وما يجب التنبّه إليه في هذه اللعبة السياسية والعسكرية، هو موقف الروم، الذين لم يحركوا ساكناً لدعم الشعب الأرمني في ثورته المذكورة، رغم ما لهذا الشعب من خدمات جلى قدمها للامبراطورية البيزنطية، خصوصاً على يد أسرة «ماميكونيان» الموالية لهم.

إنها لعبة المصالح، التي تحدد سياسات الدول وعمقها الاستراتيجي. فحيث تكون هذه المصالح، تكون قلوبهم وعقولهم وقيمهم. لذلك تستيقظ كل الفروقات من دينية وعرقية وغيرها، على ضوء معادلة الربح والخسارة. والدليل أن ميزان التحالفات السياسية بكل أبعادها وأشكالها، يتأثر بقوة المعادلات الإقتصادية المذكورة. وهذا ما يدفعنا إلى القول، أن لا ثوابت في الممارسة السياسية. فالروم الذين وقفوا موقف

المتفـرج مـن الصـراع الاسـلامـي ـ الأرمنـي، عـام (٧٧١ ـ ٧٧٢ م)، نجـدهـم زمـن الخليفـة المهـدي (٧٧٥ ـ ٧٨٥ م)، وواليه على أرمينية يزيد بن أسيد السلمي، يقـومـون بحمـلات كثيـرة مشتـركـة ونـاجحـة ضـد المسلميـن العرب[١]، وذلك كرد فعل على إعتداءات هؤلاء على أراضي الروم وتضييقهم الخناق على أرمينية ومسيحييها.

إنَّ إنعكاسات الصراع العربي ـ الأرمني، لم تكن نتائجها مادية وحسب، بل تعدت ذلك إلى أمور طالت البعد الإنساني والمجتمعي. فهارون الرشيد، أبرز خلفاء بني العباس[٢]، إضافة إلى حرمانه أرمينية إستقلالها الفعلي، مدة أربعة عشر عاماً، وحكمها حكماً حقيقياً، وقسوته على أهلها وتنكيله بهم؛ فقد ذهب أبعد من ذلك، حيث راح يهجِّن مجتمعهم، عن طريق إدخال العديد من قبائل العرب إلى أرمينية وتوطينهم فيها. ثم جاءت مآثر ولاته في القتل والقمع والتي أودت بحياة العديد من أمراء الأرمن وشعبهم، لتسجِّل أحلك صفحة في سجلهم وأسوأ سيرة لهم على حد قول اليعقوبي[٣].

ومن فظائع العباسيين، حيال الأرمن، «وكان العسف الذي بدا في تصرفات الوالي العباسي «يزيد ابن أسيد السلامي» ومغالاته في الحرص على جمع الضرائب الكبيرة والكثيرة التي فرضها على الأرمن، قد اضطر الكثير من السكان الأرمن إلى

---

(١) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٦٠.

(٢) ـ هارون الرشيد، خلف أخاه الهادي الذي حكم سنة واحدة فقط (٧٨٥ م ـ ٧٨٦ م).

(٣) ـ المرجع السابق، ص. ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١.

هجر البلاد واللجوء إلى الكهوف، عدا من يئس من عجزه عن سداد الضرائب وخاف النقمة من الوالي فانتحروا بإلقاء أنفسهم في الوهاد، أو بالغرق في الأنهر»[1]. أضف إلى ذلك، أن ما تمتّع به تخارارك الأرمن ـ الذين لجأوا إلى الأراضي البيزنطية، هرباً من إنتقام المسلمين ـ من حماية لم تكن تمنح لهم دون مقابل.

يقول بعض المؤرخين الأرمن ومنهم البطريرك «هوفهانيس الخامس» (جاكاثوليكوس)، أنه في زمن الوالي العباسي «يزيد بن مزيد» (٧٩٠ ـ ٧٩١ م)، نهب دير القديس غريغور في «باجافان»، وأعدم الرهبان[2].

أما «إبن دوكية»، صهر الوالي العاشر على أرمينية «سليمان بن يزيد»، فقد تفنّن في مضاعفة الضرائب وجبايتها، الأمر الذي أرغم الفلاحين الأرمن، على التخلّي عن مزارعهم وأراضيهم وممتلكاتهم، والمهاجرة بطريقة جماعية. وقد لجأ إلى الإقليم البيزنطي وقتذاك نحو ١٢ ألف رجل بنسائهم وأطفالهم.

من المؤكد أن الضغط الاسلامي ـ العربي، بكل أبعاده الإجتماعية والسياسية والدينية، ساهم في هجرة الأرمن ونزوحهم عن أرضهم وبلادهم، غير أن المؤكد أيضاً، أن مجموعات كاملة من الأرمن، وعلى رأسهم النبلاء والحكّام قد إستجابوا لتحريض بيزنطية لهم، فهاجروا إليها. لكّن شهر

---

(١) ـ Laurent, J: l'Arménie entre Byz. et l'Islam. Depuis la conquête Arabe Jusqu'en 886, Paris sd, P. 95.

(٢) ـ الدكتور صابر دياب حسين، أرمينية، المرجع السابق، ص. ٩٢.

العسل هذا، لم يدم طويلاً بين الأرمن وبيزنطية، فقست عليهم ونقلت بالقوة العديد منهم إلى صقلية، وكان ذلك بأمر مباشر من الامبراطور قسطنطين السادس، عام (٧٩٤ م)[١].

عندها شعر الأرمن بضرورة التقرّب من المسلمين، من جهة، هرباً من إضطهاد الروم لهم، ومن جهة ثانية حاجتهم إلى قوات تدعمهم لدَرْءِ الخطر الكبير الذي أصبحت تشكله عصابات الخزر التركية، على مجمل مناطق القوقاز. وبالفعل فقد إستولى هؤلاء على مدينة «تفليس» عام (٧٩٩ ـ ٨٠٠ م).

وبفضل العرب، تأمنت حماية نسبية للأرمن، في مواجهة قبائل الخزر. ولكِّن الأمور سرعان ما تدهورت بين الطرفين، بفضل الوالي العربي «خزيمة بن خازم التميمي»، الذي يصنف بين أسوأ الولاة المسلمين، في معاملته للأرمن، حيث عمد إلى إضطهادهم والتنكيل بهم وقتل أمرائهم تبعاً لنزواته ومزاجيته[٢]. ولم تسلم الكنيسة الأرمنية من جوره وحقده ونكايته، فصادر أملاكها وقصورها وبساتينها، هادفاً إلى ضرب بطريركيتها، كونها كانت تشكل قوة ضاغطة، أو قل قوة حماية لأبنائها.

الكنيسة الأرمنية، كانت تتعرض لمضايقات كثيرة، من العرب ومن البيزنطيين على حدٍ سواء. والأهداف متعددة الأوجه والأغراض، أما الهدف المشترك بينهما هو إزالة العوائق

(١) ـ Grousset, R. Hist d'Arménie, P.338 & laurent: Généalogie des Bagratides, P. 341; Voir dr, Saber Houssayn, Loc. Cit, p. 93.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٩٥.

من طريقهما، لوضع اليد والسيطرة على المجتمع الأرمني، سيطرة شاملة وكاملة.

أما العقبة الأساسية الثانية، التي أعاقت أو كانت تعيق مخططات أعداء أرمينية والطامعين بها؛ هي الاسر الأرمينية ذات النفوذ والسلطة، من أمراء وإقطاعيين، لذلك رأينا كيف إعتمد هؤلاء سياسة التفرقة وزرع الخلاف والشقاق بين صفوف الأرمن الداخلية. والمسلمون العرب، أدركوا هذه الحقيقة، فكانوا خير من لعب هذه السياسة وبرع فيها.

ففي الثلث الأخير من القرن الثامن الميلادي، بدت أرمينية كما لو كانت إقليماً أو ولاية إسلامية عربية، داخلة في نطاق الدولة العباسية[١].

وفي هذا المجال، لا بدَّ من السؤال: لماذا بدَّل العباسيون تحالفهم داخل الاسر الأرمنية، فأصبح أعداء الأمس (آل بجراط)، حلفاء اليوم، بمنحهم ثقتهم دون غيرهم؟!

الجواب بسيط وواضح، في لعبة السياسة ـ كي لا نقول في المنطق السياسي ـ هناك وحدات شبيهة بوحدات المسرح. فللبطل دورٌ وللاعبين الثانويين أدوار، يلتصق بها وتلتصق به. فهناك المسموح والممنوع يتناقضان في البعد والجوهر ويلتقيان في اللعبة والدور. فمتى كبرت الشخصيات وكادت تتجاوز الحدود المرسومة لها من المخرج؛ تردع فوراً وتؤدَّب ويخلق البديل عنها.

---

(١) ـ Vardan, La Domination Arabe en Arménie, Sl, &, Sd, P.167; Voir Ibid, P.96.

وهكـذا نجـد، أن العبـاسيين لمـا أدركـوا أن الاسـرة «الأرزرونية»، تعاظم شأنها منذ أن ظفرت بالإمارة، وازدادت قوتها ونفوذها، إلى أبعد مما سمح به الخليفة العباسي، عندها عـادوا فمنحـوا ثقتهـم لآل «بجـراط»، بغيـة تقليـص النفـوذ «الأرزروني» وتحجيمهم من جهة؛ وإيقاف عمليات الهجرة أو النزوح من أرمينية إلى الأقاليم البيزنطية[1] من جهة أخرى. والأهم من ذلك حاجة المسلمين إلى حليف قوي إلى جانبهم. ومما زاد في الصراعات بين الاسر الأرمنية الحاكمة، هو الإتجاه الذي أصبح سائداً زمن العباسيين والقاضي بتوريث المناصب. الأمر الذي دعَّم سلطة البجارطة، فأسكتوا أصوات المعارضة داخل أرمينية، كما شكلوا قوة لا يستهان بها، كان الخلفاء العباسيون يستعينون بها لقمع الثورات العربية الداخلية، ضدهم، وهي كثيرة.

«والثابت، على أية حال، أن الأمير القيسي عندما ثار على الخليفة المأمون العباسي، أعلن البجراطيون أنهم جند الخليفة، وأنهـم الآخـذون بثـأره والمحـافظـون علـى حقوقه...»[2]. بالمقابل أغمض المأمون عينيه عن توسعاتهم.

فـي النصـف الأول مـن القـرن التـاسـع للميـلاد، تفـاقمـت الاضطرابات داخل الدولة العباسية وضعفت سلطتها أكثر فأكثر، خصوصاً إثر ثورة الفارسي (بابك الخرمي). فكيف كانت خريطة المواقع السياسية والعسكرية أثناء ذلك؟

---

(١) - Laurent, J. l'Arménie entre Byzance et l'Islam, Ibid, P. 99; Voir aussi, Dr. Saber H, Ibid, P 97.

(٢) - المرجع السابق، ص. ١٠٣.

إنَّ الأرمن، كما ذكرنا، لم تكن تحالفاتهم مع المسلمين العرب، تحالفات إستراتيجية بل تكتيكية. لذلك نراهم أول الأمر، يمدون يد العون للفرس، في مواجهة المسلمين العرب ومرَّد ذلك إلى أن الأرمن يعتبرون المسلمين العرب عدواً مشتركاً لهم وللفرس معاً. وما يلفت الإنتباه، أن المواقع والأدوار والتحالفات في هذه الفترة، كانت تتبدّل وتنقلب بصورة سريعة جداً.

ففي تداخل المصالح وتضاربها، تتداخل السياسات وتتضارب. وفي توازن القوى، تتوازن الحصص والمكاسب، وفي إختلالها تنمو الحساسيات والاضطرابات، وتتكاثر مشاريع الفتن والحروب. إنها معادلة دائمة ثابتة، في علاقة الأفراد والجماعات والدول.

من هنا نفهم كثرة التحولات في العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، زمن الخلفاء العباسيين. ففي مرحلة زهوهم وقوتهم، كانت علاقة المسلمين بالأرمن، تختلف تماماً عن علاقتهم في مراحل ضعفهم وتقهقرهم. فالفوضى، والفساد والحروب الأهلية التي ضربت دولة العباسيين، كان لها انعكاساتها الإيجابية على واقع أرمينية في الداخل كما في الخارج.

«ولا جدال في أن بجراطيي جورجيا أفادوا مما اعتمل في جوف الدولة العباسية من فتن واضطرابات. فقد إستطاع رئيسهم «أشوط باجراتوني» أن يوحِّد ـ حوالي الأعوام (٨٠٩ ـ ٨٣٣ م.) ـ إمارته في كلارجيت... وكان بارعاً بحيث إستطاع أن يكسب مودّة كل من الخليفة العباسي والامبراطور البيزنطي ليو الخامس (٨١٣ ـ ٨٢٠ م.) فولاّه الأول حكم

جـورجيـا، وعيّنـه الثـانـي عميـداً لقصـر «قـربـلاط» أو «كوروبالات»[1].

ومن النتائج السلبية والأخطر، في السياسة الاسلامية العربية، زمن العباسيين، هي محاولات بعض الخلفاء والولاة، محو الطابع الأرمني في الكثير من المقاطعات[2]، بهدف الأسلمة الكاملة، والدليل ما حصل في زمن الوالي العباسي «محمـد بـن خـالـد» مـن قسـوة وفـرز سكـانـي بيـن المسلميـن والأرمن.

٢ ـ أرمينية سياسة عدم الانحياز ـ بين سندان بيزنطية ومطرقة المسلمين العرب:

أصبح من المؤكد، أن معاملة البيزنطيين للأرمن وخصوصاً في الشؤون العقائدية وحتى الثقافية، فاقت بسوئها أحياناً كثيرة معاملة العرب لهم.

لقد تخبطت أرمينية خلال حكم ملوكها وأمرائها في الكثير من الاضطرابات والصراعات داخلياً وخارجياً؛ خصوصاً خلال حكم ملوك العائلة الباقرادونية الذين تعاقبوا عليها بين (٨٨٥ و ١٠٧١ م).

داخلياً، صراع على السلطة، بين أمرائها، الذين رأوا بوصول عميد الأسرة الباقرادونية إلى عرش أرمينية، عائقاً كبيراً

---

(١) ـ Grousset: Hist. d'Arménie, Op. Cit, P. 352; Voir Dr. Saber H, Ibid, P. 110.

(٢) ـ كمقطاعة «غاندجا»، حيث توجد جاليات إسلامية كبيرة، المرجع نفسه، ص. ١١٣.

أمامهم، لذلك نشبت بينهم خلافات كبيرة ومعارك عدة، إنها شهوة الحكم.

خارجياً، التصادم العربي ـ الأرمني والإستعانة بالبيزنطيين لمواجهة كل ردّ فعل عربي ضدهم، وبذلك لم يتمكن الأرمن من المحافظة على سياسة التوازن، التي رغبوا فيها، بين العرب من جهة والروم من جهة أخرى.

وهذا الواقع تؤكده سياسات كثيرة من عهود ملوك الأرمن أنفسهم. ففي عهد سمباط الأول (٨٩٠ ـ ٩١٤ م)[١]، أخذت العلاقات العباسية الأرمنية منحى متوتراً وعدائياً، ظاهرياً بسبب كسر سياسة الحياد التي إنتهجها الأرمن أحياناً كثيرة بين الروم والعرب. فقد نهج سمباط الأول نهجاً وديّاً مع الامبراطور البيزنطي وتبادل معه الهدايا فتوطدت بينهما العلاقات؛ الأمر الذي أغضب «الأفشين AFSHIN» الوالي العربي على منطقة «وان ـ VAN»[٢] فدارت بين الطرفين معارك طاحنة، إثر سقوط كل محاولات التفاوض بين الطرفين واعتقال الجثليق الأرمني الذي كان يفاوض «الافشين»، إلاّ أن النصر كان حليف الأرمن فطلب «الافشين» الصلح، مقابل إطلاق الجثليق. هذا هو السبب المباشر، أما السبب الباطني، فهو رغبة العرب إن

---

(١) ـ هو ابن آشوط الأول وولي العهد. خاض صراعاً ضد عمه العباس، على العرش، ثم أسره لعمه هذا.

(٢) ـ منطقة وان، كانت ولا تزال والقسم الجنوبي من أرمينية تحت النفوذ العربي، راجع مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٢١١.

لم نقل إطماعهم في السيطرة على أرمينية وإخضاعها لهم، سياسياً، إقتصادياً، إستراتيجياً وحتى عقائدياً[1].

وتبقى «الخيانة» المرض الأكثر فتكاً وتآكلاً في جسم الوطن وفي حياة الشعوب ومصيرها. وهذا ما أصاب أرمينية نفسها، عبر مراحل مفصلية من تاريخها. فأرمينية، لم تسقط أمام أحد، إلاّ يوم أصابها الوهن الداخلي وانهكتها مطامع حكّامها ووجهائها ويوم أضعفها صراع قادتها[2]. هذه الخيانة، ككل خيانة، ترتب عليها الكثير من المضاعفات والإنعكاسات، داخلياً وخارجياً. فجمعت حولها كل المنتفعين، وفرضت على ملك أرمينية «سمباط» الإنسحاب إلى الداخل. فلا شيء يجمع كالمصالح والمكاسب وإن كان ذلك على حساب المقدسات. أصبحت أرمينية عرضة لكل أشكال الضغوطات السياسية، والعسكرية، والإقتصادية في الداخل من جراء تفكك الأرمن وتناحرهم على السلطة، أما في الخارج، فالأخطار تحيطها من كل جهة، والجيوش على إختلافها تتربّص للانقضاض عليها، والاستئثار بكل خيراتها وتمايزها.

فكيف يمكن لأرمينية، أن تحافظ على سياسة الحياد، وسط هذا التجاذب بين القوى المتصارعة وخصوصاً بين بيزنطية والدولة الاسلامية؟ أضف إلى ذلك، أن الطابع الغالب في

---

(١) ـ الدكتور صابر حسين، أرمينية من الفتح العربي. . . المرجع السابق، ص. ١٢٢ ـ ١٤٣.

(٢) ـ الأمثلة كثيرة، نذكر بعضها: «مطامع أمير فاسبوراكان ـ كاكيك أردزروني ـ للوصول إلى السدة الملكية. كذلك تحالف آشوط الاردزروني ـ ابن أخت سمباط ـ مع الافشين (الوالي العربي) ضد خاله؛ راجع مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٢١٢.

العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، زمن الخلفاء والولاة العباسيين، كان طابع التشدّد والقسوة وعهد الجزية والذمية، التي فرضها المسلمون على المسيحيين وغير المسلمين. فكان هذا الواقع، ليس، فقط، عبئاً مادياً وإقتصادياً، بل عبئاً نفسياً وثقلاً أشد إيلاماً وأكثر ضرراً على المسيحيين، كونه يشعرهم بمركب نقص ومهانة. فالجزية، مثلاً، أصبحت سلاحاً قوياً في يد المسلمين العرب، يستعملونه لإرهاق المسيحيين وإضعافهم والضغط عليهم.

كانت العادة تفرض بأن يدفع ملك أرمينية الجزية إلى الدولة الاسلامية عن طريق الوالي العربي في أرمينية، وكانت الأمور تختلف من والٍ إلى آخر. بحيث كان بعضهم يقتطع مبلغاً لحسابه الخاص، الأمر الذي كان يفرض زيادة الجزية الواجب دفعها للدولة العربية أو الخلافة العربية. وهذا ما حصل بالفعل، في عهد الوالي «يوسف بن أبي ساج»[1] زمن الملك سمباط الأول.

بين سندان الخلفاء العباسيين ومطرقة ولاتهم، أرهق الأرمن بالجزية التي وصلت إلى ذروتها، الأمر الذي ترك إنعكاسات سلبية في حياتهم السياسية والإجتماعية والإقتصادية. من هنا نفهم جانباً من الإنتفاضات الأرمنية الداخلية. فثورة أمرائهم في وجه ملكهم سمباط الأول وفي وجه المسلمين العرب في آن معاً، تنبع من هذا المناخ السياسي المضطرب. ثم سقطت كل الإعتبارات وتوالت التحالفات بين أمراء الأرمن ضد ملكهم، كما توالت التحالفات المضادة بين هذا الملك وخلفاء

(١) ـ خلف الافشين بعد موته في قيادة الحامية العربية في القسم الجنوبي من أرمينية.

المسلمين. فحصلت إنشقاقات كثيرة في صفوف الأرمن، كانت تنتهي أحياناً كثيرة بمعارك دامية بين الأفرقاء المتنازعة حول السلطة وعليها[1]. الأمر الذي أضعف الدولة الأرمنية ككل، خصوصاً بعد مقتل ملكهم «سمباط الأول»، على يد «كاكيك» في صراعهم الداخلي، فأصبحوا بلا قائد، يدافع عن حقوقهم ويؤمِّن مصالحهم. فغرقوا في الفوضى والضياع وقدموا لأعدائهم فرصاً ذهبية كثيرة.

فكان من نتائج ذلك، أن دخلت المدن والمقاطعات الأرمنية الأساسية والإستراتيجية، تحت الاحتلال الاسلامي ـ العربي. يضاف إلى ذلك، رفض نبلاء الأرمن وأمرائهم الإعتراف بشرعية الملك الجديد آشوط الثاني[2] الذي خلف والده القتيل. فاستشرت الفوضى وإنتشرت أعمال النهب والسرقة في معظم أنحاء البلاد، التي غرقت في فوضى عارمة، كادت تأتي على كلِّ شيء.

دخلت بيزنطية، على خط هذه الأحداث الداخلية، فدعمت الملك الجديد، ضد خصومه المحليين، إلى أن قتل زعيم المعارضة الأمير يوسف، عندها أرغم أتباعه من الأرمن المتمردين على الإلتفاف حول ملكهم الجديد.

ولكن الأمور تغيرت، فعرفت أرمينية مرحلة مهمة من الإستقرار والإزدهار، على مختلف الصعد، خصوصاً في عهود الملوك الذين خلفوا آشوط الثاني[3]، واستمر حكمهم، حتى الربع الأول من القرن الحادي عشر.

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٢١٥.

(٢) ـ الملك آشوط الثاني (الحديدي) ٩١٤ ـ ٩٢٩ م.

(٣) ـ نذكر منهم العباس أخو آشوط الثاني الذي مات دون عقب، ثم آشوط الثالث وابنه سمباط الثاني (٩٧٧ ـ ٩٨٩ م) الخ.

في عهد آشوط الثالث (٩٥٣ ـ ٩٧٧ م)، مثلاً، عرفت أرمينية نهضة فكرية وعمرانية شملت ANI، التي جعلها عاصمته والتي أصبحت مركزاً ثقافياً مرموقاً، ضمت الجامعات وألف كنيسة وكنيسة[١].

مما لا شك فيه، أن الحكّام مهما كان نظام حكمهم أو حجم دولتهم، يتركون بصمات لا تمحى، سلباً أو إيجاباً، في حياة شعوبهم وتاريخ أوطانهم. هؤلاء بسياساتهم، يكتبون المصير، لسنوات كثيرة، فيستحقون المجد أو اللعنة.

لقد بدأت أرمينية خط تقهقرها وذروة انحدارها، يوم تفاقمت خلافاتها الداخلية، فتفككت وحدتها، فخسرت سيادتها واستقلالها من جراء ذلك، بحيث فتحت أبوابها أمام كلِّ الطامعين، من بيزنطيين وعرب، يضاف إليهم، لاعبٌ جديد هو السلاجقة الأتراك، الذين شكلوا ضغطاً كبيراً على أرمينية وغيّروا الكثير من المعادلات.

أما الضربة القاصمة لأرمينية، كانت ثنائية السلطة، والصراع بين الأخ وأخيه[٢] (سمباط الثالث وآشوط الرابع)، إلى أن سقط حلمهما معاً. وظلت أرمينية بين المّد والجزر البيزنطي والسلجوقي، إلى أن وقعت بمناطقها البيزنطية بكاملها، تحت حكم السلاجقة الأتراك عام (١٠٧١ م)، عقب الكارثة التي حلّت بالبيزنطيين أنفسهم في معركة «ملاذكيرت»[٣].

يعتبر العام (١٠٧١ م.) نقطة تحوُّل كبير في تاريخ أرمينية

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع نفسه، ص. ٢١٧.

(٢) ـ الملك كاكيك الأول، خلّف سمباط الثالث وآشوط الرابع، الأول هو ولي العهد كان ضعيف الشخصية عكس أخيه الذي كان ذكياً بارعاً.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٢١.

السياسي والوطني، بل صفحة من الصفحات الكثيرة السوداء، التي سجلت سقوط إستقلالها وحريتها على يد الجحافل السلجوقية وقبائلهم.

وهكذا تداخلت الخيوط السياسية والعسكرية أكثر فأكثر، وأضحت أرمينية رهينة مرضين، واحد ينبع من الصراعات الداخلية، والآخر رسمته الإعتداءات الخارجية الكثيرة والمتعددة الأهداف والمصالح.

وسط كل هذا، تبقى شخصية الأرمني المتجذرة في الأرض والكيان. وهو حيثما دفعته الأقدار وقسوة الظروف، حمل أرمينية في قلبه وفي وجدانه، فزرعها في كل شعب وفوق كلِّ أرض. هكذا رأينا، يوم هاجر «روبين الأول» إلى كيليكيا، عقب سقوط الدولة الباقرادونية، وفي ضميره هاجس واحد، هو تأسيس دولة أرمينية بديلة عن الوطن الذي ضاع إستقلاله. وبالفعل تحقق الأمل وأعلنت الدولة الحلم، وقد اعتبر ذلك حدثاً عظيماً، وتعذية للنفوس الأرمنية المنكسرة المتألمة. إن تأسيس الدولة الأرمنية في كيليكيا، كان بمثابة الشرارة التي ألهبت قلوب الأرمن حقداً وغيظاً ضد دولة بيزنطية التي تسببت بشكل أو بآخر في ضياع وطنهم الأم. بين الأعوام (١٠٩٥ و ١١٠٠ م)، قسطنطين الأول يخلف والده روبين في حكم هذه الدولة الأرمنية الناشئة. فعمل على توسيع رقعتها. وفي (١٠٩٨ م)، وصلت الحملة الصليبية الأولى، في طريقها إلى بيت المقدس، إلى كيليكيا، حيث ساعدها الأرمن بالمؤن وتأمين المأوى لجنودها.

في هذه الفترة تمّت المصاهرة بين قسطنطين الأول وأمير

الرها[١] الذي تزوج من «أردا» إبنة قسطنطين، فمنح هذا الأمير لقب «البارون»، وبذلك بدأ عهد البارونية (الإمارة)، والتحالف الأرمني ـ الصليبي[٢].

هـذا التحـالـف سيتـرك حتمـاً، أثـره السلبـي ـ السـيء فـي العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية. فدفع الأرمن كما دفع غيره من مسيحيي الشرق فاتورة هذا التحالف مع الصليبيين. «سيما وان العلاقات الأرمنية ـ البيزنطية كانت في وضع مترد بسبب إحتلال هؤلاء البيزنطيين لبعض المناطق المحصنة في جبال الأمانوس التي اعتبرها الأرمن من مناطق نفوذهم الأساسية»[٣].

وما أن أتى عام (١١٥٥ ـ ١١٥٦ م.) حتى أبحر الأسطول الصليبي ـ الأرمني إلى جزيرة قبرص، التي كانت حامية بيزنطية فسقطت أمامهم بكاملها.

ما يجب التوقف عنده هو سقوط الدولة الأرمنية الجديدة في كيليكيا عام (١٣٧٥ م.) في عهد آخر ملوكها ليون السادس[٤] الذي وقع في الاسر على يد المماليك واقتادوه أسيراً إلى القاهرة[٥].

ما هي أهم الأسباب المباشرة التي أدّت إلى سقوط هذه الدولة؟

---

(١) ـ أمير الرها المسمى «جوسلان دي كورتيناي».

(٢) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ١٠٠ ـ ١٢٢.

(٣) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٤) ـ تولى العرش عام ١٣٧٣ م، وكانت الدولة الأرمنية في كيليكيا قد دخلت مرحلة النزاع الأخير. فالأراضي محتلة والجيش مفتّت والوحدة الداخلية مفككة، والأعداء يتربصون بها من كل جهة.

(٥) ـ المرجع السابق، ص. ٢٤٤.

١ ـ التفكك الداخلي والصراع بين الطوائف الأرمنية.
٢ ـ ضعف بعض ملوك الأرمن واستراتيجيتهم الخاطئة في التحالف مع أوروبا بدل إقامة علاقات حسن الجوار.
٣ ـ سلسلة الحروب والفتن المتعاقبة، التي أنهكت أرمينية، كما أنهكت شعبها، وحوّلتها إلى ساحة صراع مستمر.
٤ ـ أطماع الشعوب القريبة والبعيدة، في ثروات أرمينية الطبيعية وخيراتها الكثيرة وموقعها النادر.
٥ ـ السياسة البيزنطية، التي لم تخدم مصالح الأرمن قومياً ودينياً.
٦ ـ لم تفِ أوروبا بالتزاماتها نحو هذه الدولة الأرمنية، التي كانت قد وضعت معظم أوراقها السياسية بين يدّي أوروبا وعلى طاولتها.
٧ ـ قوة الجيوش الغازية.

ما يجب التأكيد عليه تقلّص سيادة الأرمن على بلادهم وانتهاك إستقلالهم، حتى في الفترات الذهبية التي كان فيها حكّامها من الأمراء الأرمن أنفسهم؛ تماماً كلبنان يوم حكمه العثمانيون من خلال بروتوكول ١٨٦١ وعبر متصرفيه. فالمفاهيم السياسية، لا تقبل المساومة؛ فكيف تكون السيادة كاملة والإستقلال ناجزاً، واليد الغريبة تعبث بالبلاد وتتحكم بالعباد؟!

وهكذا نجد أنه منذ نشأة الدولة العباسية، راح خلفاء المسلمين وولاتهم يضيقون الخناق على الشعوب الأرمنية بشتى الوسائل وعلى مختلف الصعد السياسية والحياتية الإقتصادية والدينية... فسعوا منذ اللحظة الأولى إلى حرمان أرمينية إستقلالها الذاتي، أو قل تحجيم هذا الإستقلال. لذلك

سعوا، بكل قوتهم إلى ضربها من الداخل، عن طريق زرع الفتن وتفكيك القوى والزعامات الأرمنية، بالضغوطات حيناً وبالاغراءات أحياناً أخرى. ثم راحوا يرهقونهم بالضرائب ويرغمونهم على دفع الجزية، هذه الضريبة المذلة بالنسبة للمسيحي، لما تمثله داخل «نظام الذمية» الشائع، بحيث خلقت الكثير من مركبات النقص والحساسية في الكيانات غير المسلمة. هذه السلوكية، بعد أن كانت نتيجة لنقص أو أصولية، أصبحت سبباً لكثير من الثورات والفتن والحروب، في المجتمعات العربية والشرق أوسطية.

رغم فسحات التسامح، التي نَعِمَ بها الأرمن في عهود بعض الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، إلاَّ أن اللون الغالب على هذه العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، يبقى لوناً قاتماً، يشوبه الكثير من عيوب العصبية والتعصّب.

بطبيعة الحال، النزعات العرقية والدينية، ليست السبب الرئيس الوحيد في مختلف الظروف والمآسي ولكنها سبباً محورياً هاماً، أو قل هو الوجه ـ القناع الذي يخفي وراءه، معظم مؤامراتنا وغرائزنا فيلتبس علينا الدين والدنيا، وتكبر الكذبة حتى تلامس بحجمها حدود الحقيقة في أعيننا الساذجة... والسماء منّا ومنها براء.

كبرت المأساة وتأصلت، يوم سخَّر الإنسان الدين لمصالحه وأهوائه وزعامته؛ ويوم نصَّبنا أنفسنا ولاة لله وأولياء له. منذ خلفاء الله وسيوفه، إلى ملوك الحق الإلهي، شرقاً وغرباً. فبدل أن يخضع الإنسان لتعاليم الدين وهمس الروح، أخضع هو الدين لخدمته وميوله وشهواته.

من المؤكد أن العرب المسلمين بدخولهم أرمينية، تركوا

ايجابيات معينة، من خلال سياسة التحالف والتسامح التي إنتهجها بعض خلفائهم وولاتهم، لكن كثرة الحروب والصراعات المستمرة وأعمال الثأر والانتقام بين الطرفين، سرعان ما بدّدت هذه الإيجابيات، وتركت صورة قاتمة عن هذه الصفحة من تاريخ العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية.

إستمرت العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، في العهود العباسية جميعها، بين مدّ وجزر وعلى وتيرة عالية من التشنج والإحتقان. فتلاحقت المواقع والغزوات، تحركها غايات وأبعاد كثيرة. وقد نجح العباسيون في أمور كثيرة داخل أرمينية نذكر أهمها:

أ ـ جعل الولايات الأرمنية مستقلة ظاهرياً، وخاضعة لنفوذهم وضرائبهم عملياً.

ب ـ نجح العرب في ضرب الوحدة الأرمنية الداخلية، فألهبوا الصراع بين أمرائهم، بالترغيب حيناً وبالترهيب أحياناً.

ج ـ إستخدام الأرمن، في كثير من المعارك، لضرب الروم وتقليص دورهم داخل أرمينية ومناطق آسيا الصغرى وبلاد القوقاز.

د ـ نجحوا إلى حدٍ ما، في جعل أرمينية، الدولة الحاجز في وجه أعداء الدولة الاسلامية ـ العربية.

هـ ـ نجحوا في إضعاف القدرات والطاقات الأرمنية، عن طريق الحروب والغزوات المتتالية والتي أرهقت هذا الشعب وقضت على الكثير من زعمائه وأمرائه ونبلائه.

في هذا المناخ، إتخذت العلاقات الاسلامية ـ الأرمنية، وجهها الحقيقي الذي كشف هشاشة التلاقي بين الجانبين؛ إلى أن تآكلت الدولة العباسية من الداخل، فراح نفوذها يتلاشى في

أرمينية، خصوصاً بعد قيام الملكية الأرمنية ممثلة في أسرة «البجارطة»، حتى لم نعد نلمح له أثراً يذكر؛ خصوصاً في القرن العاشر للميلاد.

ولكن ما يمكن إعتباره سبباً تخفيفياً في الحكم على خلفاء المسلمين العباسيين، هو ضعف العديد من هؤلاء أمام سيطرة النفوذ الخارجي من فرس وأتراك وسلاجقة وبويهيين وغيرهم، بحيث أصبح الخلفاء، خصوصاً في أواخر القرن التاسع للميلاد، رهائن لا سطوة لهم ولا قوة.

ثم ترجم هذا الواقع إلى إجتياحات وفتوحات من نوع جديد، بدأها المغول بقيادة جنكيز خان عام (١٢٠٦ م)، فإحتل ممتلكات الدولة العربية في خوارزم عام (١٢١٧ م)، ثم إجتاح خراسان وفارس والعراق وشمالي الهند وسورية. ثم دخل قواده أرمينية وجورجيا عام (١٢٢٣ م)، وهكذا خضعت أرمينية لحكم المغول[١]. إلى أن إحتلها تيمورلنك عام (١٣٨٧ م.) وأسس بذلك الدولة الترية الثانية.

وبعد وفاة تيمورلنك وإنتصار السلطان محمد الثاني العثماني عام (١٤٧٣ م.) على سلطان فارس «أوزون حسن» وضعت أرمينية لأول مرة تحت حكم العثمانيين. فبدأت مرحلة سياسية جديدة، قد تكون بحق بداية الآلام أو الجلجلة الحقيقية التي توّجت بمجازر نيسان عام (١٩١٥ م)!!..

---

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الفصل الثالث

المسلمون الأتراك والأرمن
(قضية القرن العشرين بامتياز)

القسم الأول: المسلمون الأتراك والأرمن ـ المرحلة الأولى ـ عهد السلطان الأحمر:

إطلالة العهود العثمانية، نعيٌ لقيام الدولة الأرمنية الواحدة والمستقلة وإعلان لظهور المسألة الأرمنية. هذه المسألة التي ملأت الدنيا وأرعبت الناس، لا تزال تطرح نفسها كمشكلة الإنسان الأولى منذ مطلع القرن العشرين وحتى إشعار آخر ـ وقد لايكون الموعد قريباً ـ كما تطرح مصداقية الشرائع الأممية والدولية النظرية على محك التنفيذ؛ فأدخلت بذلك حقوق الإنسان ومقومات وجوده في دوامة الإجتهاد السياسي، ضمن معادلة الكسب والخسارة. إنها المعادلة التي تحكم العالم اليوم وتتحكم به.

ما هي المناخات والمسببات والعناصر الداخلية والإقليمية والدولية التي حتمت ولادة المسألة الأرمنية؟!

I ـ أرمينية التركية:

مهما كثرت الإجتهادات الجيو ـ سياسية، حول تعريف أو تحديد أرمينية التركية، تبقى الحقيقة ناصعة واضحة في هذا المجال؛ فنقول، إن هذه المنطقة من أرمينية، تشير غالباً إلى

القسم الداخلي من آسيا الصغرى، المعروفة بالأناضول الشرقي وهو إسم أعطي مراراً لآسيا الصغرى نفسها، ويشير أحياناً إلى مجموع تركيا الآسيوية (Turquie d'Asie) غير أن الحقيقة، التي تشكل جوهر بحثنا هي قضية الشعوب الأرمنية التي استوطنت شرق تركيا، منذ أقدم العصور، ثم إختفت كلياً بفعل الفكر الجريمي العثماني وأداته العدائية المتعطشة إلى ولائم الأبرياء ودمائهم. فخلت المنطقة من أهلها بفضل المجازر الجماعية وأعمال الإبادة والتصفيات المدروسة والهجرات المبرمجة.

فوق هذه الصرود المرتفعة، شهدت الأمة الأرمنية، نموها وتطورها وحققت تماسكها وتلاحمها، النسبيين، في فلك بيزنطية حتى نهاية القرن الرابع عشر.

أما الحدث السابق والأبرز، يبقى الاجتياحات التركية، التي خلقت وضعاً ديموغرافياً معداً للتفجير، متى سنحت الظروف وقد سنحت بالفعل بعيد إندلاع الحرب العالمية الأولى. هذه الاجتياحات التركية أمّنت إنغراساً كثيفاً لقادمين جدد، خصوصاً في المنطقة الشمالية، على هضبة «Kars» قبالة «Géorgie» المسيحية. ولكن وبغية حماية الحدود الأرمنية ضد إيران، أو حماية مكتسباتهم من الخطر الإيراني، شجّع العثمانيون، بشكل منهجي ومدروس، تمدّد القبائل الكردية، التي إعتنقت الاسلام، نحو المناطق الشمالية، حيث تبقى القرى الأرمنية مأهولة خلال الشتاء[1].

هذه السياسة، أتت ثمارها خصوصاً بعدما أصيبت أرمينية بتفكك داخلي وانحلال التكافل والتضامن الداخليين؛ فأصبحت

---

(١) ـ Encyclopedia, Universales, V. 13, Op. Cit, P.P. 104 - 105

أرمينية التركية، في القرن العشرين، مأهولة من الأكراد بشكل خاص ثم من الأتراك. فكان ذلك أول الغيث وبداية الآلام الأرمنية ومراحل عذاباتهم والمصائب التي بدأت وقد لا تنتهي؛ ما دامت الظروف والمعطيات الإقليمية والدولية، التي عملت على ولادتها وتكاثرها، هي نفسها غير راغبة في وضع نهاية لها، وربما غير راغبة في إيجاد الحلول المستقبلية لها، إن لم يفعل الأرمن ذلك بأنفسهم.

إنَّ التغيرات الإجتماعية والسياسية وغيرها، لا يمكن أن تحصل بالصدفة أو باللحظة الآنية، فهي وفق منطق علم الإجتماع، لا بدَّ أن تكون وليدة عوامل كثيرة متفاعلة ومتداخلة، بعضها الأول أريد له أن يولد وبعضها الآخر ولد بمشيئة الأول. إن الحدث الزمني متشابك، مترابط، لا يمكن أن يوجد بذاته، نصنعه نحن ثم نسير في ركابه وكأننا غرباء عنه، مغيبون عن كلِّ شيء؛ فتلتبس علينا الوقائع والحقائق ويكبر تجاهلنا وجهلنا أو نصغر نحن أمامه.

المسألة الأرمنية، تعود بعيداً في الزمن، إلى مئات السنين وربما إلى آلافها قبل الانفجار الكبير عام ١٩١٥. لقد ظلت هذه البلاد البائسة قروناً طوالاً رهينة قدرها، مطمعاً للامبراطوريات الكبيرة المتنافسة والمتناحرة، فغرزت أنيابها وأنشبت مخالبها في الكيان الأرمني أرضاً وشعباً. وإن كانت جبال أرمينية سدوداً منيعة في وجه الغزاة، إلاَّ أنها في الوقت عينه كانت عائقاً في وجه إتحادها للدفاع عن نفسها. أما وديانها فكانت طرقاً ميسرة بين بلاد النهرين والبحر الأسود. وهكذا تأمّن الحافز والمبرر إلى الإقتتال بين الدول للإستئثار بهذه المعابر الأرمنية الإستراتيجية الهامة. فإقتتلت من أجلها بلاد

الفرس واليونان والهدف دائماً الإقتصاد والحرب، كما إجتازتها جنود أكسانوفون العشرة آلاف، وإحتربت من أجلها أيضاً، روما وفارس وبيزنطية والاسلام على إختلاف فئاتهم وانتماءاتهم، كذلك روسيا وبريطانيا[1]، دون أن نسقط أهمية التدخلات الخارجية الأخرى، وبخاصة الالمانية منها.

ومن المؤكد، أن فتوحات الأتراك السلاجقة إمتدت إلى أرمينية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد، وتحديداً حوالي العام (١٠٦٠ م.) فكانت النواة الأولى التي توفرت لها كلّ الظروف والمناخات السياسية بين الدول صاحبة القرار، على ضوء توازن المصالح وتوزع الحصص، مسقطين من قاموسهم كلّ الإعتبارات الإنسانية.

ليس المهم أن نخلق مسألة ولكن الأهم كيفية التخلّص منها. فكيف نظر السلطان عبد الحميد خان الثاني إلى هذه المفارقة؟ وكيف يمكننا تحديد سياسته، حيال المسألة الأرمنية؟!

II ـ السلطان الأحمر والمسألة الأرمنية:

١ ـ جذور المسألة الأرمنية:

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسألة الأرمنية كانت قائمة بالقوة منذ أن نشأت أرمينية في تلك البقعة الرائعة من الشرق الأدنى، على امتداد آلاف السنوات قبل الميلاد. فتوسطت العديد من الاثنيات والشعوب والامبراطوريات القوية، كما

---

(١) ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران م ٤، ج ٢، بيروت ١٩٨٨، ص. ١٠٤.

إمتدت في الوقت عينه، على خطوط إنتشار القبائل البربرية القادمة من أواسط آسيا في طريقها إلى آسيا الصغرى وأوروبا من جهة، وعلى حدود دول أخرى صغيرة، كانت لها بدورها أطماع غير محدودة في البلاد الأرمنية نفسها، كالكرج والأكراد والشركس من جهة ثانية[1] الأمر الذي جعل من أرمينية محط أنظار الجميع وأطماعهم. فتحولت أرمينية إلى هدفٍ يرمى وكأنها المركز من الدائرة، فأصابتها سهام الجميع، من كل جهة.

لم يتغير المناخ السياسي لأرمينية، منذ نشأتها حتى لحظة إستشهادها في نيسان عام (١٩١٥ م)، باستثناء ما عرفته من فسحات إستقرار، أو هدنات نتيجة تبدّل المواقع والتحالفات.

إنَّ صراع الدول حول أرمينية لم يتوقف يوماً وقد بدأ منذ القدم ولم يتوقف بعد. نتيجة الصدمات المتلاحقة من الخارج والداخل معاً، تزعزعت أساسات الدولة الأرمنية، فأصيبت بالتفسّخ والتبعية والاجتزاء أحياناً والإحتلال وفقدان الهوية والإستقلال حيناً آخر.

إلى أن إنتهى المطاف بها أخيراً، إلى فم كماشة، من جهة روسيا القيصرية ومن جهة أخرى تركيا العثمانية.

فضياع الوطن الأرمني، سبقه وأعقبه مآسٍ كثيرة، رسمت أبشع الصور وطرحت بكل بربرية مصير الأقليات في هذه البقعة من العالم، كما حدّدت أبعاد هذه الفظائع وخلفياتها وطرحت مصداقية العدالة الدولية في قفص الإتهام الدائم.

صحيح أن الباحثين والمؤرخين، يرجعون المسألة المشرقية إلى الحدث الأكبر، الذي غيّر وجّه العالم، من خلال تغيير

---

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، بيروت ١٩٨٢، ص. ٣٦٩.

وجه المسيحية في الشرق، يوم سقطت القسطنطينية[1] أمام العثمانيين ودخلها محمد الفاتح عام (١٤٥٣ م)؛ غير أن المسألة الأرمنية، تعتبر أقدم من ذلك بكثير، إلى حدود ما قبل المسيح، كما رأينا، وهي بالتالي تشكل الحلقة الأساسية في المسألة المشرقية والوجه المكمِّل لها. يضاف إلى ذلك أن الامبراطورية التركية، إعتبرت الوريث الفعلي للامبراطورية الرومانية في الشرق، فلا يمكنها إذاً، وفق منطقها العدائي، أن تقبل بين رعاياها بمسيحيين، يشكلون خطراً عليها وجسراً لعبور المسيحية الحرة من الغرب. من هنا أيضاً أصبح التخلّص من المسألة الأرمنية، في دائرة المدى الحيوي للدولة العثمانية[2].

إنَّ الأحداث المتعاقبة، التي واكبت مسيرة الأرمن، عبر تاريخهم الطويل والأصيل، على أهميتها وغزارتها، تبقى في الكثير من جوانبها ومسبباتها ضمن إطار الإجتهاد والتأويل، لكنها تبقى في الوقت عينه مشكلة غاية في التعقيد والتشابك، إن لم تأخذ طريقها إلى الحل الفعلي، سوف تشكل بلا شك، مشاريع حروب جديدة وقنابل موقوتة، وستنفجر يوماً، مهما بَعُد هذا اليوم...

---

(١) ـ القسطنطينية هي بيزنطية القديمة، أعاد بناءها قسطنطين الكبير ٣٢٤ ودعاها القسطنطينية. مركز البطريركية المسكونية منذ ٤٥١ م. عاصمة الامبراطورية اللاتينية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١. قاومت هجمات البرابرة والعرب والروس، لكنها سقطت أمام العثمانيين عام ١٤٥٣. فأصبحت عاصمتهم ودعيت اسطنبول، عقدت فيها أربع مجامع كنسية: ٣٨١، ٥٥٣، ٦٨٠ ـ ٨٧٠. راجع المنجد ط ١٩، بيروت ١٩٧٣، في الإعلام، ص. ٤٣٩.

(٢) ـ Moussa Prince. Le Génocide, 1er Edition, Beyrouth 1988, P.P. 304 - 305.

في الشرق مسائل كثيرة، فرضتها النزعات العرقية والدينية والمذهبية والسياسية والإقتصادية وغيرها. فأين تقف القضية الأرمنية من كلٍّ هذه المسائل الشرقية؟!.

القضية الأرمنية، تمثل نموذجاً حياً لمشكلة القوميات في الشرق، كما تمثل الضحية الكبرى لـ «كوكتيل» الصراعات والحروب على إختلافها وتنوع لاعبيها والأهداف. فأرمينية عانت من كل هذا، لذلك نعتبرها العيِّنة المثال في قلب المسألة الشرقية وفي صميمها.

المسألة الأرمنية وإن تكرست من الوجهة الحقوقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحديداً حين تمَّ الاعتراف بها دبلوماسياً في معاهدة «سان ستيفانو»؛ غير أنها طرحت نفسها بالفعل، وعلى أرض الواقع وفي صميم المسألة الشرقية إعتباراً من القرن الحادي عشر مع سقوط المملكة الباقرادونية، وتجذرت فيها أكثر فأكثر يوم تداعت المملكة الأرمنية في كيليكيا عام (١٣٧٥ م). في هذه الحقبة وقبلها بقرون، رزحت الشعوب الأرمنية تحت نير الطورانية الحاقدة، كما دخلت حقل تجاربها في العنصرية والأصولية. وفي هذا الإطار يؤكد «Jean Pierre Alem» معاناة الشعوب الأرمنية، خصوصاً في (أرمينية الكبرى ومملكة كيليكيا الأرمنية)، فيقول: ... عانت الشعوب الأرمنية من إختبار أليم لكل أنواع الجنس الطوراني، «من أتراك سلاجقة، وقبائل مغولية، وتركمان وأتراك عثمانيين»[١]. والذي ساهم في خلق هذا الواقع السياسي ـ العسكري البالغ الخطورة،

---

(١) ـ جان بيار آلم: أرمينية، سلسلة «Que Sais - Je?» رقم ٨٥١ باريس ١٩٦٢، ص. ٣٦، راجع هراج داسنابيديان: القضية الأرمنية، عرض تاريخي مقتضب، بيروت ١٩٨٤، ص. ٥.

يبقى الموقع الجغرافي، الذي رسم إلى حدٍ كبير قدر أرمينية ومستقبلها في هذه المنطقة من العالم، فوضعها في قلب المسألة الشرقية وفي مواجهة كلِّ الشعوب الطامعة بها، دون إستثناء.

فالفتوحات والغزوات التي تعرضت لها أرمينية، منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن العشرين، جمعت في أبعادها وخلفياتها، كل المسببات والدوافع التي شهدتها الحروب قديماً وحديثاً، فهي لذلك مادة بحث هامة في فن الحروب واستراتيجيتها.

إلى جانب ذلك، نشير إلى الحروب الطويلة والمدمرة، التي شهدها القرن السابع عشر بين الفرس وتركيا العثمانية وكان من نتائجها تجزئة أرمينية وتقاسمها بينهما[١]. لا يجوز مطلقاً أن نسقط من حسابنا الاطماع الإقتصادية والمبادلات التجارية التي أصبحت تمر عبر أرمينية، خصوصاً بعد ظهور المغول[٢]. فكان من جراء تطاحن الدول على أرض أرمينية وفوقها، أن تحولت هذه الأخيرة إلى جرح بالغ دائم النزف، ترك إنعكاساته السلبية الكثيرة على مجمل الحياة الأرمنية وعلى مجمل الشخصية الأرمنية وبطبيعة الحال على ديموغرافية هذا الشعب، بحيث عطَّل نموه السكاني، رغم خصوبة الأرمني ورغبته إلى التكاثر والتناسل.

ففي العام ١٠٤٨ م. بدأت الجحافل السلجوقية غزوها لأرمينية وتمكنت بحدود العام ١٠٧١ م. من إكمال إحتلالها بكاملها، حتى خضعت لسيطرتهم خصوصاً عقب معركة

---

(١) ـ المرجع السابق، ص. ٧.

(٢) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٣٨٢.

ملاذكرد مع الامبراطور رومانوس البيزنطي[1]. وفي العام ١٢٢٧ م، تدفقت موجات المغول، فدمرت العديد من المدن ومن بينها آني، ثم أخضعوا أرمينية لحكمهم عام ١٢٣٦ م.

وفقاً لما أوردته المصادر الأرمنية، يرجع أول إنقضاض للأتراك على أرمينية إلى سنة ١٠١٦ م ـ ٤٠٧ هـ. اذ يذكر ـ «متى الرهاوي» ـ أن الملك داود زحف لقتال فيالق الأتراك، فعندما التحموا معهم في ميدان القتال، فزع رجاله من مظهرهم. وعام ١٠٢١ م، إجتاح الأتراك أرمينية مجدداً. لكنَّ الحملة الحقيقية الأولى بدأت سنة ١٠٤٧ م ـ ٤٢٩ هـ، فوصل الأتراك إلى جنوب «أرزن الروم Erzerum» وقاموا بتخريب ٢٤ إقليماً، فدمروا وأحرقوا واصطحبوا السكان أسرى.

بعد ذلك وصل الأتراك السلاجقة من جديد إلى باسيان وكارين. وهنا يرسم «أريستاكيس» لوحة مؤثرة مفزعة للمذابح التي ارتكبها الأتراك ضد الأرمن. أحرقوا «فاناند وعاصمتها Kars» ولم ينج من الموت إلاَّ الذين إختبأوا في قلعتها[2].

وتجمع المراجع أن الأتراك السلاجقة، انقضوا على الأرمن كالذئاب الجائعة. وفي هذا المجال نقتطع بعض ما وصف به المؤرخ الأرمني أريستاكيس المعارك الضارية التي خاضها الأرمن ضد الغزاة السلاجقة إذ يقول:

«إستطاع العدو أن يصل خلف أسوار المدينة، فقام بتدميرها وإحراق منازلها وتحول القصر الملكي إلى رماد. أما الرجال

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٨٨.

(٢) ـ أريستاكيس اللستيفرتي، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، راجع فايز نجيب إسكندر، القاهرة ١٩٨٣، ص. ٤٦ ـ ٤٥ ـ ٤٧.

فقد تمَّ ذبحهم في الميادين العامة؛ وترك الحريم منازلهن وتحولن إلى عبيد (إماء)، أما الأطفال الرضع فقد تحطموا على الحوائط، وأما الشبان والشابات ذوات الوجوه الجميلة، فقد ذبلت وجوههم نتيجة الأذى والتعذيب؛ أما العذارى، فقد هتكوا عروضهن في الميادين العامة؛ أما الشباب الرجال، فقد قتلوا بضربات السيوف وذلك أمام أعين الشيوخ؛ أما النبلاء المسنون ذوو الشعر الأبيض الملطخ بالدماء، فقد كانوا يزحفون في الوحل وكانت أجسادهم تسحل على الأرض. . .»[١].

ويتابع أريستاكيس وصف بلاده قائلاً:

«. . . تشبه بلادنا حقلاً حان حصاده، إذ يمشي الحطابون خلف الحاصد، ولا يتركون وراءهم سوى الشوك الصغير والقش المتبقي من عملية الحصاد؛ وكلاهما علف للمشاية. ومع بزوغ الشمس، كانت كتائب الكفار (أي الأتراك السلاجقة) تتسلل أشبه بالكلاب الجائعة، وتنقض على مدينتنا لتذبح الرجال، بل لتحصد كل رقبة في طريقها، لدرجة أن المدينة أصبحت خاوية تماماً»[٢].

فمصائب الأرمن إذاً مصدرها الشعوب الأجنبية الطامعة بها، أما أسبابها فكثيرة، ذكرنا بعضها، مع إدانة للأرمن أنفسهم بسبب صراعاتهم الداخلية المستمرة؛ هذه الصراعات التي وفرت المناخ الملائم لكل الغزوات والفتوحات والمصائب التي نزلت بهم، فحتمت على قضيتهم إحتلال صدارة المسألة الشرقية في تشابكها وتعقيداتها.

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٦ ـ ٥٧.

كيف بدأت المعاناة الأرمنية في أتون بني عثمان وفي مجازرهم؟!

٢ ـ المسألة الأرمنية في نفق المخطط الحميدي (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) وأتّونه (Four à chaux):

تربع السلطان عبد الحميد الثاني[1] على عرش بني عثمان عام ١٨٧٦، معتمداً سياسة القبضة الحديدية، تشفياً وانتقاماً، فاستمر في بطشه، عاملاً على كمِّ الأفواه وخنق الحريات على إختلافها، حاصداً كلَّ رأسٍ عقبة في طريق مخططاته الجهنمية. فتلوثت يداه بدماء الأبرياء واستحق بامتياز لقب السلطان الأحمر، كما إعتبر بحق من أشرس السلاطين العثمانيين، إلى أن أطاحت به حركة الشباب الأتراك عام ١٩٠٩.

ماذا في أبعاد سياسة هذا السلطان الأحمر؟ وكيف خطط ونفذ حكمه المسبق لإعدام الشعوب الأرمنية؟

أ ـ أبعاد وخلفيات المخطط الحميدي في المناخ الإقليمي والدولي والمصير الأرمني.

«إن التخلص من المسألة الأرمنية، يكون بالتخلص من الأرمن أولاً»[1].

هذه المقولة التي أطلقها السلطان عبد الحميد الثاني، شكلت الخلفية السياسية التي تحكمت بنهجه العدائي حيال الشعوب الأرمنية، طيلة ثلاثة وثلاثين عاماً من حكمه. فبدأت فعلياً

---

(١) ـ ولد عبد الحميد الثاني في اسطنبول عام ١٨٤٢ ومات عام ١٩١٨.
(١) ـ مروان المدور، المرجع نفسه، ص. ٣٦٧.

رحلة الآلام الأرمنية، عندما وضع عبد الحميد مخططه هذا العنصري ـ المتعصب موضع التنفيذ. فما هي حقيقة أهداف هذا المخطط؟ وما هي الوسائل والأساليب المعتمدة في تحقيقه؟

التخلص من الأرمن، تلك هي المسألة التركية؛ التخلص من الأرمن، ذاك هو الحلم القديم ـ المتجدد لدولة تركيا العثمانية.

أما المفارقة التي تطرح نفسها بشيء من الدهشة وبكثير من اليقين، تؤكد أن الأرمن هم، دون شك، العنصر الأكثر حيوية بين الشعوب المشرقية، وقد أثبتوا ذلك، عندما شكلوا عصب الإقتصاد في تركيا نفسها وتولوا تسيير حياتهم الانتاجية. والأتراك أنفسهم يقرون بذلك. حتى في أحلك الظروف وفي العهود الأكثر رعباً، عهد المجازر المنظمة من قبل الحكومة، كانت الدوائر التركية العامة تعج بالأرمن. وقد تعطلت هذه الحياة في كثير من مرافقها يوم إقتلع الأرمن وابيدوا على يد العثمانيين.

ما دام الأرمن على هذه الأهمية حياتياً وإقتصادياً. فلماذا إذا نفِّذ فيهم ما نفذ من إبادة جماعية وتهجير، عن سابق تصور وتصميم؟!

هذه المفارقة تقودنا إلى أبعاد المخطط الحميدي خاصة والعثماني عامة، القاضي «بإزالة الأرمن من الوجود»[1]، لأنهم شكلوا عقبة أساسية في وجه قيام الجامعة الإسلامية (Panislamisme)، التي طرحها عبد الحميد الثاني كأولوية في مخططه، هذه الجامعة تصبو إلى إستبدال المسيحيين بالمسلمين في كل مكان، بهدف إعادة التجانس (L'homogénéité) إلى

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٩٧.

الامبراطورية العثمانية المتزعزعة[1]. أضف إلى ذلك أن تواجد الأرمن، كان يمثل تواجد آخر شعب مسيحي في آسيا خاضع لسلطة الأتراك. الأمر الذي سيشكل حتماً، عاجلاً أم آجلاً، ذريعة لتدخل أوروبي جديد. كما أنَّ الفلسفة التركية كانت تلخص بالمعادلة التالية:

إستقرار تركيا وطمأنينتها يحتمان زوال الأرمن والعكس صحيح.

لذلك قرر السلطان عبد الحميد الثاني وبمنطق متوحش، إفناء الأرمن وإبادتهم، واستبدالهم بشعوب محمدية، تحتل مكانهم على كامل المنطقة على الجبهة التركية ـ الروسية. عاملان إضافيان عززا هذا القرار الجرمي في نفس هذا السلطان هما:

أ ـ أرمينية، إضافة إلى موقعها الجغرافي، كانت في كل زمان مادة تنافس وتصارع بين تركيا وروسيا.

ب ـ إجتذاب أكيد يشد الأرمن ـ الأتراك إلى روسيا، لأن عندهم في القوقاز إخوانهم في العرق يتمتعون على الأقل ببعض الحرية، ويعيشون تحت حماية القانون الذي يضمن ملكياتهم، أموالهم، حياتهم وكرامتهم.

في هذا الإطار، نشير إلى أن قيادة الجيش الروسي، أثناء حربه مع تركيا عام ١٨٧٨، كانت بأُمرة الجنرال الأرمني الأصل «Loris Mélikoff»، الذي إجتاز كتلة القوقاز ووصل إلى حدود «Erzeroum»؛ الأمر الذي طرح مجدداً فكرة الحكم

---

(١) ـ Henry Barby (Correspondant de Guerre du Journal): Au Pays de l'Épouvante, l'Arménie Martyre, avec une Préface par Georges Asmar, Beyrouth, Liban, 1972, P. 7.

الذاتي لأرمن تركيا الذين كانوا يستوطنون الولايات الست (أرضروم، ڤان، بتليس، دياربكر، خربوط وسيڤاس)، كذلك في كيليكيا[1].

بطبيعة الحال، هذه المفاضلة لا تعني على الإطلاق أن العلاقات الأرمنية ـ الروسية كانت دائمة الاستقرار والتحالف، بـل علـى العكـس فقـد شهـدت فتـرات كثيـرة متـوتـرة عنيفـة ودموية[2]. أما الجزار العثماني، بدهائه وخبث نواياه، قد أسقط كل المعاهدات والاتفاقات الدولية والداخلية التي تطالب بحقوق الأرمن، وتفرض عليه الاصلاحات الضرورية لتأمين هذه الحقوق والحريات.

وفي هذا الإطار لا بدَّ من التوقف عند معاهدتي «سان استيفانو» و «برلين»، أهم ما جاء فيهما بخصوص المسألة الأرمنية، ظروفهما ومصيرهما؛ مع التوقف عند كيفية إعداد ذلك في المطابخ الدولية.

إنَّ الاضطهادات التي مارسها الأتراك ضد مسيحيي بلغاريا، كانت من الأسباب الرئيسة التي جعلت روسيا تعلن الحرب على تركيا عام ١٨٧٧؛ حيث إنتصر الروس وانتهى الأمر بمعاهدة صلح وقعت في بلدة (San - Stéfano).

أهم ما فيها بالنسبة للأرمن كان المادة ١٦، التي نصت على ما يلي:

«باعتبار أن إنسحاب القوات الروسية من المقاطعات التي تحتلها في أرمينية (الغربية التركية)، والتي سوف يصار إلى

---

(١) ـ Ibid, P. 8.

(٢) ـ ولكن ما يهمنا في هذا البحث، حصراً العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية.

إعادتها إلى تركيا، قد يؤدي إلى نشوب خلافات وتعقيدات قد تضر بالعلاقات الحميدة بين الدولتين المتعاقدتين، لذلك يتعهد الباب العالي دون إبطاء بإدخال التحسينات والاصلاحات التي تقتضيها الظروف المحلية في المقاطعات التي يقطن فيها الأرمن وبضمان سلامتهم»[1].

تشير المادة ١٦ هذه وبوضوح تام إلى الروح العدائية التي يكنها الأتراك ضد الأرمن، لذلك كان الخوف من نشوب خلافات وتعقيدات بين الطرفين، وهذا ما حمل روسيا على فرض تحسينات واصلاحات تكفل حقوق الأرمن وتضمن سلامتهم. غير أن التعهد الذي قطعه الباب العالي لتنفيذ هذه الاصلاحات في المقاطعات الأرمنية، ظلت وعوداً عثمانية عرقوبية.

في هذا الوقت، دخلت بريطانيا وبقوة على خط الأحداث ولأنها خشيت من تعاظم قوة روسيا القيصرية، راحت تعمل سراً على إسقاط معاهدة «سان ستيفانو»، خصوصاً أن هذه المعاهدة حجَّمت دور الامبراطورية العثمانية وفعَّلت دور الروس، الذين سيطروا على المضائق ووصلوا إلى البحار الدافئة.

في هذا المناخ، حظيت بريطانيا بحصة الأسد، فعقدت معاهدة سرية مع تركيا نالت بموجبها جزيرة قبرص، مقابل تعديل المعاهدة المذكورة، وبالفعل نجحت بريطانيا في إقناع القيصر الروسي، وكسر حدة بنود معاهدة «سان ستيفانو»، وعقد مؤتمر برلين في نفس السنة ١٨٧٨، واستبدلت المادة ١٦ السابقة، بالمادة ٦١ الجديدة، على النحو التالي:

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٣٩٦.

«يتعهد الباب العالي دون أي تأخير، بتحقيق الاصلاحات وإدخال التحسينات التي تقتضيها ظروف المقاطعات التي يقطنها الأرمن، وبضمان سلامتهم، وسيقدم الباب العالي ـ دورياً ـ بياناً بالخطوات التي يتخذها بهذا الصدد إلى الدول المعنية بمراقبة عملية تنفيذ هذه المتطلبات»[١].

بالمقارنة بين المادتين، نجد أنَّ المادة ٦١ لم تعد تشترط تطبيق الاصلاحات والتحسينات بانسحاب القوات الروسية؛ كما أناطت عملية الاشراف بمجموعة الدول المراقبة. غير أن التعهدات ظلت حبراً على ورق، وكلاماً فارغاً من محتواه، لأن النوايا التركية جرت عكس طموحات الأرمن وآمالهم. وقد نسجل إيجابية واحدة لهاتين المادتين، كونهما أخرجتا المسألة الأرمنية من القمقم الإقليمي إلى الساحة الدولية.

عقب هذه التطورات والمعاهدات، بدأت تركيا تستعيد أنفاسها، متجاهلة كلَّ شيء وعاملة على تنفيذ مخططها الجهنمي لمحو الأرمن واقتلاعهم، ليس فقط عن خريطة الشرق الأدنى، بل وعن خريطة الوجود.

وهكذا تفاقمت الأمور بين الأرمن والأتراك، خصوصاً بعد أن تكشفت الأبعاد الحقيقية لنوايا السلطان الأحمر وبعد أن سقط حلم الأرمن في إقامة حكمهم الذاتي وبعد أن تبددت الضمانات التي وعدتهم بها معاهدة «سان ستيفانو»، كما وعدت كل الأقليات في آسيا الصغرى[٢].

في كل هذا لا يجوز إذاً، إسقاط التدخل الخارجي وتضارب المصالح للدول الأوروبية الكبرى، التي ساهمت في إفشال كل

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٣٩٧.

(٢) ـ Henry Barby, Op. Cit, P. 6,7,8.

المعاهدات، والدليل واضح، «فالاوركسترا» الدولية رغم تعهداتها الاحتفالية والفلكلورية التي إلتزمت بها حيال الأرمن، فهي لم تحقق شيئاً، خصوصاً تلك الاصلاحات والتحسينات التي كان الباب العالي قد تعهد بها أمامها، لضمان الأرمن في أمنهم ضد الأكراد والشركس[١] ومن الأتراك بوجه عام.

كذلك لا يجوز تحديداً أن نتجاهل الدور الالماني، فمنذ بداية العهد الحميدي والالمان راحوا يمثلون عراب السياسية التركية؛ والسبب دائماً الإقتصاد والتسلّط، فالفرضية الإقتصادية، مقبولة بل وأولوية في التعاطي الالماني مع القضية الأرمنية (التجار الالمان ـ خط بغداد)، كما مع غيرها.

بين المصالح والمصالح المضادة، إحتقنت الأوضاع السياسية كثيراً، وتوترت الأجواء أو أريد لها أن تتوتر، فأصبحت قابلة ومهيأة لكل إنفجار، تمَّ الاعداد له بعقل جريمي متطور، مباشر وبالواسطة.

ب ـ المخطط الحميدي: كيفية التنفيذ والنتائج.

معاهدة «برلين» عام ١٨٧٨، شكلت بالنسبة للمسألة الأرمنية ضربة كبيرة، وفتحت بالمقابل نافذة يطل منها المخطط الحميدي إلى الضوء.

على أرض الواقع، الظروف مؤاتية: فالدول الأوروبية، خذلت القضية الأرمنية أو عجزت عن مساندتها حتى النهاية. فلا الناطور قتلت ولا الشعب الأرمني أكل العنب. أما تركيا على عادتها، ضربت عرض الحائط، بكل الاتفاقات الثنائية

---

(١) ـ Loc. Cit.

والدولية، كما نكست بكل تعهداتها حيال الأرمن، خاصة أنها لا تقرأ إلاّ في كتاب واحد ولا ترى إلاّ بعين واحدة.

معاهدة «برلين»، كما يقول موسى برنس، جمعت الحطب وأحضرت النار لمحرقة أرمينية[١]. المعاهدة لم تكن خطأ بل جريمة، حيال ما خلفته من مضاعفات وأمام شلل الدول الكبرى. أضف إلى ذلك أن واقع الأرمن داخل الامبراطورية، كان كواقع جميع المسيحيين فيها، إجتماعياً، وسياسياً ودينياً، كذلك حرِّم عليهم حمل السلاح، الذي هو من حق المسلم وحده. وهكذا نجد أن الأرمن أصبحوا فعلياً دون دفاع. فلا تركيا تريد حمايتهم، بل على العكس، فهي تجدهم كمسيحيي بلغاريا، يجب إزالتهم، ولا أوروبا قادرة على ذلك، أو راغبة في الذهاب أبعد من ذلك، ولا هم منحوا حق الدفاع عن النفس[٢]. من هنا نجد أن هذه المشكلة كانت تطرح كمطلب حيوي وأساسي في كل مفاوضاتهم، لأن الأرمن وجدوا في تسليحهم العامل الضامن لوجودهم واستقرارهم.

نتيجة لكل هذا، تحوّل الأرمن إلى لقمة سائغة في فم التنين التركي؛ الذي راح يزرع الرعب في كلِّ مكان، زارعاً الرعب في قلوب الأرمن، فادركوا أنَّ المواجهة بينهم وبين الأتراك واقعة حتماً وهي بطبيعة الحال، ليست متكافئة ولا عادلة؛ ومع ذلك ورغم الظلم الذي لحق بهم، أدرك الأرمن وهم الشعب الأبي

---

(١) ـ Moussa Prince, Le Génocide (un Génocide Impuni); l'Arménocide, Beyrouth, 1988, P. 83.

(٢) ـ هراج داسنابيديان، القضية الأرمنية، بيروت ١٩٨٤، ص. ١٢؛ راجع أيضاً موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٩٢.

المناضل، أنه إذا لم يكن من الموت بد، فمن العار أن يموت جباناً.

ما هي الأسباب المباشرة التي مهدت للإنفجار الكبير خصوصاً بين الأعوام ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦؟

إستفاد السلطان عبد الحميد الثاني من الأمور التالية:

أ ـ المناخ الدولي المتشنج وضعف تضامن الدول الفاعلة.
ب ـ تقصير أوروبا.
ج ـ التقارب مع روسيا في عهد القيصر إسكندر الثالث.

فاعتمد عبد الحميد السياسة التالية:

أ ـ سياسة الخلل الديموغرافي، عن طريق إستبدال الغالبية الأرمنية في الولايات الست، خصوصاً في وان وتبليس وأرضروم، بغالبية من القبائل الكردية.
ب ـ تسليح الأكراد وتجنيدهم في فرق غير نظامية، عرفت بالفرق الحميدية. شكلت هذه الفرق الأداة التنفيذية لجرائم هذا السلطان، زرعت الرعب في كلِّ البلاد، فصبغتها بدماء الأبرياء.
ج ـ إرهاق الأرمن بالضرائب الباهظة غير المبررة، يدفعونها لفرسان عبد الحميد من جهة ولحكومته من جهة ثانية.

إلى جانب ذلك، راح عبد الحميد يشيع في الداخل كما في الخارج أن الأرمن هم مصدر القلاقل والاضطرابات وانهم يعدون العدة لحركات شغب وإرهاب؛ كل ذلك ليعطي تبريراً للفظائع التي أعدَّ لها بكل دقة وإحكام.

إثر ذلك، لم يكن أمام الأرمن غير الطريق الذي سلكوه، حفاظاً على كرامتهم وحريتهم، طريق الرفض لهذا الواقع المخزي والمذل. فراحوا يشكلون في أرمينية ـ التركية،

حركات تحررية وانعتاق، شبيهة بتلك التي قادت الشعوب البلقانية إلى الثورة وكسر النير العثماني[١].

إنَّ يقظة الوعي الأرمني، متلازم مع نهضتهم الثقافية والأدبية والوطنية. فعملوا على تشكيل «كادرات» ثورية وغرضهم من ذلك لم يكن أبداً الإرهاب والشغب، كما لم يكن لنهب البلاد وذبح الأتراك، كما إدعت الحكومة التركية وروجت له، إنما هدفهم كان واحداً هو حماية الشعب الأرمني، من غزوات الأتراك والأكراد والشركس وضد عنف وهمجية الحكومة التركية، التي وبفضل اللامبالاة الأوروبية والدولية، تابعت اضطهادها المنظم والمبرمج للأرمن العزَّل من كل سلاح ومن كل وسيلة دفاعية.

ولدحض الادعاءات والاتهامات التي روَّج لها عبد الحميد وبطانته، ضد الشعب الأرمني، نقول: إذا كانت هذه الافتراءات صحيحة، فلماذا لم يُعِّدْ الأرمن أنفسهم ولم يتسلحوا، قبل قيامهم بالانتفاض ضد السلطنة؟ ولماذا لم تظهر حركاتهم الدفاعية والتحررية إلاّ في حدود العام ١٨٩٠؟ مع العلم أن إضطهادهم يعود إلى سنوات طويلة، أقله منذ اللحظة الأولى لقيام الحكم الحميدي.

وكل ما يسجل من حركات وانتفاضات قبل هذا التاريخ، لم يكن أكثر من رد فعل عفوي رافض للمظالم والاستفزازات التي مارسها السلطان وفرسانه؛ ومع ذلك ظلت حركات جزئية ومحلية، خصوصاً في المناطق الجبلية.

---

(١) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٩ ـ ١٠.

Voir, Dr Raymond Sayegh, Le Système de Partis Politiques en Israel, Lib Samir, Beyrouth, 1971, P.P. 20 - 35

نذكر على سبيل المثال لا الحصر الأحداث البارزة التالية:

١ ـ حركة zeitoun عام ١٨٦٢، والتي تعود إلى الإنعكاسات التي خلفها تدخل فرنسا لصالح مسيحيي لبنان، إنتهت بإرسال بعثة أرمنية إلى باريس قابلت نابليون الثالث.

٢ ـ إنتفاضات الصاصون عام ١٨٩٤ وزيتون عام ١٨٩٥. هذه المناطق الجبلية، حفظ أهلها دائماً نصف إستقلال، فكانوا السبّاقين في رفض النير العثماني، فثاروا لكرامتهم وسلامتهم ورفضوا تأدية الضرائب للأكراد، كما حملوا السلاح في وجه القبائل التي كانت تغير عليهم بأمر وغطاء كاملين من السلطان نفسه[١].

إنَّ الدفاع المشروع عن النفس، الذي مارسه الأرمن في بعض المناطق من أرمينية التركية، جاء بمثابة الكنز الضائع بالنسبة للأتراك، حيث وجدوا فيه ما ينشدون من ذرائع وحجج لتنفيذ مخططهم الموعود في إقتلاع الأرمن وإفنائهم. فبدأت المجازر، خصوصاً في صاصون، ثم إنتشرت كإنتشار اللهب في الهشيم. ولم تنفع معها كلُّ المداخلات التي قام بها ممثلو الدول الكبرى. فراحت تلتهم في طريقها الحجر والبشر، ثم راحت تطال كلَّ دسكرة وقرية ومدينة الواحدة تلوى الأخرى، كما هو مدروس ومخطط.

ثم انَّ عبد الحميد بدهائه وذكائه، لم ينسَ الحرب النفسية والدينية، التي تجيِّش النفوس وتشحنها بالحقد والحساسية، فتصب الزيت على النار وتزيد من وقودها. لذلك أوعز إلى خطباء المساجد إنجاز هذه المهمة، «باتهام المسيحيين مباشرة

---

(١) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ١٠؛ راجع مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٣٩٨.

بأنهم يقفون وراء مؤامرة كبيرة ضد الوطن والسلطنة. فأمر بتوزيع السلاح على عصابات مشبعة بروح التعصّب، وأطلق العنان من جديد للفرق الحميدية»[1] وما عجزت عنه هذه الفرق أكمله الجيش بأبشع الصور والممارسات.

ففي ٢٠ ـ ٢١ حزيران ١٨٩٠ وقعت مذبحة الأرمن في أرضروم. ثم خرجت الأحداث على كل الضوابط وتفلتت من كلِّ سيطرة. أما المجازر الحميدية الكبرى، فقد بدأت في العام ١٨٩٥ وغطت كل أرمينية التركية، التي غرقت بدماء الأبرياء المتدفقة أنهراً.

فكانت أبرز النتائج حتى أواخر ١٨٩٦ كما يلي:

* إبادة مئات الألوف من العائلات، بأطفالها ونسائها وشيوخها، داخل المنازل وفي الغابات وعلى الطرقات.
* ٣٠٠,٠٠٠ أرمني من مختلف الأعمار والأجناس، سقطوا على يد عبد الحميد وجلاديه[2].
* ٢٥٠٠ قرية، نهبت، دمرت وأحرقت.
* ٥٦٨ كنيسة ودير دمرت أو تحولت إلى مساجد.
* في القسطنطينية وحدها ٨٠٠٠ أرمني ذبحوا.
* ٣٠٠٠ أرمني أحرقوا، ليلة عيد الميلاد، داخل الكنيسة التي إحتموا فيها، في مدينة أورفا (الرها).

---

(١) ـ هراج داسنابيديان، القضية الأرمنية، المرجع السابق، ص. ١٢ ـ ١٣، راجع كذلك سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ١٢٥ ـ ١٣٣.

(٢) ـ بعض المراجع يرجع العدد إلى ١٥٠,٠٠٠ ضحية فقط، ولكن المقارنة أثبتت ضعف ذلك.

* مئات الآلاف من الأرمن الهاربين من جحيم الموت، تحولوا إلى ملحمة رهيبة[١].

كل هذا يجري على مرأى ومسمع الدول الكبرى، التي ظلَّ تدخلها خجولاً جداً بل وعاجزاً عن إيقاف جحيم الموت الذي ألهبه الأتراك بالتكافل والتضامن مع القبائل الكردية.

وحدهم المقاومون الأرمن، قدموا دليل البطولة والعزة، عندما قام رجال حزب الطاشناق بأول عمل فدائي في القسطنطينية نفسها، باحتجازهم الموظفين داخل البنك المركزي، في آب ١٨٩٦، وهددوا بنسفه بمن فيه إذا لم تنفذ مطالبهم، خصوصاً لجهة تطبيق الاصلاحات الواجبة[٢].

إنتهت العملية بضمانات ووعود من الدول الكبرى، وكالعادة، ذهبت جميعها ادراج الرياح. وكان الرد العثماني المدبَّر، مذبحة جديدة من ٢٦ حتى ٢٨ آب عام ١٨٩٦، أسفرت عن قافلة جديدة من شهداء الأرمن، قرابين على مذبح الشهوات والأحقاد والأصولية. سبعة آلاف قتيل بينهم الكثير من النساء والأطفال، معظمهم من الارثوذكس بغية الإيقاع بينهم وبين الأرمن الكاثوليك.

والنتيجة استنكارات واختجاجات، لا تعيد شهيداً ولا تعزي مفجوعاً ولا تبلسم جراحاً.

وتكر سبحة المجازر بأبشع صورها وعلى نطاق واسع في «توقات» بشرق الأناضول وذلك يومي ١٩ و ٢٠ آذار ١٨٩٧، ثم

---

(١) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٢٣٩، راجع هنري باربي، المرجع السابق، ص. ١١ ـ ١٤.

(٢) ـ هنري باربي، المرجع نفسه، ص ١٢ ـ راجع هراج داسنابيديان عن المرجع السابق، ص. ١٤.

في جبل صاصون مجدداً وفي المدة ما بين ١١ إلى ١٥ آب ١٩٠٣ وما بين ٢٥ نيسان و ٢٩ أيار ١٩٠٤[(١)].

ورغم أن المعركة غير متكافئة وهي خاضعة لمنطق القوة وليس لمنطق العدالة والديموقراطية، فقد تابع فدائيو الطاشناق أعمالهم البطولية في مختلف الولايات والمناطق وبظروف جد قاسية. ومن غريب المفارقات أن الحق يكون غالباً إلى جانب الأقليات الأضعف والظلم يكشف عن أنيابه في عالم الأقوياء عدداً وسلطة ومالاً.

عهد عبد الحميد الثاني، ثلاث وثلاثون سنة عاشها الأرمن في فلسفة الرقم، صفحات حالكة سوداء، ليست سوى فصلٍ صغير من تاريخ أرمني ملحمي طويل، رزح طيلة ستة قرونٌ تحت نير الأتراك وإضطهادهم وتعصبهم ومجازرهم. فشكل كامل المأساة الأرمنية الحقيقية، وحشد قوافل شهدائهم في سِنْكِسار (Un Martyrologe)[(٢)] لا مثيل له، كمًّا ونوعاً، طيلة قرون الحضارة المنظورة.

شخصية عبد الحميد، الغارقة في أنانياتها وأحقادها وتعصبها، كما تجمع غالبية المراجع، هذه الشخصية المتعطشة إلى الدم وملاحم الأبرياء، كانت لأجل تركيا امبراطورية، صافية العرق، والدم والدين. فالتاريخ لا يخطيء مهما كذب المؤرخون والحقائق لا تموت مهما إرتكب باسمها من جرائم وفظائع.

---

(١) ـ سمير عربش، المرجع السابق، ص. ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) ـ سِنكِسار (Martyrologe): هو كتاب أسماء الشهداء وسائر القديسين، هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٦.

Voir aussi, E. SEGOND, Histoire Générale, A. Hatier, Paris, 1939, P.P. 811, 834.

هذه الوقائع الحقائق، تعطي الأرمن براءةً لا إستئناف فيها ولا تمييز. فإلى متى تدان الضحية ويتوج الجزار بطلاً؟ فحق الدفاع عن النفس شرعته القوانين كما شرعته الأديان. وحق مقاومة المعتدي والمحتل ـ حتى ولو كان صديقاً أو قريباً ـ فهو واجبٌ مقدسٌ.

ولماذا يكون الجهاد مقدساً في مكان؟ وإرهابياً ـ بربرياً في مكان آخر؟ ولماذا تصبح الحقوق هرطقة، متى خالفت منطق الأقوياء ومصالحهم؟ ثم أي منطق يقبل باتهامات وجهت إلى الأرمن، بانهم مصدر قلاقل ودعاة تحرر؟ وإذا صحَّ ذلك، فهذا يعني أربعة أمور أساسية هي:

أ ـ هل يعقل أن تتمكن حفنة من الأرمن، من التغلب على امبراطورية أرعبت العالم؟ حجة ساقطة في الأساس.

ب ـ أما في الواقع لنسلِّم بامكانية حصول ذلك، فهذا يعني أن الظلم والتعصّب الحاصلين على الأرمن، بررا قيامهم بأعمال ثأرية ـ إنتحارية ضد جلاديهم.

ج ـ لماذا تكون المقاومة بطولة تستحق الجنة في مكان وتوجب النار في مكان آخر؟! فالكل يعترف ببراءة الأرمن وصواب قضيتهم والكل يتجاهل هذه القضية وتلك البراءة.

د ـ ثمَّ لماذا إنتفض الشباب الأتراك أنفسهم ضد سلطانهم؟ وهكذا بين أحقاد الأتراك وتعصبهم وبين مطامع الدول وتضارب مصالحها (بخاصة المانيا) وبين عجز القرار الأوروبي وعقمه، دفعت أرمينية الثمن الباهظ من لحمها ودمها، من أرضها وتواجدها.

إستمر الوضع على ما هو عليه، والسلطان عبد الحميد لا يوفر وسيلة في سبيل تحقيق حلمه الكبير؛ تركيا للأتراك وخالية

من الأرمن والمسيحيين، نراه لذلك يستخدم مشايخ الدين وخطباء المساجد لأغراضه العنصرية والأصولية. وكل بحث خارج هذه الأهداف والعناصر، يكون كمن ينقل البحر إلى حفرة في رمال الشاطيء.

نعم يجب قول الحقيقة، مهما كانت هذه الحقيقة قاسية ومؤلمة، لا بهدف التحريض أو الدعوة إلى الانتقام، بل على العكس تماماً، فنحن علمانيون نؤمن بأن الأمور لا تعالج بالمداهنة والممالقة والخداع، بل بصراحة وعقلانية وإستبدال غرائز التعصب بإيمان صادق بحقوق الإنسان. هذه الروح الإجرامية، التي عاشها السلطان الأحمر وبثها في كيان السلطنة العثمانية، يبدو أنها نمت وتكاثرت وأتت ثمارها، كما يتكاثر العوسج بين الورود وفي الكروم.

وهل ننسى، كيف ختم هذا السلطان، مسيرة الرعب والموت عبر ثلاث وثلاثين سنة من جلجلة الأرمن، بمجازر أضنة وكيليكيا عام ١٩٠٩[1]؟ فبين ثورة الشعب وقمع الحاكم لها، وبين نفيه وعودته القصيرة المفاجئة، لم يشأ عبد الحميد مغادرة السلطة وهو جائع إلى فرائس وضحايا أرمنية جديدة. فأولم في أضنة بثلاثين ألف أرمني، وكان قد قضى في كيليكيا ٢٠٠,٠٠٠ آخرين[2]. إعتبروا آخر ولائمه وقوافل ضحاياه. فانتهت مرحلة الآلام الأرمنية الأولى، بزحف جيش الأتراك الشباب واستيلائهم على الحكم ونفي السلطان وإقتلاع أول صفحة من صفحات تاريخهم الحالك المليء بروائع الجريمة وفنونها.

---

(١) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٤٠١.

(٢) ـ هراج داسنابيديان، المرجع السابق، ص. ١٧.

والمفارقة الغريبة في كلِّ هذه المآسي، هو تجاهل العالم لها، حتى الأرمن أنفسهم لا يأتون على ذكرها إلاّ عرضاً ولا يحتفلون بذكرى هؤلاء الشهداء الذين سقطوا تحت حوافر التنين التركي في زمن عبد الحميد، رغم أنَّ قوافلهم لامست حدود نصف مليون شهيد. بغياب هذا السفاح الحميدي، هل طويت صفحة القهر والأوجاع الأرمنية؟ هل أشرقت شمس الحرية والعدالة والمساواة الحقيقية في عوالم أرمينية وفوق أرضها الام؟!

كيف كان عهد جمعية الإتحاد والترقي، بالنسبة للأرمن؟ فهل شكَّل بوادر إنفراج، أم تكملة إنفجار؟

القسم الثاني: المسلمون الأتراك والأرمن
مرحلة ثانية ـ الإتحاد والترقي ١٩٠٩ ـ ١٩١٩:

I ـ الشبان الأتراك والأرمن، فترة ما قبل الأعصار ـ الإبادة:

١ ـ شهر عسل لم يدم:

في المرحلة الانتقالية الاصلاحية، بين إعلان الدستور العثماني الجديد عام ١٩٠٨ ـ تحت ضغط الحركات الثورية ـ التحررية وفي طليعتها حزب الطاشناق ـ والذي نصَّ على منح جميع قوميات الامبراطورية وشعوبها، الحقوق والواجبات نفسها، فلا تمييز في الجنس أو الدين أو القومية، وبين تولي «الإتحاد والترقي» زمام الأمور ومقاليد السلطة، نافذة حملت معها، رغم شوائبها، بصيص أمل للشعوب الأرمنية التواقة إلى السلام والحرية، ولكن سرعان ما انطفأ هذا الضوء لتعود الأمور إلى دوامةٍ أشد عنفاً وأكثر دموية.

إنطلقت جمعية «الإتحاد والترقي»، ظاهرياً على أسس العدالة والمساواة، فوضعت الاصبع في جرح المسألة الأرمنية، التي وجدت فيها ضالتها. من هنا كان الدعم الأرمني لانطلاقة هذه الحركة الثورية، وتعاطفها مع مبادئها الأساسية. فقامت

اللجنة الأرمنية في المنفى بالتنسيق مع «الإتحاد والترقي» وعقدوا المؤتمرات، بغية تأسيس حكومة دستورية[1]، تعمل على تطبيق الاصلاحات المنشودة.

في بداية الأمر، إستبشر الأرمن خيراً بالحكومة الجديدة، فعقدوا معها أطيب العلاقات، آملين أن ينعموا في ظلها بما إفتقدوه في العهود السابقة، من عدالة ومساواة. غير أنَّ الرياح التركية هبت عكس ما تشتهي سفن الأرمن، وحساب الحقل لم يطابق حساب البيدر. فسقطت كل الأقنعة وتكشفت حقيقة النوايا التي أضمرها الشباب الأتراك، حيال الشعب الأرمني.

وهكذا فكلُّ ما يبنى على باطل فهو باطل، وشهر العسل بين الطرفين مات قبل أن يولد؛ بعد أن كان الأرمن، قد وجدوا في الحكم الجديد نعمة أو مبَّرة[2].

٢ ـ حركة ليبرالية، سقطت عند صنمية الطورانية المتحجرة:

الحركة الليبرالية التي قادها الشباب الأتراك، لم تكن في حقيقة الواقع، غير بريق كاذب أو حجاب دقيق يخفي وراءه أسوأ النوايا والمخططات الخبيثة بحق الأرمن وسائر الاتنيات المتواجدة فوق أراضي السلطنة ومستعمراتها، أين منها مخططات عبد الحميد وزبانيته؟ فصحَّ معهم القول: ربَّ يومٍ، شكوت منه. . . ولمّا صرت في غيره بكيت عليه.

جمعية «الإتحاد والترقي» ذهبت بعيداً جداً في دروب العنصرية والتعصب، بغية تحقيق سياستها الهادفة إلى خلق الجامعة الطورانية. فاسقطت بذلك كل المحاولات الوفاقية

(١) ـ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٤٠٢.

(٢) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٧.

للعيش المشترك ولانضواء المجموعات المتعددة في مجموعة فيديرالية، تحت المظلة العثمانية وحمايتها، كما سقطت كل الشعارات إلى الحرية والعدالة والمساواة.

أما العقيدة الطورانية، كما يقول هراج داسنابيديان، فكان مصدرها التتار في روسيا والتركمان في آسيا الوسطى. ثم تمكنت تدريجياً ان تحل، في الامبراطورية المعلمنة، محل الوحدة الإسلامية التي سادت إبّان العهد الحميدي[1].

العقيدة الطورانية، أدت حكماً إلى سياسة التتريك (Turquisation) التي وضعت موضع التنفيذ، هذه السياسة حتمت رفض كل جنسية عاصية على التمثُل[2] في الهوية التركية قلباً وقالباً، لذلك أصبحت هذه الجنسيات عقبات يجب تدميرها والقضاء عليها، والأرمن بطبيعة الحال في طليعة هذه القوميات المدرجة على لائحة الإعدام والإبادة، وإن كانت الجنسية الأرمنية الأقوى تنظيماً وتماسكاً وأصالة والأكثر حيوية وديناميةً، فهي مع ذلك لم تسلم من مقصلة هذا المخطط الطوراني، بل كانت الضحية الأولى له.

إلى جانب النزعة العنصرية التركية المتطرفة، لا يجوز إغفال النزعة الدينية الدائمة التي تعتبر، خصوصاً في المجتمعات الاسلامية، المحرِّك الأول الذي يجمع حوله كل المسلمين على إختلاف إنتمائهم وشيعهم.

والدولة التركية، تعتبر في هذا السياق نموذجاً حياً، لاستغلال الدين في سبيل إستعمارها السياسي.

(١) ـ هراج داسنابيديان، المرجع السابق، ص. ١٨.

(٢) ـ التمثل: (Psycho - Soc), Assimilation تكيف سلوك الفرد وفقاً لحياة الجماعة عن طريق إقتباس المواقف والعادات إلى درجة التذويب التام.

«. . . إن الوجود التركي، كان يمثل إستعماراً، إتخذ من وحدة الدين غطاءً يخفي به حقيقته كإستعمار سياسي، يقوم على دعامتين: التفرقة العنصرية. . . ونظام الملة. . . »[١].

بالحديث عن الدين والقوميات، تتحدد المواقف وتتباين، فالاسلام ظاهرة غيرت وجه العرب جذرياً وأطلقت مفاهيم جديدة، غير أنَّ السلوكية ظلت مستهجنة وسراً لا تفهم ثوابته.

إنّ التطلعات الطورانية، لم تغب أبداً عن هذا الواقع الديني، فجمعت العصبية القومية إلى الأصولية الدينية. أو قل وظفت الدين لاستثمار مشاريعها السياسية والتوسعية.

الجامعة الطورانية الموعودة من منغوليا إلى حدود البلقان، وجدت الدعم اللازم لها من بعض الدول المستفيدة إستراتيجياً وإقتصادياً من هذا المشروع السياسي، وفي طليعتهم المانيا.

وهكذا بدأت جماعة «الإتحاد والترقي» عمليات التتريك القسرية، والمرفقة طبعاً بأعمال إضطهاد على مختلف الصعد، الأمر الذي حتَّم ردود فعل ناقمة ورافضة فجرَّت العديد من الثورات فوق أراضي الامبراطورية. أما لماذا إستهدفت سياسة التتريك الشعوب الأرمنية، على وجه التحديد؟!

مردُّ ذلك، إلى أن أرمينية بموقعها الجغرافي الفريد، كانت تشكل عقبة رئيسة في طريق تحقيق الحلم الطوراني[٢]. وهكذا

---

(١) ـ صالح زهير الدين: «مخاطر الدور التركي في المنطقة العربية»، بيروت ١٩٩٣، ص. ٢٩، راجع أيضاً مرغريت حلو، العلاقات التركية ـ الإسرائيلية، مركز الدراسات الأرمنية، بيروت ١٩٩٤، ص. ١٥ ـ ١٦.

(٢) ـ هراج داسنابيديان، القضية الأرمنية، المرجع السابق، ص. ١٩.

ـ لفظة طورانية، تنسب إلى هضبة «طوران» التي تضم المناطق الممتدة من الصين، عبر إيران وتركستان والقوقاز حتى هنغاريا والبلقان بما فيها الأناضول، وما عليها من الشعوب. عربش ص. ٢٣٦.

نجد مرة جديدة، أن جغرافية أرمينية على أهميتها، لقد لعبت دوراً مزدوجاً في ايجابيته وسلبيته معاً، فلو لم يكن هذا الموقع بروعته واستراتيجيته الفريدة، لما تخاصمت عليه الدول وتقاتلت من أجله الشعوب على إختلافها. ناهيك عن كون أرمينية أول دولة في العالم كرست المسيحية ديناً رسمياً لها، إضافة إلى أن الأرمن كانوا من أوائل الشعوب التي إعتنقت المسيحية عقيدة راسخة وثابتة.

كل هذا كان من الذرائع التي تسترت بها بعض الدول لتمرير مخططاتها حيال أرمينية وشعبها، وهذا ما تؤكده التقارير الديبلوماسية والصحافية وغيرها، وهذا ما أكده قنصل فرنسا في «Van» عندما كتب يقول:

... بعد عزلة الأقلية الأرمنية التي إعتنقت المسيحية في القرن الخامس[1]، على يد المسلمين الذين تزايد نفوذهم في آسيا الصغرى، عانوا الكثير من مفاهيم التمايز بين المسلم وغير المسلم، كما عانت كل الأقليات المسيحية. أما الأكراد الذين إعتنقوا الاسلام إختلف موقعهم كما إختلفت النظرة اليهم[2].

ما يعلن لم يكن هو ما يضمر في السياسة التركية، فالباطنية، بكل ما فيها من تكاذب وخداع، كانت وحدها سيدة الموقف.. فكيف نفسِّر إنتقال «الإتحاد والترقي» من أقصى الايجابية إلى أقصى السلبية؟ وكيف نفسِّر إنقلابها ضد حلفائها الأرمن، بعد أن نالت دعمهم وتأييدهم، وحققت مبتغاها؟

---

(١) ـ البعض يقول في القرن الأول للميلاد؟!.

(٢) ـ قنصل فرنسا في ڤان «المسألة الكردية ـ الأرمنية» مقال نشر في مجلة باريس، تاريخ ١٥ نيسان ١٩١٤، راجع موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٥٩ ـ ٦٠.

وقد ترجم «الإتحاد والترقي»، حقده وكرهه للأرمن، مجازر رهيبة سجلت سبقاً في تاريخ الإنسانية. وقد لا تكون هذه المجازر، على هولها، أخطر من النوايا التي أخفتها وراءها، وقد تكشفت على حقيقتها المخيفة، في مؤتمراتهم السرية وحتى في تصاريح بعضهم. وما مؤتمر «الإتحاد والترقي» الذي عقد في سالونيك عام ١٩١٠، والقرارات السرية التي أقرت فيه والتي تحتم إبادة الأرمن في الدولة العثمانية[(١)] إلاّ الدليل القاطع الذي يؤكد خلفيات السياسة العثمانية وسوء نواياها والتي خطط لها عن سابق تصور وتصميم.

وهكذا، تكشف يوماً فيوماً إستحالة التعايش بين مختلف المجموعات داخل السلطنة العثمانية، وبخاصة الأرمن الذين اعتبروا في نظر الأتراك كالدمَّل الواجب إستئصاله من الجسم[(٢)].

أمام هذه الحقائق، سقطت كلُّ الشعارات المزيفة التي رفعها جماعة «الإتحاد والترقي» وفي مقدمها شعار «الحرية والعدالة والمساواة»[(٣)]، فكان بمثابة الفخ الذي إصطاد الأرمن والفئات الأخرى المتعطشة إلى مقومات العيش الحر الكريم، منذ زمن بعيد.

إكتملت الاستعدادات والتحضيرات للاطباق على الأرمن في

---

(١) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٢) ـ لنا عودة إلى برقيات قادة الحكومة التركية القاضية بضرورة إبادة الأرمن واستئصالهم وذلك في القسم التالي: المجازر الكبرى نيسان ١٩١٥.

(٣) ـ مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٤٠٢.

مسلسل من المذابح قادتها الحكومة التركية نفسها، فاغرقت البلاد في أنهر من الدماء.

كيف تمَّ «السيناريو» الإجرامي هذا؟ ما هي مسؤولية الدول الكبرى فيه؟ ما هي حدود نتائجه وانعكاساته على الأرمن والعالم؟

II ـ المذابح الأرمنية الكبرى، مأساة أرمينية أم عار الإنسانية؟

١ ـ المذابح الأرمنية الكبرى، في الأدلة والوقائع إدانة صارخة للجميع:

أصبح من المؤكد إستفراد تركيا بالشعب الأرمني والقوميات الأخرى وفي عقر دارها، فأعدت العدة، داخلياً وخارجياً، سياسياً وعسكرياً، ولما أصبحت بكامل جهوزيتها، ساقتهم إلى الذبح كما تساق الخراف وأكثر. كيف تمَّ ذلك؟ وما هي أدلة الإتهام التي تدين المجرمين بجرائمهم؟

بعد أن رفضت القوميات الأرمنية والعربية رفضاً قاطعاً قيام الجامعة الطورانية ـ العنصرية[١]، وبعد بروز ثورات في مناطق عدة، لمواجهة مخطط التتريك والتذويب، وبعد أن تحرك الأرمن دبلوماسياً وسياسياً في المحافل الدولية، بغية تأمين الدعم لمطالبهم المحقة والعادلة، وبالفعل نالوا تأييد روسيا وفرنسا عام ١٩١٢، باستثناء المانيا، الحليف التركي الدائم[٢]،

---

(١) ـ تمثل هذا الرفض بقيام ثورات عربية في اليمن وفلسطين والعراق وجبل الدروز، وبلجوء الأرمن إلى الدول الأوروبية عام ١٩١٢ لحضها على تطبيق «الإصلاحات» التي إقترحتها وتعهدت بحمايتها. راجع مروان المدور، المرجع السابق، ص. ٤٠٣.

(٢) ـ لنا عودة إلى الموقف الالماني في باب مسؤولية الدول الكبرى.

بعد كل هذا رأت تركيا أن الحلم في إبادة الأرمن، هذا الجنس الكريه، كما يسمونه، يجب أن يتحقق، والظروف مؤاتية. . . فأذبحوهم!

أ ـ الإدانة التركية: إجتماعات، برقيات وشهادات سرية:

فشلت عمليات تتريك الأرمن، فلم يبقَ غير سحقهم واقتلاعهم.

بهذا المنطق وبشغف كبير، سعت تركيا «الإتحاد والترقي» إلى تحقيق الطورانية الحلم المنتظر. وحجة الذئب هذه المرة، تحميل الأرمن مسؤولية الهزائم العسكرية واتهامهم بالخيانة.

أما الحقيقة فهي عكس ذلك تماماً، إذ أن الأرمني، أينما كان، فهو مواطنٌ محايد، مسالم وملتزم. وقد عبَّر «ونستون تشرشل»[١] عن هذه الحقائق، إثر دخول تركيا الحرب، بقوله:

«فضلوا (أي الأرمن) خوض صراع الاخوة بجنودهم المشتركين في كلا المعسكرين، على أن يفرطوا بالتزاماتهم كرعايا أتراك أو روس»[٢].

الأرمن مواطنون أصيلون، في حين أرادهم الأتراك عملاء لهم، ينفذون مؤامراتهم ودسائسهم في الداخل كما في

---

(١) ـ ونستون تشرشل (١٨٧٤ ـ ١٩٦٥)، سياسي انكليزي وزعيم حزب المحافظين. رئيس الحكومة بين الأعوام ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ وبين ١٩٥١ ـ ١٩٥٥، ساهم بشكل أساسي في إنتصار الحلفاء.

(٢) ـ ونستون تشرشل: «الأزمة العالمية» المجلد الخامس، لندن ١٩٢٩، ص. ٤٠٤، راجع هراج داسنابيديان، القضية الأرمنية، المرجع السابق، ص. ٢١.

الخارج؛ وهذا واحد من أسباب التباعد بين الطرفين. ولأن الأرمن رفضوا أن يكونوا حصان طروادة، عاقبهم التركي والمجتمع الدولي، الأول بذبحهم والثاني بصمته وتواطئه أحياناً كثيرة. الأدلة والوثائق التي تدين الأتراك وشركاءهم كثيرة، نتوقف عند أهمها:

في الوقت الذي كانت فيه الاعتداءات والمصادمات بين الأتراك والأرمن، على وتيرتها وتصاعدها منذ مجازر «أضنه» في نيسان ١٩٠٩، كانت الحكومة التركية تجمع الوقود للمحرقة الكبرى في ٢٤ نيسان ١٩١٥.

وإكتملت ثالثة الأثافي[٣] بالمثلث الدموي طلعت باشا، جمال باشا وأنور باشا. هذا المثلث من الأركان الذين خططوا ونفذوا حكم الاعدام بالشعب الأرمني.

وفي ما يلي بعض ما جاء في نص البرقية الأصلية والتي وجه فيها طلعت باشا، وزير الداخلية التركية، أمراً إلى والي حلب بضرورة التخلص من الأرمن وإبادتهم:

«إلى ولاية حلب في ٩ آذار ١٩١٥: كل حقوق الأرمن في الحياة والعمل على الأراضي التركية قد تمَّ الغاؤها، والحكومة تأخذ على عاتقها كافة المسؤوليات في هذا الشأن. وقد أمرت الحكومة ألا ترحموا حتى الأطفال الرضع. إن تنفيذ هذا الأمر أدى إلى نتائج مرضية في بعض المقاطعات... ذلك أننا في مناطق أخرى إضطررنا لاعتماد وسائل غير مباشرة لإبادتهم (القسوة، السرعة في الترحيل وتصعيب السفر والتجويع)، ولكن عندكم إمكانية إعتماد الوسائل المباشرة بمنأى عن

---

(٣) ـ القطعة من الجبل تجعل القدر عليها وعلى حجرين أمامها ويقال «رماه بثالثة الأثافي» أي بالشركلّه.

التدخلات[1]، هذه البرقية أُعْقِبت بكثير غيرها وبأوامر من مسؤولين عثمانيين آخرين، وكلها تصرخ «الموت للأرمن»!

وفي مكان آخر يؤكد طلعت باشا «قرارات الحكومة ويجدد نداءاته إلى تنفيذها دون شفقة أو رحمة: «. . . أبلغت سابقاً أن الحكومة قررت إفناء الأرمن القاطنين في تركيا كلياً»[2].

ثم في ربيع ١٩١٥، طلعت باشا يبرق إلى والي حلب قائلاً:

«بالرغم من ان قراراً كان قد اتخذ، منذ أمد غير بعيد، بإبادة العنصر الأرمني الذي يسعى منذ قرون إلى تقويض امبراطوريتنا، فان الظروف السائدة حينذاك لم تكن سانحة لتحقيق هذا المشروع المقدس. أما الآن وبعد زوال كل العقبات، فان الوقت قد حان لاخلاء الوطن من هذا العنصر الخطر. إننا، بمنتهى الحزم نهيب بكم أن تتجردوا من أي إحساس بالشفقة والرحمة إزاء حالتهم المفجعة. كما نطلب منكم أن تعملوا جاهدين للقضاء عليهم، ولمحو الإسم الأرمني بالذات. واحرصوا على أن يكون الموظفون الذين تنتدبونهم لتنفيذ هذه الأوامر أشخاصاً وطنيين وموثوقاً بهم»[3].

ثم في ١٦/٩/١٩١٥، طلعت باشا يبرق مجدداً إلى حكومة حلب، فيقول:

---

(١) ـ المجازر الأرمنية: ١٩١٥، أول إبادة جماعية في القرن العشرين، جمعية طلاب زفاريان، بيروت ١٩٩٥، ص. ٦.

(٢) ـ Ce Document n'a été connu qu'après la fin de la guerre mondiale.

(٣) ـ ذكريات نعيم بك، في «وثائق رسمية بشأن المجازر الأرمنية» باريس ١٩٢٠، راجع هراج داسنابيديان، المرجع السابق، ص. ٢٣.

«لقد سبق وأعلمناكم بأن الحكومة بأمر من الجمعية[1]، قد قررت القضاء نهائياً على جميع الأرمن القاطنين في تركيا. . . يجب وضع حدٍّ لوجودهم، أياً كانت إجرامية الإجراءات المتخذة، كما يجب عدم إعتبار العمر أو الجنس أو تردد الضمير الحيّ»[2].

وما قاله طلعت باشا، قاله أيضاً الآخرون وأكثر، فكلهم سواسية في الجريمة وإن بفوارق قليلة. فجمال باشا، ليس بحاجة إلى شهادتنا، فمآثره في فن الجريمة تلاحقه كل ثانية في قبره وهي لن تدعه يرتاح على الإطلاق. وأنور باشا، هل تنسى الإنسانية أوامره التي أصبحت شعاراً يهز ضمير كلِّ متحضرٍ مؤمن بحرية الإنسان وحقوقه، والذي أطلقه أثناء مجازر نيسان ١٩١٥، وفيه:

«لا أريد مسيحيين في تركيا»[3].

وبعد، هل نسأل عن موقع الأتراك وأدواتهم في الداخل والخارج، حيال المذابح الأرمنية والتنكيل بهم؟ هل نسأل عن الدوافع والحوافز، هل هي عرقية فقط أم عرقية ـ طائفية ومذهبية؟!

من أفواههم ندينهم، وبفظائعهم تلاحقهم لعنة الله، وإن عجزت عدالة الأرض، فلن تعجز عدالة السماء.

فجائزة الجحيم للجريمة، على غرار جائزة نوبل للسلام،

---

(١) ـ جمعية الإتحاد والترقي.

(٢) ـ الهيئة العليا لاحياء الذكرى الثمانين للمجازر الأرمنية، الإبادة ١٩١٥ ـ ١٩٩٥، بيروت ١٩٩٥، ص. ١.

(٣) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٥٦.

هي من حق هؤلاء الأتراك بامتياز ودون منازع، أقله طيلة القرن العشرين.

هؤلاء الأتراك، حكموا على أنفسهم وحمَّلوا تبعات فظائعهم للإنسان عامة، وللأسرة الدولية التي تبقى عاجزة، صامتة، متفرجة وأحياناً مشاركة. والقضايا الكثيرة، المطروحة أمام المحافل الدولية تضيق بها المجلدات ومعظمها قضايا حق وعدل، فلماذا تبقى عالقة دون حكم يعيد للإنسان كرامته ومكانته؟

والمفارقة المبكية ـ المضحكة، أن الإدانة ثابتة وتضيق بها الأدلة والقرائن، وأن الجميع يعترف بعدالة هذه القضايا، وفي طليعتها القضية الأرمنية، ومع ذلك فالجميع يتنكر لها وتبقى دون حلٍّ. . . لماذا؟

الأتراك من أعلى الهرم إلى القاعدة، خططوا وشاركوا في المجازر ولم يخجلوا بفعلتهم، فاعترفوا بها سراً وعلانية، وها هي شهادة، حاكم مدينة ديار بكر، الدكتور الطبيب محمد رشيد، نوردها، لا لأنها فريدة من نوعها ومثلها المئات بل الآلاف، ولكن المخجل الملفت فيها أنها صادرة عن دكتور طبيب، يفترض فيه أن يكون قدوة في الأخلاق والمناقبية والوفاء لرسالته. فإذا كان هذا هو حال النخبة بين الأتراك، فكيف يكون حال رعاع القوم؟ ماذا في شهادة هذا الطبيب واعترافه؟

«. . . مع أنني طبيب ولكن لا يمكنني أن أغض النظر عن قوميتي. . . جئت إلى هذه الدنيا تركياً. . . وجَدَ الأرمن الخونة الموضع الملائم على صدر الوطن. . . إنهم حشرات. . . أليس من واجب الطبيب أن يقتل هذه الحشرات؟. . . إما سيصفّي

الأرمنُ الأتـراكَ ويصبحـون مـلاَّك هـذه الأرض أو سيتخلـص الأتراك منهم. . . لم أتردد في رأيي طبعاً ولذلك إخترت الحل. إنتصر إيماني بقوميتي التركية على واجبي الطبي. طبعاً يؤنبني ضميري لكن لم يكن باستطاعتي أن أرى إختفاء بلادي من الوجود. أغمضت عيناي وتجندت بدون تحفظ.

أما بالنسبة للمسؤولية التاريخية فانني لا أهتم بما سيكتب عني المؤرخون»[١].

مات الضمير، أمام هجمة الغريزة التركية. حتى الأطباء شاركوا في الجريمة الكبرى، وهم مقتنعون أنهم يقومون بالواجب الوطني!! فيساهمون في إبادة الأرمن ـ الحشرات. وقد رافق قرارات الإبادة هذه، قرارات إبعاد ومراسيم ترحيل لكل الأرمن الباقين على قيد الحياة.

والكل يعلم بمضمون القرار السري، المتخذ في شباط ١٩١٥، برئاسة طلعت باشا وبحضور أنور باشا، وبهاء الدين شاكر، وأحمد آغا وغيرهم، وفيه ضرورة إبادة الأرمن في الدولة العثمانية، يضاف اليه مرسوم الحكومة العثمانية تاريخ ٨ نيسان ١٩١٥، بشأن ترحيل الأرمن من بلادهم، والذي ترجم إلى العربية نقلاً عن كتاب القصارى في نكبات النصارى للقس إسحق أرملة، وأهم ما فيه:

«بما أن الأرمن يأتون أموراً تخالف السنن، ويغتنمون كل الفرص لازعاج الحكومة، ويخزنون أسلحة وقنابل ومواد متفجرة، ليسعروا نيران الثورة داخل البلاد. وبما أنهم يفتكون بالمسلمين ويعضدون روسيا. . . فاستدراكاً لمشاغبتهم. . .

---

(١) ـ الهيئة العليا لإحياء الذكرى الثمانين للمجازر الأرمنية، المرجع السابق، ص. ٣٢.

تقرر أن يساقوا جميعاً إلى ولايتي الموصل وسورية، ولواء دير الزور، على أن تكون أعراضهم وأنفسهم وأموالهم في أمان من إعتداء المعتدين، وتسلط المجرمين، وقد أصدرنا الأوامر باسكانهم في تلك البلاد، ريثما تضع الحرب أوزارها»[١].

باختصار فان الدولة العثمانية قررت إلغاء حق الأرمن في الحياة. وبالفعل نفذت كل هذه المراسيم التركية بحق الأرمن، ومهدوا لذلك بالقاء القبض على زعمائهم ومفكريهم في القسطنطينية، ثم بتجريد الأرمن من السلاح، كما استولوا على ممتلكاتهم وأموالهم، وألغوا معاهدتي باريس وبرلين وكل ما له صلة بالاصلاحات.

إنّ ملف القضية الأرمنية يفيض بالوقائع ـ الحقائق. وكل ما ذكرناه كان عيّنة صغيرة جداً، من شهادات الجزارين أنفسهم، وما غوصنا في بعض الاجتهادات القانونية، إلاّ النهج العقلاني، الذي أردناه ليحدد بوضوح أبعاد العلاقات الاسلامية التركية ـ الأرمنية.

ولكن هذه الوقائع تضعنا أمام حقيقتين أساسيتين هما:

* الأتراك، ليسوا جميعاً مجرمين أو مشاركين في الجريمة. فمنهم ـ وإن كانوا قلة نسبياً ـ من كانوا أبرياء من دم الأرمن ورافضين لجريمة حكومتهم وجيشهم. ومع ذلك، نجدهم يتحملون تبعة ذلك؛ فقدرهم أنهم ولدوا أتراكاً.
* الأتراك وإن كانوا، رأس الأفعى، المدبِّر والمنفِّذ، إلاّ أن لهم شركاء في الداخل كما في الخارج، ساهموا مباشرة أو

---

(١) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، المرجع السابق، ص. ١٦٧ ـ ١٦٨.

بالواسطة في خلق المسألة الأرمنية، بكل مآسيها. هؤلاء أيضاً يجب إدانتهم وملاحقتهم.

وفي هذا السياق، أول ما يطالعنا صورة إلمانيا والأكراد في قفص الإتهام. أما المشاركة الكردية، فلنا عودة إلى تفاصيلها أثناء تحليلنا للمذابح الكبرى، لأنها متلازمة تلازماً تاماً بكل جوانب الحدث. لذلك نكتفي، في هذا الباب التوقف عند مسؤولية الدولة الالمانية في مباركة المجازر التي نفذت بحق الأرمن وفي حجمها وانعكاساتها.

ب ـ إدانة المانيا وسائر القوى الدولية:

ما هي الاغراءات والدوافع التي جذبت إلمانيا فأغرقتها في الرمال التركية المتحركة، ودونت إسمها في سجل أبطال المذابح الأرمنية، التي إعتبرت بحق جريمة القرن العشرين بامتياز؟

كان في مخطط إلمانيا، أن تجعل من تركيا حقل توسُّع وامتداد للعرق الجرماني. وكان من الفوائد السياسية الملحة، التي تخدم هذا المخطط، عملية إقتلاع الأرمن وإبادتهم. لذلك نجد أن الايحاء الالماني، لم يغب عن عمليات التنفيذ التركية ـ الكردية.

ثم أن طريق الهند، والخط الحديدي الشهير، «همبورغ ـ الخليج الفارسي ـ بغداد... والذي يحرر التجارة الالمانية من الوصاية البريطانية، كان حافزاً مهماً. أضف إلى ذلك، أن أرمينية هذه المنطقة الغنية والخالية من سكانها الأصليين،

ستعطي فرصة ذهبية للالمان، بإعادة إسكانها بشعوب مختارة[١].

وهكذا، مع بدء هبوب العواصف الدولية وإعادة تكوين المعسكرات والتحالفات، خصوصاً بعد وقوف روسيا وبريطانيا وفرنسا على رأس المقاومة الأرمنية الجديدة، عام ١٩١٢، وجدت المانيا، أن الساعة أتت لتحقق حلم الهيمنة الدولية، والتخلص من الأرمن[٢]. لذلك أصبحت الحليف السري لتركيا، وشريكاً متكافلاً متضامناً معها، إلى أن دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب إلمانيا، في ٣١ تشرين الأول ١٩١٤، فسقطت كل المعاهدات ومحاولات التهدئة، التي لم تنفَّذ أصلاً ولم تبصر النور.

إنّ إدانة المانيا بالمجازر الأرمنية، تتمثل في مسلكين إثنين:

الأول: التحريض الالماني والمشاركة المباشرة، سياسياً، دبلوماسياً وحتى عسكرياً.

الثاني: كانت المانيا محامي الشيطان، فعمدت إلى تبرئة الأتراك من جرائمهم وراحت تدافع عنهم في كل المحافل. نستذكر هنا ما قاله السفير الالماني «برنسكروف»، في هذا الشأن:

«إنّ كل ما ذكر عن الوحشية التي مارسها الأتراك في السلطنة العثمانية، هي محض إختلاق»[٣].

ماذا في تفاصيل هذه السياسة الالمانية العدائية، حيال الشعب الأرمني؟

---

(١) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٢٦.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ١٥.

(٣) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٢٦٦.

إنّ المشاركة الفاعلة لالمانيا في السياسة العدائية ضد الأرمن، كان واضحاً ومؤكداً، والأدلة كثيرة ومنها:

إنّ الخطط لإبادة وإبعاد مليون ونصف المليون أرمني، وضعت وصدرت الأوامر لتنفيذها في القسطنطينية. والرجل الوحيد والمدعوم بقوة من حكومته، والقادر على منع هكذا مخطط جهنمي، هو السفير الالماني في القسطنطينية.

ولنفترض أن هذا السفير كان يجهل مسبقاً قرار المجازر، فلماذا لم يعمد إلى ايقافها بعد أيام من بدئها؟

لأنَّ إلمانيا، راغبة في ذلك وساعية اليه، وساهمت في تنفيذه، بغية تمرير مخططاتها. لذلك نراها، على لسان سفرائها تبث فكرة إستحالة التعايش التركي ـ الأرمني فوق أرض واحدة. وأعطت البديل، ترحيل عدد من الأرمن إلى أميركا ويتم تبادل العدد الآخر منهم بيهود بولونيا، شرط أن يتعهدوا مخططاتهم الصهيونية[1]، أو إزالة شعب من الشعبين الأرمني أو التركي. وبمنطق فلسفة القوة، على الأمة الأضعف أن تدفع الثمن.

وفي هذا السياق، راحت الدبلوماسية الالمانية، تزرع روح العداء وتصب الزيت على النار، بالاثارة والتحريض، قائلة: إنّ الأرمن يعملون ضد تركيا ويطمحون إلى تقسيمها، لذلك إضطر الأتراك إلى التخلص منهم، فالأرمن كما يقول الالمان، هم جماعة من المتعصبين في مواجهة الحكومة، وهي بالتالي لن تنال من بقية المسيحيين[2].

غير أن الممارسة والوقائع، رفضت هذه الفرضية الالمانية

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠٨.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠٩.

الخاطئة، خصوصاً بعد إبادة العديد من المسيحيين غير الأرمن، كالسريان مثلاً.

وتبقى المشكلة الأهم إذاً، فالأرمن أصبحوا يشكلون حجر عثرة (Pierre d'achoppement) في طريق الأهداف الالمانية للهيمنة والتسلّط. فالأرمن في معظمهم نشأوا في المدارس الفرنسية والأميركية، يتقنون الفرنسية والأميركية، كما انهم في علاقاتهم التجارية مع أوروبا الغربية، مع أميركا وخصوصاً مع انكلترا، يشكلون طبعاً عامل إخفاق للتجار الجوالين الالمان. أضف إلى ذلك أن الأرمن يشكلون وحدهم داخل آسيا الصغرى، العنصر الزراعي لجهة مواجهتهم الجاليات الأوروبية المهاجرة؛ والأهم أنهم يقطعون الطريق على سياسة «ألمنت» كامل الأناضول[1].

ناهيك، عن مشروع الخطوط الحديدية، من بغداد مروراً بالصحراء بين الفرات ودجلة والتي كان مقدراً لها أن تلعب دوراً رئيساً في تكوين الامبراطورية الالمانية الكبرى والجديدة.

لأجل ذلك، ذهب بعض الكتّاب الالمان إلى حد إسداء النصيحة بالابعاد الجماعي للأمة الأرمنية. وما قاله Gibbons، قد يجيب عن بعض الحقيقة: «الحكومة الالمانية كانت قادرة على منع فصول الابعاد للشعب الأرمني، لكنها لم تفعل وفضلت عدم التدخل»[2].

صحيح أن المانيا قادرة على منع المجازر والترحيل، ولكن ما هو غير صحيح، هو القول أن المانيا لم تتدخل مباشرة في

---

(١) ـ على غرار التتريك والتعريب، كانت «الالمنة»، أي جعل كل شيء المانياً.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠٢.

كل هذا. فعشرات التقارير والشهادات الحية، تؤكد مشاركة المانيا مباشرة في المجازر وتتهم ضباط الجيش الالماني في ذلك.

ونكتفي هنا بما أورده أحد المرسلين الأميركيين عندما قال: شاهدت بأم العين أحد الضباط الالمان يقود لعبة المدفعية العثمانية، ضد السكان الأرمن المسالمين[1].

ومهما يكن من أمر، فان ادانة المانيا بالمجازر الأرمنية وعمليات إبعادهم، نهجاً وممارسة، أصبحت فعلاً مؤكداً.

ففي ميزان الربح والخسارة، تسقط القيم والمباديء والأخلاق.

فالأسباب الالمانية الموجبة، لنشر وإستثمار مشاريعهم السياسية والإقتصادية، داخل السلطنة العثمانية، كانت جدية جداً وهي التي شجعتهم على تبنّي مشاريع الإبادة والابعاد ضد الشعب الأرمني.

يقول هنري باربي: «إستئصال شعب بكامله، أمرٌ لا يصدق. فجمعية الإتحاد والترقي وعلى مرأى من السلطات الالمانية في القسطنطينية، هم الذين أمروا ونفذوا هذه الملحمة الرهيبة. هم الذين دفعوا القبائل الكردية المتوحشة على إرتكاب المجازر والفظائع. والمسلمون أهاجوا تعصبهم الديني»[2].

ونكتفي أخيراً، باحتجاج شديد اللهجة، تقدّم به الطبيب الالماني «د. نيا باج» ضد تورط دولته في مذابح الأرمن وإبعادهم فكتب يقول: «أفظع من مجازر عبد الحميد وأرعب بكثير، إقتلاع شعب بكامله وإبادته. الشعب الأرمني، ذكي،

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠٥.

(٢) ـ هنري باربي؛ المرجع السابق، ص. ٢٠٧.

صناعي ماهر وحرفي مبدع، منتج ومثقف. . . إنها وصمة عار فوق شعار الشرف الماني. . . »[1].

إنّ جريمة الأتراك والمانيا، جريمة لا تغتفر، ليس فقط بسبب إبادتها للشعب الأرمني، بل لأنها جريمة بحجم الإنسان، تطال كلَّ مجتمع وكلَّ شعب. من هنا تأكيدنا على مسؤولية الدول جميعها، إمّا لمشاركتها أو لتخاذلها أو لصمتها.

بعد هذه الاستنتاجات الوقائع، التي تشير بوضوح إلى المتهمين في التخطيط والتنفيذ لمذابح الأرمن الكبرى عام ١٩١٥، ماذا عن حجم هذه المذابح، نتائجها وانعكاساتها؟

٢ ـ المذابح الأرمنية الكبرى، في الممارسة والنتائج:

أ ـ ٢٤ نيسان ١٩١٥، أكبر من هيروشيما وأفظع منها:

إنّ العودة إلى أرشيف المجازر الأرمنية، لا تهدف أبداً إلى إثارة النعرات والتحديات، عرقية كانت أم دينية، بل تهدف حكماً إلى وضع الحدث في إطاره الصحيح، موضوعياً وعقلانياً، بغية تحقيق هدفين أساسيين:

* الإتعاظ من عبر الماضي وتجاربه، تجنباً لتكرار مآسٍ جديدة، بحق الإنسان كلِّ إنسان.
* الإقرار بأخطاء الماضي، من أية جهة أتت، قد يفتح وبصدق، الباب واسعاً، ليس فقط أمام الحوار بل أمام التلاقي الإسلامي ـ المسيحي، وبالتالي المعالجة. وكل معالجة تبنى على أخطاء متراكمة، لن تأتي إلاّ بمزيد من المصائب والويلات على كلِّ شعوب العالم.

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

ماذا في يوميات المجازر التي نفذت بحق الأرمن؟ هل هي جريمة عادية، يسقطها مرور الزمن؟

إذا كانت الوحشية الأميركية قد صعقت العالم في ٦ آب عام ١٩٤٥، عندما إغتالت ١٦٠,٠٠٠ ألف مواطن في هيروشيما، فان البربرية التركية وشركاءها، إفترسوا مليوناً ونصف المليون من الشعب الأرمني، بأطفاله ونسائه وفتياته وشيوخه وفتيانه، في مجزرة قد لا يكون لها مثيل من نوعها وحجمها، في التاريخ المعاصر.

مذابح الأرمن، عشر مرات أكبر من هيروشيما وأفظع منها، ومع ذلك فالعالم يتجاهلها ويتنكر للدماء البريئة التي روت أرض أرمينية وتدفقت في الفرات أكثر من تدفق المياه فيه.

في نيسان ١٩١٥، كان الأرمن على موعد مع إعصار الموت، الذي خططت له السلطات التركية، بغطاء إقليمي ودولي. فبدأوا عملياتهم، دون رادع أو ضابط، فهم القضاة والجلادون في آن.

فكان أول الغيث الجرمي، قافلة من النخبة الأرمنية نفتهم أو أعدمتهم السلطات التركية، بهدف فصل الرأس عن جسد الأمة، لأن هذه النخبة كانت تمثل طليعة الزعماء السياسيين والحزبيين ورجال الدين والفنانين والمثقفين والأدباء ورجال الفكر وغيرهم[١].

ثم عمدوا إلى إغتيال ضباط وجنود الأرمن، الذين كانوا قد أدوا واجبهم بإخلاص على جبهة القوقاز، والدليل على وفائهم هذا، هو سقوط آلاف الشهداء منهم في ساحة القتال إلى جانب

---

(١) ـ هراج داسنابيديان، القضية الأرمنية، المرجع السابق، ص. ٢٤، راجع موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٣٨٢.

الأتراك[1]. هذا الاغتيال سهَّل عمليات الإبادة الجماعية والفتك بكامل الأمة الأرمنية.

يضاف إلى ذلك، الأسباب التالية التي ألهبت آتُّون النار:

١ ـ الأحداث والأعمال المهددة لكيان الأمة الأرمنية.

٢ ـ تجريد الجنود والدرك الأرمن من أسلحتهم، واغتيال العديد منهم[2].

٣ ـ إعلان «الجهاد» الذي يفسِّر فرار الأرمن من الجيش، بعيد التعبئة العامة، فرارٌ له ما يبرره إجتماعياً ودينياً:

ـ فالأرمن دون عمر ٢٤ سنة لا يحسنون إستعمال السلاح.

ـ لم يعتادوا شظف العيش المفروضة في الجيش بعد اعلان حال الحرب.

ـ حاجاتهم الدينية، كانت مهملة ومرفوضة في الجيش.

ثم شكل هذا الفرار، قضية محورية بين الأتراك والأرمن[3].

المذابح الأرمنية، تتخطى بفظائعها كل منطق أو تبرير، لترسم أرهب صور الهمجية البشرية وأفظع نماذج الجريمة.

ب ـ مشاهدات من قلب المأساة الأرمنية:

إنّ المشاهدات التي نقلت عن برامج التصفيات الجماعية التي نفذت ضد الأرمن، على صدقها وعفويتها، تبقى مقصرة عن رسم كامل الحقيقة.

---

(١) ـ موسى برنس، الإبادة الجماعية الأرمنية، المرجع السابق، ص. ٨٥ ـ ١١٥.

(٢) ـ Dominique et Michèle Frémy, Quid, Paris, 1984, P. 1196.

(٣) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٢٢٥ ـ ٢٥٨. راجع مروان المدور، أرمينية عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

فتاة عمرها إحدى عشرة سنة إسمها «Saténik»، قالت في شهادتها:

... بدأ الأكراد بجمع الرجال، ثم اقتادوهم جميعاً إلى الجبال، حيث عادوا الينا بعد ذلك وثيابهم مصبوغة بالدماء، عرفنا فوراً انها دماء رجالنا. ثم عمدوا إلى ربط الأخت بأخيها وراحوا ينتزعون أدمغة هؤلاء وأعضاءهم أمام الجميع...[(١)].

فتاة أخرى، عمرها أربع عشرة سنة من قرية «Sipan» قالت:

... عندما دخل الأتراك والأكراد إلى القرية، خبأت أبي وأخي في التنور[(٢)]. فتشوا كامل المنزل، أما أنا فقد نمت فوق الفرن متظاهرة بالمرض، ولكن أحد الجنود ضربني على رأسي بالعصا فوقعت على الأرض، ومنذ ذلك الوقت لم أعد أبصر شيئاً، فقدت البصر كلياً. لكني سمعتهم يضحكون، كانوا قد وجدوا أبي وأخي داخل الفرن، فقالوا خبأتهم في الفرن وكأنهم حطب، لذلك علينا أن نتدفأ عليهم. ثم ربطوا أبي وأخي وأشعلوا فيهما النار...[(٣)].

«سارة» فتاة أرمنية، من بين الأرمنيات الناجيات تروي قائلة:

... كان ذلك عشية عيد الفصح ١٩١٥. الأتراك يغزون قريتنا على ضفاف بحيرة «Van»، جمعوا الرجال ثم إقتادوهم إلى ضفاف البحيرة، فاوثقوهم جميعاً، بعضهم ببعض وراحوا يطلقون عليهم النار. إستمر المشهد من الواحدة حتى الخامسة مساءً، ثم تجدّد في اليوم التالي.

---

(١) ـ هنري باربي، المرجع نفسه، ص. ١٩٧.

(٢) ـ الـ Tonir، هو فرن للخبز نجده في كل منزل أرمني.

(٣) ـ هنري باربي، المرجع نفسه، ص. ١٩٨.

كل مساء، كان الجنود الأتراك يأتون لمشاهدة النساء ويقدموا اليهن قطعاً وأشلاءً من أجسام رجالهن، إما الأيدي أو الأرجل أو غير ذلك. ثم يفصلون لهن كيفية الذبح والوسائل المعتمدة في ذلك.

وعندما إنتهوا من الرجال والشباب، راحوا يجمعون النساء والفتيات في ساحة الكنيسة، ثم أمرنهن بخلع ملابسهن جميعاً. عندما تمّ ذلك، جمعوا الرافضات في صفوف وراحوا يتفحصون أجسادهن فيجسونهن كالحيوانات. بعدها أخذوا الموافقات وقتلوا الرافضات...[1].

«Hasmik» لاجئة أرمنية، إلى مأوى النساء الأرمنيات في «تفليس»، روت قائلة:

... في Haren، قام الأكراد بقتل الرجال في شوارع القرية، ثم أمروا النساء بجمع الجثث في العربات التي تجرها الأبقار... المسكينات لم يكن لديهن القدرة على تنفيذ مثل هذه الأوامر البربرية. فقال لهن الجند: لا ترغبن في جمع أحبابكن، علينا إذاً إرغامكن بطريقة أخرى. فراحوا يربطون الجثث من أعناقها بالحبال، ثم أرغموا الزوجات والنساء على جر جثث أزواجهن وأهلهن.

بعد ثلاثة أيام، تتابع Hasmik، بدأت عمليات الاغتصاب وخطف الفتيات الجميلات، وأنا شخصياً خطفوا مني إبنة وشقيقتي الأكثر جمالاً وثلاثة من قريباتي...[2].

وحقيقة الأمر، أن الفرق العثمانية والعصابات الكردية، قامت بمسح شامل لكل مدينة وقرية في أرمينية، فقتلت

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) ـ هنري باربي، المرجع نفسه بالفرنسية، ص. ٢٠٢.

واغتصبت ونهبت وأحرقت مئات الألوف من المؤسسات والمنازل والسكان.

لقد تفنّن الأتراك والأكراد في أعمال الإبادة، فابتكروا أساليب جديدة للقتل أو التعذيب ومنها: بتر الأعضاء وإطعامها لأصحابها، وسحقهم أو طحنهم وهم أحياء. رميهم في الأنهر والبحيرات أو إحراقهم أو تجويعهم حتى الموت. أما النساء والفتيات، فكن يتعرضن لكل أشكال المهانة والذل وهتك أعراضهن بالاغتصاب أو بيعهن لدور الحريم أو إرغامهن على إعتناق الإسلام(١).

إنه قدر الغالبية العظمى من الشعب الأرمني، ومن لم يحالفه الحظ وبقي على قيد الحياة! نعم من لم يحالفه الحظ، كان يموت كلَّ يوم ألف ميتة.

ومن لم يسق إلى الذبح سيق في قطعان بشرية، كما نعتهم الأتراك أنفسهم، إلى مصيرهم المجهول في المناطق الصحراوية، حيث تفنّن جلادوهم في تعذيبهم وتلذذوا بمشاهد الموت على الطرقات وفي كل مكان.

نعم حتى الرضع في أسرتهم، نفذت فيهم مشيئة طلعت باشا، الصادرة إلى شقيق زوجه، مصطفى عبد الخالق بك، في ٩ أيلول ١٩١٥، وفيها أن حق الحياة للأرمن ألغي فوق كل الأراضي التركية، والحكومة تتحمل كامل المسؤولية حيال هذا الموضوع، وقد صدرت الأوامر لإبادة الجميع حتى الرضع في أسرتهم(٢).

إنّ المعاينات والاستقصاءات التي قام بها بعض الصحفيين

---

(١) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٢٩٥.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٩٥.

الإنكليز في مناطق مختلفة من المدن والقرى الأرمنية المنكوبة، تركت الصور التالية:

الأسى والقنوط والحزن والندب في كل مكان، إنها جنازة جماعية. فالخراب والوحشة يخيمان على أماكن خاوية وخالية مهجورة، لم يبقَ من روائع فنها غير بصمات تدل على أن يد الهمجية مرّت من هنا، فحوّلت روعة جمالها وإبداعها إلى قبح وبشاعة وتشويه[١].

ماذا في مسيرة الابعاد الجماعية، التي أتمّت عملية محو الأرمن في مسلسل الرعب الاسطوري المخيف؟

إقتادوهم إلى المجهول، وفي الطريق أوعزوا إلى جنودهم وإلى قطاع الطرق وعصابات الأكراد، لانجاز الباقي. وهكذا إنقضوا عليهم وراحوا يذيقونهم كل أشكال المهانة والتعذيب والقتل، فمات منهم الآلاف أثناء الطريق. وفي هذا السياق يقول «أندره ماندلستام»:

«... لقي آلاف المهجرين مصرعهم، هؤلاء الذين أجهدهم الجوع والعطش والتعب. وفي بعض الأحيان كان الجلادون يغرقون ضحاياهم في الأنهار، أو يحرقونهم أحياء، أو يُجهزون عليهم بأساليب من التعذيب في غاية التفنّن. وكانوا، أحياناً أخرى، يخطفون الأطفال والنساء الصغيرات السن بقصد بيعهن من قصور الحريم. فيما كان مهجرون آخرون يقضون جوعاً أو مرضاً لدى وصولهم إلى معسكرات الإعتقال غير الصحية في

---

(١) ـ صحيفة الـ Times اللندنية تاريخ ٢٠ و ٢٥ نيسان ١٩٦٣، أنظر المرجع السابق ص. ٣٨٧.

بلاد ما بين النهرين أو في الصحراء العربية، حيث كانوا أحياناً يتعرضون، بكل بساطة، للذبح كالنعاج»[١].

المبعدون الأرمن إلى شرق الفرات ومناطق دير الزور. في هذه المنطقة لم يكن لهم لا مسكن ولا حتى خيمة يحتمون فيها من لهب الصحراء وقُرِّها. جُمعوا كالقطعان، شبه عراة. حوّلهم الجوع والعطش إلى هياكل عظمية متحركة، عرضة لكل أنواع الأمراض. إنها إرادة الحكومة، أن يقضي هؤلاء ضحايا الجوع والعطش... إن هؤلاء هم من تبّقى من الشعب الأرمني، وغالبيتهم من الأطفال والنساء والشيوخ، الذين القي بهم على ضفاف الفرات، لأن الشباب والرجال المتوسطي العمر قتلوا بمعظمهم؛ أما الأحياء منهم أخذوا للسخرة والعمل في شق طرقات الامبراطورية. أما الفتيات الجميلات ومن مختلف الأعمار، كن ضحية الإجرام والتنكيل.[٢]

أما في حماه، حيث تواجد حوالي ١٦٠٠ أرمني، فكان الوضع مماثلاً. المبعدون يفترشون الأرض، دون مأوى، يقتاتون من البطيخ، أما الأكثر بؤساً وفقراً يقتاتون من القشور المرمية من الآخرين. والوفيات مرتفعة جداً خصوصاً بين الأطفال.

أما في دير الزور، فهناك جحيم حقيقي، حيث أصبح الجلْدُ والتنكيل خبزهم اليومي. وهكذا من أصل ما يزيد عن خمس

---

(١) ـ اندره ماندلستام: «عصبة الأمم والدول الكبرى إزاء المشكلة الأرمنيـــة». ط ٢، بيـــروت ١٩٧٠، ص. ٤٨ ـ ٤٩؛ راجـــع هـــراج داسنابيديان، المرجع السابق، ص. ٢٥.

(٢) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٢٣٤. راجع موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٣٨٧ ـ ٤٣٤.

مئة ألف مبعد أرمني، ألقت بهم الحكومة التركية خارج موطنهم وأرضهم وممتلكاتهم، وشتتتهم في مناطق ما بين النهرين (La Mésopotamie)، لم يبقَ منهم غير قلة من الأنفار الأحياء، فقد حصدتهم يد الجريمة بأبشع صورها ووسائلها.

المخطط لم يستثن أحداً من الأرمن، وجريمتهم أنهم ولدوا أرمناً. فكان مصيرهم واحداً في كل المناطق، ولم تشفع بهم وساطة أو إنتماء أو تنازل. فمصير الأرمن في أرضروم، كان كمصيرهم في الولايات الست، حيث أرادت روسيا وفرنسا وبريطانيا عشية الحرب، إدخال الاصلاحات الموعودة من الحكومة التركية والتي لم تبصر الضوء أبداً. وفي أرضروم نفسها، خمسون عاملاً أرمنياً (من الخياطين والاسكافيين) إحتجزوا في خدمة الجيش التركي وحاجاته.

وفي ليل ١٦ حزيران ١٩١٥، تلاحقت قوافل المبعدين في طريقهم إلى النفي المميت. إستمر المسلسل الإجرامي هذا، حتى ١٨ تموز ١٩١٥، حيث أرغم أسقف الكاثوليك «سمباط سعاديتان» والقس البروتستانتي على مغادرة المدينة مع آخر قافلة من المبعدين.

أحد الناجين من جحيم أرضروم يروي قائلا: «بين القوافل الأولى المغادرة أرضروم مجموعة من ١٢٠٠ عائلة أرمنية، بحراسة الجنود الأتراك، دفعوا إلى أخذ طريق خربوط، وبوصولهم إلى الوديان، إجتمع عليهم الأكراد والأتراك ونفذوا فيهم مجزرة جماعية رهيبة. وحدهن النساء والفتيات الجميلات نجون وأدخلن نظام الحريم»[١].

مشاهد البربرية والرعب والموت تتلاحق في كل مكان.

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٠ ـ ٣٥.

فالفرات تحوّل إلى مقبرة جماعية، تشبه إلى حدٍ كبير ما قاله الكتاب المقدس عن يوم الدينونة. القوافل جميعها، لقيت المصير ذاته وأُلقيت في الفرات أو سُحقت أو أُحرقت أو دُفنت حية الخ...

كذلك كان مصير الأرمن وسائر المسيحيين في Trébizonde[١]، حيث اقتيد جميع الجنود المسيحيين من أرمن ويونان إلى الأشغال الشاقة، فاختفوا جميعاً، قتلاً أو بسبب المناخ. وفي ٢٨ حزيران ١٩١٥، صدر الأمر العالي إلى جميع الأرمن في Trébizonde، بضرورة المغادرة خلال خمسة أيام. وفي الوقت نفسه، السلطات التركية تعتقل النبلاء والمفكرين الأرمن وعددهم ٦٠٠ شخص؛ نقلوا جميعاً على متن بواخر، حيث ذبحوا والقيوا في البحر[٢].

الرجال أبعدوا عن بيوتهم وأولادهم، حيث صرخات الألم والرعب تملأ الفضاء. فذبحوا بكل شيء، بالسيوف والسكاكين أو قتلوا بالعصي والحجارة، ومن كان محظوظاً رمي بالرصاص. كلُّ شيء إرتوى من هذه الدماء البريئة، رائحة تفح على بعد مئات الأمتار. ثم يرتد المجرمون نحو قطيع من النساء والفتيات والأطفال، وهم مصبوغون باللون الأحمر ومتعطشون إلى المزيد. فسلخوا الأطفال عن أمهاتهم وصرخات الرجاء تصل إلى أبعد من السماء، ثم ألقوا بهم في البحر، بعد أن سحقوا رؤوسهم فوق الصخور...

---

(١) ـ Trébizonde من أجمل مدن البحر الأسود، كانت تضم ٦٥,٠٠٠ مواطن نصفهم من الأرمن واليونان ونصفهم الآخر من الأتراك.

(٢) ـ Extrait du rapport, en date du 28 Juillet 1915, du Consul des Etats - Unis à Trébizonde.

الرحمة! الرحمة! . . . وهل تعرف الذئاب رحمة؟

مشاهد مريعة. . . في زاوية أكراد تسكرهم رائحة الدماء والضحايا، فينقضون على طفل، يشلعونه عضواً عضواً وهو حي[1].

تحولت كل هذه الفظائع إلى لعبة يتلهون بها ويستمتعون. وعندما إنتهوا من الأطفال، تحولوا إلى النساء والفتيات، ليضيف هؤلاء المفترسون إلى تاريخهم، صفحات رهيبة من الشذوذ والجريمة.

النساء الجميلات، إغتصبن جماعياً وفي الطرقات، ثم أخذ عشر منهن إلى منازل «جمعية الإتحاد والترقي» لاستخدامهن في المتعة والباقيات وزعن على منازل المسلمين[2].

في Trébizonde، ملحمة الابعاد إكتملت، ومن أصل ١٤,٠٠٠ أرمني يسكنون المدينة، لم يبقَ أكثر من عائلتين و ١٤ إمرأة[3].

ماذا في القسطنطينية؟ ليل ٢٨ وحتى ٢٩ نيسان ١٩١٥، كل المثقفين الأرمن: نواباً، أساتذة، أطباء، رجال فكر وأدب وفن الخ، ودون تمييز في الانتماء الحزبي أو الطائفي، إعتقلوا، ابعدوا ثم ذبحوا في الطرقات. المصير نفسه للجميع، دون تهمة توجب ذلك، غير أنهم أرمن.

بعد أن جرِّد جميع الأرمن من أسلحتهم، تمَّ تسليح

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٤٨.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٠ ـ ٥١، راجع تقرير قنصل الولايات المتحدة في Trébizonde، تاريخ ٢٨ تموز ١٩١٥.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٣.

المسلمين، ثم قاموا بتنظيم عصابات كردية، بعد إخراجهم من السجون.

كل ذلك بالاستناد إلى أوامر الحكومة والمرسوم المسخ والوحشي، الصادر عن «أنور باشا»[1]، تاريخ ٢٠ أيار و ٢ حزيران ١٩١٥، وفيه يأمر بإسم جمعية الشباب الأتراك، بإبعاد جميع الأرمن في ولايات أرمينية، والأناضول وكيليكيا إلى الصحاري العربية، الواقعة جنوب خط بغداد. وبسرعة فائقة، أمّنت الإتصالات السلكية واللاسلكية، تعميم الأوامر ووجوب تنفيذها.

وهكذا تمَّ كلُّ شيء، فذبح من ذبح من الشعوب الأرمنية وخطف من خطف ونفي من نفي. وفي أيام قليلة نفذت المشيئة الشيطانية ـ العثمانية.

وليتِمَّ ما خطط له وما قيل، صودرت جميع الثروات والممتلكات الأرمنية، زمنية كانت أم كنسية.

أما شهادات المبعدين فهي كثيرة، نستعرض النماذج الأكثر شمولية وتعبيراً منها:

* إمرأة من قرية Kheybian ردت تقول: السلطات التركية، جمعت النساء والأطفال من قرى Kvars, Saligan, Assanova, Bazou, Sordar في دير القديس «Garabed» (مكان الحج قرب Mouch). جميع هؤلاء إحتجزوا مدة خمسة أيام.

---

(١) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ١٢٠ ـ ٢٠٠، راجع هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٦٦، Enver Pacha هو أنور باشا.

بعد ذلك ضمَّ الجميع إلى مبعدي: Kheybian, Ziyaret, Ourough, Paghlou, Meghti الخ. نساء وأطفال ٢٥ قرية، بلغ عددهم ما يقارب العشرة آلاف. منذ الأيام الأولى، بدأ الأكراد بقتل المسنين والعاجزين عن المشي. حياة كل شخص كان رهن مزاجية وأهواء الحراس. الذين قتلوا في أول الطريق، كانوا الأكثر حظاً وسعادة. كل ليلة وفي كل مرحلة، وعلى مرأى من الجميع، كانوا يغتصبون اللواتي يقع عليهن الاختيار. كما رأيتهم يأخذون الفتيات الصغيرات اللواتي لم يتجاوزن العشر سنوات!

هذه المشاهد الرهيبة، كانت تنتهي كل مرة بقتل عدد منّا، بالسيف أو رمياً بالرصاص، خاصة أولئك اللواتي كن يقاومن. أحياناً كانوا يقتلون الأطفال، بغية خطف أمهاتهم، أو يرمونهم إلى جانب الطريق: من يعرف السير، حاول اللحاق بالقافلة أو تعلق بثياب إمرأة أخرى. أما الصغار، فظلوا حيث هم وماتوا في اليوم التالي أو بعده على الأكثر. ومن حاول أخذهم أو حملهم ضرب بقسوة ودون شفقة. قافلتنا، تسير مثقلة، زارعة المساحات بالضحايا والجثث...

وفي كل مرة كنا نقترب من قرية كردية، كان هؤلاء رجالاً ونساءً يحيطون بنا فينتزعون عنا ثيابنا أو ما تبقى منها. فأصبحنا جميعاً عراة أو شبه عراة. على جوانب الطريق، كنا نلتهم ما تيسر لنا من سنابل القمح والأعشاب. فالتهم الجوع العديد بيننا.

كنّا نسير أياماً، تحت لهب الشمس، دون أن نجد ماءً صالحة للشرب، وإذا حصل أن صادفنا نبعاً أو ما يشبهه كنا نرتمي عليه، نغب منه، ومن كان في المقدمة حظي ببعض

الماء، أما من وصل متأخراً لم يجد غير ماء عكر، ثم أن السيف التركي والكردي كان فوق أعناق المتخلفين. بعض الأمهات أنهكهن التعب والجوع والعطش، فعجزن عن حمل أطفالهن، فتركنهم في الطريق.

بعض المحظوظات إستطعن الهرب من حراسة الجلادين، فاختبأن بين حقول القمح، على أمل أن يتمكن من الهرب إلى جبال صاصون. والتي لم تمت في هذا الجحيم، ماتت غرقاً وهي تحاول إجتياز الفرات.

أما أكراد المنطقة، وبناءً على أوامر رشيد بك، جمعوا النساء وأطفالهن في خانات بحجة ايوائهن، وفي المساء كدسوا كوماً من التبن حول هذه الأماكن، ثم أشعلوا فيها النار، فكانت المحرقة التي التهمت بلهيبها ٥٠٠ من النساء والأطفال أحياءً.

تضيف المرأة الأرمنية من مشاهداتها: ... بالنسبة لي، لم أحاول الهرب، كان معي بعض النقود، كنت آمل أن أتمكن من النجاة... فجأة في الطرقات الوعرة، أحاط بنا الأكراد وراحوا يطلقون علينا النار وهم يصرخون بنا قائلين: ... اقفزوا في النهر، اقفزوا... إن لعلعلة الرصاص، لم تستطع إخفاء صرخات الألم واليأس التي يطلقها النساء والأطفال. الكثير بيننا وأنا واحدة منهن إنصعن لأوامر الأكراد وقفزن في الفرات. إزدادت رشقات الرصاص علينا، وكنَّا أهدافاً مجانية لا قيمة لها على الاطلاق. ومع ذلك لم أترك ولدي، ولأنني أتقن السباحة جيداً، نجوت وطفلتي من الموت وخرجنا إلى الضفة الثانية.

في الليلة العشرين، لم يعد هناك أحياء بين العشرة آلاف! أما أنا، كنت أنام نهاراً وأسير ليلاً، أكلت سنابل القمح... ثم

علمت أن مهجرين أرمن لجأوا إلى جوار دير القديس Garabed، فأتيت. . .

بعد يومين مات طفل هذه المرأة وبعد خمسة أيام قتلت هي على يد الجيش التركي الذي جاء لتصفية اللاجئين إلى هذا الدير وغيره[١].

المشاهدات بالآلاف، وكلها تجمع على نهج واحد في الجريمة عند الأتراك والأكراد: قتل، نهب، حرق، تشويه، بتر أعضاء، إغتصاب، إغراق في الأنهر، دفنهم أحياء، أخذ النساء والفتيات الجميلات للمتعة، وفرض الإسلام عليهن.

* وشهادة الممرضات الالمانيات، تؤكد هذه الحقائق جميعها. وتذهب إلى حد القول، أن النساء الأرمنيات كن يشتهين الموت تخلصاً من الذل والعار.

تضيف شهادة الممرضات الالمانيات قائلة: إنّ الجنود الأتراك والأكراد، راحوا يطاردون كلَّ من إختبأ بين القمح لاصطياده، فكان من ضحاياهم أعدادٌ كبيرة من النساء والأطفال.

في اليوم التالي ١٨ حزيران ١٩١٥، قافلة المبعدين تمر أمامنا، كثيرة العدد كلها من النساء والأطفال، باستثناء ثلاثة من الرجال فقط.

معظم النساء، كان مظهرهن أقرب إلى الجنون وكن يصرخن: «الرأفة! الرأفة! أنقذونا، سنصبح مسلمات! سنصبح كل ما تريدون! سنصبح المانيات. . !»[٢].

---

(١) ـ هنري باربي (بالفرنسية) المرجع السابق، ص. ٦٠ ـ ٧١.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٧٧.

العديد من الأتراك تدافعوا ليأخذوا أطفال الأرمن وفتياتهم. حتى أصبح هناك شبه أسواق للعبيد. فنحن شخصياً، تقول الممرضات أخذنا ستة أطفال من عمر ٣ سنوات إلى ١٤ سنة، وقطيع البؤساء يتابع طريقه وهو يئن من الألم.

الممرضتان الالمانيتان اللتان أنقذتا الأطفال الستة، لم تتمكنا من المحافظة عليهم، لأنه بعد أيام معدودة صدر أمر المتصرف بالاتفاق مع الطبيب الالماني، لتسليم هؤلاء الأطفال، وطرد الممرضتين ومعاقبتهما على ما أبدياه من شفقة على أطفال الأرمن.

تتابع الممرضتان شهادتهما: في الطريق وأثناء إبعادنا إلى خارج البلاد، كنا نبصر مشاهد الرعب في كل مكان. الشرطة التي رافقتنا، كانت تقص علينا بعضاً من مآثرها البطولية، في ذبح مئات الآلاف من النساء بعد إغتصابهن، وتشليع الأطفال وسحقهم. ولم تنج مدينة أو قرية أو دسكرة من هذه الفظائع. ثم يختم أحد الجنود قائلاً: «الكل أُبعد، الكل مات»[١].

❊ إمرأة شابة، هربت من المجازر، لخصت معاناتها بكلمات: «كنت جميلة، إغتصبني الأكراد، ثم بقروا بطون أطفالي أمام ناظري... ما أرحم الموت في مثل هذه اللحظات...»[٢].

❊ فتاة صغيرة، عمرها سبع سنوات قالت: آه! لقد رأيت الكثير من الأمور المخيفة ولكن لا أريد أن أتحدث عنها... فالكوابيس تعيش في كياني ولا تفارقني أبداً...

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٧٨.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٨٠ ـ ٨٢.

فتاة أخرى عمرها عشر سنوات، إسمها (Brillante) Pailoun أجابتني بكل بساطة: «عندما قتلوا أخي الصغير بين ذراعي، ربط لساني وفقدت النطق.. ثم تمكنت من الصراخ عندما قتلوا أمي»...[١].

وفي تقرير رسمي، تاريخ ١١ تموز ١٩١٥، يروي قنصل أميركا في «خربوط»، مشاهد الرعب التالية: ... في الأيام الأولى من تموز ١٩١٥، وصلت إلى خربوط طلائع المبعدين من Erzeroum و Erzindjan، ثياب رثة، يأكلهم الوسخ والجوع والمرض، ناهيك عن الخوف والرعب. ساروا طيلة شهرين، تقريباً دون طعام أو ماء. قدموا لهم التبن والحشيش، تماماً كالحيوانات، وهم لشدة جوعهم كانوا يحاولون إلتهامه، ومع ذلك كان رجال «الظبطية» يبعدونهم باعقاب البنادق والعصي، حيث قضى بعضهم على الفور.

أما النساء، يتابع القنصل الأميركي، فكن يهبن أطفالهن لكل من أراد أخذهم، رغبة في توفير الحياة لهم[٢].

هذه العينات، من الشهادات الحيّة، ليست أكثر من نقطة في بحر ملحمة الأرمن ومعاناتهم[٣]، أردناها لنؤكد أبعاد القرار وحجم التنفيذ.

إقتلاع الأرمن وترحيلهم، مهمة ملحة وضرورية، حتى إسمهم الكريه يجب أن يختفي من الوجود، كذلك آثارهم،

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ١٩٤.

(٢) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ٣٨٠ ـ ٣٨٥، راجع هنري باربي، المرجع نفسه، ص. ٨٣.

(٣) ـ قد تكون محاولة تعريب الوثائق الدبلوماسية والسياسية، موضوع بحث جديد في المسألة الأرمنية.

تراثهم، ذكرياتهم وكل ما يمت اليهم بصلة، يجب أن يطمس كلياً. . . الأمر شاء ذلك[1].

بكل دقة وأمانة، نفذت مشيئة الأتراك ورغبة المانيا وسائر الطامعين والمستفيدين من زوال أرمينية أرضاً وشعباً. فماذا تقول الأرقام، في حصيلة المذابح الأرمنية لعام ١٩١٥؟

ج ـ ما تقوله الأرقام، في مجازر الإبادة الأرمنية، نيسان ١٩١٥ :

الخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والفكر والتراث، خسائر تعجز عن وصف هولها الكلمات، لذلك أردنا أن نستعين بالرقم علَّه يكمل ما عجزنا عنه من جوانب الحقيقة في المسألة الأرمنية.

*** محصلة المجازر وعمليات الابعاد والمياتم، بما في ذلك رجال الكنيسة.**

جلجلة الأرمن إختصرت كلَّ الآلام والعذابات في مراحل ثلاث أساسية هي:

المرحلة		حصيلة المجازر	الفترة الزمنية
الأولى	عبد الحميد الثاني	٣٠٠,٠٠٠ شهيد	١٨٩٤ ـ ١٨٩٦
الثانية	جمعية الإتحاد والترقي	١,٥٠٠,٠٠٠ شهيد	١٩٠٩ ـ ١٩١٩
	مصطفى كمال	٥٠٠,٠٠٠ شهيد	١٩١٩ ـ ١٩٢٣

(١) ـ موسى برنس، المرجع السابق، نقلاً عن «Les Surprises du Kurdistan»، ص. ٣٨٥.

في هذا القسم من البحث، يهمنا تسليط الضوء على أهم ما جاء في احصائيات المرحلة الثانية، حيث نلخصها وفق جداول مبسطة، على النحو التالي:

المنطقة ـ المدينة	غالبية السكان	المصير والنتيجة	المنطقة ـ المدينة	غالبية السكان	المصير والنتيجة
زيتون ـ كيليكيا ١٩١٥/٤/٧	من الأرمن	ـ جمعوهم داخل الدير وأحرقوه بمن فيه. ـ نفي ١٢٠ عائلة	جبل صاصون سليفان شرميك	١٥ ألف أرمني	ـ قتلوا جميعاً بأبشع الصور. ـ أشرس مقاومة في صاصون ـ دكهم المدفعية ـ قتلوا جميعاً انتحار نسائهم تخلصاً من العار
Angora.	٥٠٠٠ أرمني	ـ اعدموا جميعاً، بشتى الوسائل التركية ـ الكردية التي أصبحت معروفة. (ذبحوا في الطرقات).	أضنة الاشهر الأربعة الأولى من ١٩١٥	من الأرمن	ـ تعذيب وشنق غالبيتهم. ـ إبعاد القلة الباقية.
Erzindjan.	ما يزيد عن ١٥,٠٠٠ أرمني وحوالي ١٠٠ من اليونان	ـ قضوا جميعاً ولم يبق منهم غير بضع نساء، هربن من دور الحريم.	وان ـ شرق الاناضول ١٩١٥/٤/٢٠	غالبية مطلقة من الأرمن	ـ مقاومة عنيفة ـ إحراق ـ قتل إغتصاب وابعاد. ـ القبض على النائب أرشاك فراميان.
تبليس وضواحيها ٢٠ حزيران ١٩١٥	١٨,٠٠٠ ألف أرمني	ـ ذبح الغالبية ـ الحرفيين للسخرة في الجبهة. ـ إرغام بعضهم على حفر قبورهم بأيديهم ودفنهم أحياء.	Avzoud.	٨,٠٠٠ أرمني	ـ احرقوا أحياء بمساعدة الأكراد، بعد كل أعمال التنكيل والتشنيع.
موش وضواحيها ١٠ تموز ١٩١٥	١٥٠,٠٠٠ أرمني	ـ لم يبق منهم غير قلة من النساء والأطفال. ـ قتلوا في الكنائس. ـ وضعوا فوق الأخشاب واحرقوا	ولاية أرضروم ١٩ أيار ١٩١٥ و ٤ حزيران	نصف السكان من الأرمن ـ سكان ١٠٠ قرية	ـ مذابح جماعية، شملت طلاب المدارس دون إستثناء[1].

(1) ـ Anahide Ter Minassian, La Question Arménienne, Ed, Parenthèses, Collection Arménie, Diffusion Presses Universitaires de France, 1983, P.P. 39 - 48.

راجع أيضاً، مروان المدور المرجع السابق، ص. ٤٠٠ ـ ٤٢٥، راجع

ما هو نصيب الكنيسة الأرمنية، أساقفة، كهنة وممتلكات من جحيم الموت والتدمير الذي إجتاح أرمينية وملحقاتها في نيسان ١٩١٥؟

ما أصاب الكنيسة الأرمنية، لا يمكن فصله عن مأساة الشعب الأرمني ككل، لأن التلاحم بين الكنيسة كمؤسسة والشعب كرعية، كان تلاحماً متجذراً في أكثر الأحيان. لذلك يهمنا أن نقدم في جدول مستقل، قافلة من شهداء الكنيسة الأرمنية، التي شكلت هدفاً رئيساً لجرائم الأتراك وفظائعهم، وفي ما يلي عينة من «الفاتورة» التي دفعتها الكنيسة الأرمنية في الأرواح والممتلكات:

المنطقة	الاسم والدرجة الكهنوية	المصير والنتيجة	المنطقة	الاسم والدرجة الكهنوية	المصير والنتيجة
ماردين	Maloyan. (أسقف)	قتل مع عدد كبير من رعيته وكهنته	Séert.	كهنة خلقيدونيا وسوريا	ذبحوا جميعاً
خربوط	Israélian. (أسقف)	قتل أثناء نفيه بين أورفه وديار بكر مع سائر الكهنة والراهبات	Suévak.	الكهنة	ذبحوا جميعاً
			Déréké.	الكهنة	ذبحوا جميعاً
ديار بكر	Tchlébian. (أسقف)	موته مؤكد	Véranchalier	الكهنة	ذبحوا جميعاً
ملاطيا	Khatchadourian. (أسقف)	قضى خنقاً	Angora.	Téodoros. (أسقف) و ١٠ كهنة	ذبحوا في الطرقات[1].

سمير عربش المرجع السابق، ص ١٦٥ ـ ١٧٤، راجع موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٢١٥ ـ ٣٧٩، راجع هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٩ ـ ١٨٠.

(١) و (٢) ـ أخذت جميعها من مقابلة ما يزيد عن عشر مراجع بالفرنسية والعربية.

الممتلكات الكنسية:

النوع	العدد	حجم الأضرار
كنائس	٤٨٦	دكت ودمرت بكاملها
معابد صغيرة	٦٩١	دمرت جزئياً
ممتلكات كنسية وثقافية	١٧٢٧	نهب شامل وإحراق معظمها وتحويل الباقي إلى مؤسسات إسلامية[٢]

تبقى الاشارة إلى أهم الأرقام في المبعدين والأيتام الأرمن ومصيرهم:

أماكن الابعاد	الأعداد	المصير
دير الزور و[١] Meskéné	٥٠٠,٠٠٠ [٢]	ـ لم يبقَ من هؤلاء إلاّ قلة، لا تتجاوز الألفين. وقد حصد الجوع والعذاب وسوء الأحوال الصحية والمناخية الغالبية الساحقة. المدافن الجماعية بالآلاف.
القوقاز	١٠٠,٠٠٠ من أرضروم	نجحوا في الهرب إلى القوقاز.
ـ أغدير ـ أشميادزين ـ يريڤان	٢٠,٠٠٠ ٤٥,٠٠٠[٣] ٢٠,٠٠٠	نجحوا في الهرب.

(١) ـ على ضفة الفرات.

(٢) ـ بعض المراجع تقول ان العدد يفوق الـ ٢٠٠,٠٠٠، أما الكاتبة الأرمنية Anahide Ter Minassian، في كتابها المسألة الأرمنية (بالفرنسية)، المرجع السابق، ص. ٤٢، فتقول ان العدد المبعد إلى هذه المنطقة هو ١٥٠,٠٠٠ أرمني وقد نجا منهم ٥٠٠ مبعد فقط.

(٣) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٣٧٩ ـ ٣٨٥، راجع هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٢٠٦.

أما المياتم الأرمنية، فحدِّث ولا حرج، فهي تشكل بذاتها مأساة قد تفوق كل تصور، خصوصاً في عمليات التجويع و «الأسلمة»[1] التي تعتبر تزويراً للارحام وإنتهاكاً مخيفاً لحقوق الإنسان وحريته. لذلك نقول أن الآلاف من هؤلاء الأيتام لم تعد تعرف أصلها وهويتها، حتى ان مئات الألوف من الأطفال والفتيات لا يعرفون أنهم كانوا أصلاً أرمناً. وكما تؤكد التقارير الدبلوماسية، أن العديد من المياتم الأرمنية إختفت بكليتها. كما تؤكد راهبة المانية ان ٧٠٠ يتيم أرمني في ميتم تركي، إختفوا جميعاً وتضيف أنهم قضوا غرقاً أو إغراقاً.

* في الأراضي المحتلة	بلغ عدد الأيتام	١٢,٤٨٠
* في الأراضي غير المحتلة	// // //	١١,٣٣٩
* مصر	// // //	٦٧,٠٠٠
المجموع		٩٠,٨١٩[2]

تجدر الإشارة أخيراً، أن النهب شمل كل الكنوز الأرمنية النادرة وكل ما أبدعته عبقريتهم خلال ثلاثين قرناً من إستيطانهم، وما تبقى كان كافياً ليشهد أن الأتراك مرّوا من أرمينية

ومن غريب المفارقات ان هذه الروائع الفنية الارمنية الأصل، تعرض اليوم أمام السائحين على أنها نماذج من الفن

(١) ـ أي عملية فرض الإسلام عليهم، بشكل أو بآخر.
(٢) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ٤٤٧.

المعماري السلجوقي أو العثماني. إضافة إلى ما حوِّل إلى مساجد ومؤسسات إسلامية، وعسكرية ومخازن أسلحة الخ.

هكذا أمعن الأتراك، إضافة إلى تاريخهم في المذابح والمجازر، في تزوير التاريخ والأصالة، هكذا يتنكرون للحقيقة كل يوم والأسرة الدولية في غفلة من الزمن، دخلت صمت أهل الكهف..

تحت عنوان، المذابح الأرمنية الكبرى، ٢٤ نيسان ١٩١٥، تبقى الإجابة عن السؤال المحوري، في بحثنا، ما هي المسؤولية الإسلامية في كل ما حصل ويحصل؟ أين هو الموقف الاسلامي بين الايجابية والسلبية؟

د ـ الموقف الاسلامي، أو موقف المسلمين بين الايجابية والسلبية:

أ ـ في ايجابية الموقف الاسلامي:

من التجني القول أو الاستنتاج، أن مواقف المسلمين كلها، حكومة وشعباً كانت متعصبة أو حاقدة أو مشارِكة في مذابح الأرمن ومعاناتهم. لأن الواقع والوقائع تثبت خلاف ذلك في كثير من الحالات وتبين أن العديد من المسلمين وبينهم بعض رجال الدين الشرفاء وقفوا موقفاً إنسانياً وأخلاقياً ناصعاً، حيال الأرمن قبل المأساة الكبرى وفيها وبعدها.

نظراً للأهمية، التي نسعى من خلالها إلى إظهار هذا الوجه الايجابي، نستعرض بعضاً من النماذج في المواقف المشرفة:

* المسلمون أنفسهم أو بعضهم على الأقل، يعرف تمام المعرفة، أن الجرائم التي إرتكبت بحق الأرمن، كانت دون مبرر يوجب ذلك. لذلك كان بعضهم يردد قائلاً: لا القرآن ولا

الشريعة يسمحان بهذه الفظائع وأن السماء عاجلاً أم آجلاً ستعاقب تركيا وسفاحيها. وهنا نسجل بكثير من الاعجاب، موقف أحد رجال الدين المسلمين، يوم تدخل زمن عبد الحميد، لوقف محرقة أعدت للنساء والأطفال، قائلاً:

... لا توجد ديانة واحدة، مسلمة أو مسيحية، تسمح بحرق النساء والاطفال أحياءً. لذلك (نجده وبكل بطولة) حبس نفسه مع الضحايا داخل المنزل وأقفل الباب. ولكن روح الهمجية، سخرت من موقفه هذا، وأشعلت النار في المنزل، حيث إمتزجت دماء المسلم والمسيحي، فكانت الشهادة الحقيقية، شهادة الإنسان للإنسان، شهادة المحبة الخالصة.

من الأصوات الاسلامية الجريئة والمؤمنة حقاً بما أراده الله وأنزله، نذكر منها ما نشر في جريدة المقطم المصرية تاريخ ٢٩/١٦ نيسان ١٩٠٩، لأحد الكتَّاب المسلمين Valieddine yeguen، ولي الدين يكن[١]، والذي ترجم إلى الأرمنية ثم إلى الفرنسية، نورد أهم ما جاء فيه نقلاً عن النص الفرنسي:

أيها المسلمون! ألا تخافون الله، الا تخجلون من البشر، باعتباركم إخوتكم المسيحيين اعداءً لكم، يحل قتلهم؟ أيها المسلمون! فعلكم هذا دليل قاطع، على أنه لم يوجد بينكم مسلم واحد بصير أو نبيل.

أيها الظالمون! ألم ترتجف ايديكم؟ ماذا أردتم أن تفعلوا بهذه المجازر التي لم نشهد مثيلاً لها في التاريخ، حتى مع الشعوب الأكثر بربرية؟ إنكم عار هذه البلاد، التي غذّتكم بثمارها، وروتكم بمياه ينابيعها وظللتكم بفيء أشجارها...

---

(١) ـ شاعر وكاتب مصري من أصل تركي، له الكثير من التعليقات والكتابات حول القضية الأرمنية.

الله، محمد والقرآن براءٌ من جرائمكم؛ فلا يحللون ما فعلتم ولا يسمحون لكم أن تأتوا أعمالاً مشؤومة...[١].

ولي الدين يكن، الذي حمل مشعل العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة، كتب في مناسبات عدة، داعياً العثمانيين إلى الاعتراف بجرائمهم ومذابحهم بحق الأرمني المظلوم، كذلك إلى نبذ التعصب والايمان بحرية الإنسان[٢].

وفي الإيجابية عينها، يقول، محمد شريف باشا، سفير تركيا السابق لدى أسوج ـ ٢١ ايلول ١٩١٥ ما يلي: «إن الفظائع المرتكبة في حق الأرمن في ظل النظام الحاضر قد فاقت همجية جنكيزخان وتيمورلنك... وإنَّ أفكار الإتحاديين لم يعلن عنها إلى العالم المتحضر إلاّ بعدما أخذ هؤلاء صراحة جانب الالمان... وهكذا فانَّ شعباً (ويعني الأرمن) وهب نفسه لخدمة نهضة الامبراطورية العثمانية غدا في طريقه إلى الاختفاء من التاريخ»[٣].

ما قاله وهيب باشا[٤]، عام ١٩١٦:

... إنّ ذبح وإفناء وسلب ممتلكاتهم كان نتيجة قرار من حزب «الاتحاد والترقي» وإنّ بهاء الدين شاكر هو الرجل الذي أتى بـ«جزاري البشر» إلى منطقة الجيش الثالث ثم قادهم واستخدمهم في تلك الفظائع[٥].

---

(١) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ١١١ ـ ١١٢. راجع أيضاً الإبادة، إصدار الهيئة العليا لإحياء الذكرى الثمانين للمجازر الأرمنية، ١٩١٥ ـ ١٩٩٥، ص. ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣ ـ ٢٥.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) ـ قائد الجيش الثالث التركي.

(٥) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٧ ـ ٢٨.

نتوقف كذلك عند ما قاله الدكتور جمال حيدر، الجرّاح التركي الشهير، عام ١٩١٨:

... عندما نبحث عن القضية الأرمنية نلاحظ أن كل اللوم يقع دائماً على الحكام وقواد الجيش فقط وأن مسؤولية الجرائم الخطرة تقع على عاتق القيادة المركزية لحزب «الاتحاد والترقي» كما يقولون ويؤكدون. إنّ الشيء الذي أريد توجيه انتباهكم اليه هو الأعمال البربرية التي ارتكبت ضد الأرمن بطرق علمية.

إنّ إهمالنا ومحاولة نسياننا لهذه المسألة لهو تصرف يأباه الضمير الإنساني. لذلك ألجأ إلى ضمير وشرف أعضاء لجنة التحقيق وأقدم لهم الحقائق كما شاهدتها شخصياً. بعد ذلك هم أحرار لتبني التدابير التي يرونها مناسبة ضد الذين قاموا بهذه الأفعال الشريرة[١].

ذكرنا هذه المواقف، لنؤكد خطأ المقولة الشائعة، التي تقول أن كل مسلم هو أصولي أو متعصب وهو بالتالي لا يقبل في مجتمعه بغير المسلمين.

الفترات الكثيرة، التي عانى فيها المسيحيون وغير المسلمين من نظام الذمية واضطهاد المسلمين، وإن كانت قائمة بشكل واسع، غير انها لا تشكِّل قاعدة دائمة أو حتمية في كل مجتمع مسلم؛ بالطبع لا، فالمسيحيون عرفوا الكثير من التسامح على يد خلفاء وزعماء ورجال دين مسلمين.

---

(١) ـ منشورة الإبادة، المرجع نفسه، ص. ٣٠ ـ ٣١.

ب ـ في سلبية الموقف الإسلامي واستغلال الدين:

مما لا شك فيه أن المجازر التي ارتكبت بحق الأرمن على يد الأتراك، كانت كلها من منطلقات عرقية-عنصرية. إذ ان الأتراك كان همهم الجامعة الطورانية وبالتالي تتريك كل من وما هو غير تركي. إلا انهم سخروا الإسلام لخدمة أغراضهم، أو بالأحرى بنوا مخططاتهم على أساس الاسلام. فعرفوا كيف يثيرون العصبيات والغرائز على اختلافها. فالاستجابة الدينية، خصوصا في المجتمعات المتخلفة، تبقى سريعة ومضمونة.

تأرجحت السياسة التركية، مفهوماً وممارسة، بين نزعتي العنصرية والأصولية. وقد تمثل ذلك في مختلف جوانب الاجتياح ـ الإبادة.

تحت شعار «تركيا للأتراك» كانوا يزرعون بذار الشقاق ويصورون للناس «أن الأرمن هم خُراج أو دُمَّل مليء بالقيح»[١] وعليه يجب إستئصالهم ومحو لفظة «أرمني» من الوجود[٢].

إلى جانب هذا، أطلقت شعارات كثيرة من قبل مسؤولين ورجال دين مسلمين، مفادها ضرورة إفراغ تركيا من المسيحيين، وهذا ما يفسر مواقفهم العدائية، حيال الأرمن واليونان والسريان وغيرهم، كما حصل في Trébizonde.

في ١٨ نيسان ١٩١٥، كلُ المسلمين يجتمعون خارج المدينة. «الحجة Hodjas[٣] عملوا على إشعال التعصّب،

---

(١) ـ Abcès de pus.

(٢) ـ موسى برنس، المرجع السابق، ص. ١٢٩.

(٣) ـ رجال الدين المسلمون ومنظروه.

مؤكدين لأتباعهم أن الهلال[1] لن يعرف النصر ما دام هناك أرمني واحد[2].

ثم ما معنى أن يرفع المبعدون الأرمن، أعلاماً بيضاء، في مواجهة السفن الأوروبية، كتبوا عليها:

«مسيحيون في الشقاء... أنقذونا!»[3].

في مطالعة لـ Arnold J. Toynbee يقول كلاماً ذا دلالة عميقة، قد تلخص جانباً مهماً من واقع المسيحيين في تركيا:

«... إنّ الحكومة العثمانية، كانت تميز بشكل واسع بين المسيحيين والعنصر المسلم المهيمن. غير أن نظام «الملة»[4] نقل المسيحي من حيوان تحت النير، إلى قطيع ظاهرياً محرر..»[5].

هذه الملل المسيحية، أوجدها السلطان محمد الثاني بعد إجتياح القسطنطينية عام ١٤٥٣، محاولاً بذلك إعادة تنظيم الامبراطورية العثمانية، كوريث للامبراطورية الرومانية.

ثم كيف نفسِّر، قتل الكهنة والأساقفة واذلالهم؟ كيف نفسِّر تحويل الكنائس إلى مساجد وتدمير وإحراق الممتلكات الكنسية بكاملها؟

إلى ذلك، كيف نفسِّر إرغام الآلاف من النساء والأطفال والرجال على إعتناق الإسلام، تحت وقع السيف والتنكيل؟!

---

(١) ـ رمز المسلمين المقدس.

(٢) ـ هنري باربي، المرجع السابق، ص. ٢٢.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ١٢٤ ـ ١٢٦. وكانت السفن الحربية الفرنسية، قد أنقذت ٤٠٥٨ أرمني ونقلتهم إلى بور سعيد.

(٤) ـ الملة، لفظة ابتدعها الأتراك وهي تعني مذهب ديني.

(٥) ـ المرجع نفسه، ص. ١٩ ـ ٢٠.

عندما طرد الشعب الأرمني من موطنه، كما يؤكد «هنري باربي»، عدد كبير من النساء والفتيات وزع على رجال الشرطة والموظفين الأتراك، فأدخلن في حريمهم. عدد آخر منهن بيع في الأسواق، ولحاجة المسلمين فقط، حيث أجبرن على إعتناق الإسلام.

هؤلاء النساء، لن يرجعن أبداً إلى أهلهن وأزواجهن وأطفالهن، فقد حكم عليهن الدخول في العبودية، في المهانة وفي الردة (L'apostasie). الأطفال هم بدورهم بيعوا كعبيد، بسعر ١٢ إلى ١٥ فرنك فقط، في حين أن عدداً كبيراً منهم أعطي إلى الدراويش ووضعوا في أماكن خاصة حيث أرغموا على إعتناق الإسلام[١].

وخلاصة القول، ان الامبراطورية العثمانية، ذهبت إلى أبعد حدود «الثيوقراطية»[٢]، فاتسمت سياستها باللامساواة بين مؤمنين وكفرة. فحكموا بالكراهية والبطش والانتقام. فحصد من خيراتهم هذه كلُّ المسيحيين وفي طليعتهم الشعب الأرمني.

ولن ننسى أخيراً، ما صدر من فتاوى[٣] دينية ونصائح باسم القرآن، لقتل المبعدين. حقيقة أكدتها الوثائق، كما أكدها Henry Barby في كتابه l'Arménie Martyre، إذ يقول ما تعريبه:

«... الحكومة التركية، أرسلت «الملة» رجال الدين المسلمين والمشايخ، الذين أفتوا لحراسنا ونصحوهم، باسم

(١) ـ المرجع السابق، ص. ١٢ ـ ١٣.

(٢) ـ الثيوقراطية، حكومة إلهية يشرف على تسييرها رجال الدين.

(٣) ـ فتاوي وفتاوى، الحكم في أمور متعلقة بالشريعة الإسلامية وأمور تلتبس على المسلمين، فيبت بها أئمة الدين وفقهاؤه.

القرآن أن يقتلونا. . .»[1]. إنها الحقيقة، التي تحكّمت بمصير المسيحيين عبر تاريخهم الطويل في المجتمعات الإسلامية ـ التركية حتى العام ١٩١٩؛ كما تحكمت في مجتمعات اسلامية أخرى. نقول هذا بحثا عن نهج جديد في لقاء اسلامي مسيحي، صريح صادق ومتين.

وفي هذا السياق، لا بدَّ من إلقاء الضوء على نظرة المؤرخين الغربيين إلى الأتراك. حيث إعتبر هؤلاء أن الأتراك شعب جاهل وفظ، وهو في نظرهم عدو شرس للحضارة الأوروبية. عبقريته تمثلت بعدائية غريزية نحو المسيحية وبقوة تدميرية همجية هائلة[1].

فهل تغيرت الرؤية، زمن الحكومة التركية العلمانية، بقيادة مصطفى كمال؟ وهل تبدلت الأمور ونال الأرمن حقهم في الحياة والحرية؟!

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٥٩ ـ ٦٥.

(٢) ـ BENOIST - MÉCHIN, Le Loup et le léopard, Mustapha Kémal ou la mort d'un Empire, Ed. Albin Michèl, Paris 1962, P.396.

القسم الثالث: المسلمون الأتراك والأرمن ـ المرحلة الثالثة ـ مصطفى كمال (أتاتورك):

I ـ أضواء على شخصية مصطفى كمال وسياسته:

١ ـ شخصية مصطفى كمال وحياته:

إنسانان في شخصيته: العسكري المقدود من الصخر والسياسي المحنك البارع. عاش حياته الحافلة بالأحداث والتطورات، في تجاذب دائم بينهما. فوضع العسكر في خدمة أهدافه السياسية.

مصطفى كمال (أتاتورك)[١]، رجل دولة تركي، ولد في «تسالونيكي»[٢] (١٨٨١ ـ ١٩٣٨) يعتبر من الضباط التقدميين ولكنه كان أحد أركان ومؤسسي «جمعية الإتحاد والترقي» التي نفذت مجازر الإبادة بحق الشعب الأرمني.

من صفاته أنه رجل لاذع ـ كاوٍ، جمع المرارة إلى الحزن

---

(١) ـ أتاتورك، لفظة تركية تعني: «أبو الأتراك».

(٢) ـ تسالونيكي أو سالونيك: مدينة يونانية على خليج تسالونيكي في بحر إيجة، عاصمة مقدونيا قديماً. فيها كنائس بيزنطية رائعة.

والغموض، لذلك كان يجهله ويتجاهله الجميع، حتى رجال السياسة وللتخلص منه، أرسلوه إلى الجيش[١].

قبل الثلاثين من العمر، أصبح مصطفى كمال القائد العام للجيش الثالث.

في العام ١٩١٠ وبعد عودته من مهمة في باريس، يعين قائداً مكلفاً إعادة تنظيم المدرسة الحربية في تسالونيك. إنغمس كثيراً في الجيش كان دائماً ملسوعاً من شيطان السياسة، ولم يجد تعزية لنفسه، بعيداً عن السلطة. في نفسه الكثير من الكبرياء، لذلك لم يقدر طوال حياته على مديح أحد.

مصطفى كمال، رجل دولة من الطراز الأول، لم يعرف الحلول الوسط، وقوله يوم إنتخابه من قبل الجمعية الوطنية العليا في انقرا كرئيس للمجلس عام ١٩٢٠، يفسِّر بعضاً من ذلك: «إذا اخترتوني قائداً، لهذا العصر، عليكم مشاطرتي قدري حتى النهاية. أطلب منكم متابعة طاعتي بلا تبصُّر...»[٢].

٢ ـ نهجه وتطلعاته السياسية:

طموحات مصطفى كمال كانت كبيرة جداً، فصبا إلى تركيا قادرة، قوية، عظيمة ومتحررة. هذا الجنرال المسلم، المنتصر في الداخل وفي الخارج، حقق إهتماماً دولياً كبيراً. فكل الجهات كانت تحضه ليكون قائداً لحملة دينية تحرِّض الإسلام ضد المسيحيين، والشرق ضد الغرب، لكن هذا القائد لم

---

(١) ـ H.C. Armstrong: Grey Wolf. Londres 1936. P. 32.

(٢) ـ Ibid. P. 289.

ينحرف عن تطلعاته المستقبلية. فلن يكون لا المدافع عن المسلمين ضد المسيحيين، ولا بطل الشرق ضد الغرب، ولا قائد حملة دينية للرجال الملونين ضد البيض، ولا حليف الشعوب الكادحة ـ كما رغبت موسكو ـ ضد الأمم الرأسمالية. لـم تكـن هـذه مهمتـه، ولا أحـسَّ بـأي ميـل لمثـل هـذه المغامرات[١].

قلة هم الرجال، في التاريخ، الذين كانوا كما كان مصطفى كمال، ضد الامبريالية المتسلطة. كان ضد الامبريالية بمقدار ما كان وطنياً بامتياز.

Ernest Renan، يقول: إنّ الشرط الأول للروح الوطنية هو التخلي عن أي طموح لدور كوني. لأن هذا الطموح مدمرٌ للوطنية[٢]. كان همه الأول إستئصال كل تدخل خارجي، سياسياً كان أم إقتصادياً.

في مؤتمر «لوزان» الذي إفتتح أعماله في ٢١ تشرين الثاني عام ١٩٢٢، بالتحديد أربعة أيام بعد هروب السلطان محمد السادس. هذا المؤتمر، مثل لتركيا إنتصاراً دبلوماسياً كبيراً؛ فقد حقق عصمت (ممثل مصطفى كمال) على الصعيد الدولي، كل ما كان مصطفى كمال وجيشه قد قاتلوا من أجله خلال أربع سنوات.

في ٢ تشرين الأول عام ١٩٢٣، تمَّ جلاء آخر جيوش

---

(١) ـ BENOIST - MÉCHIN, Le Loup et le léopard, Mustapha Kémal ou la mort d'un Empire, Ed. Albin Michel, (Epuisé) Paris 1954, P.P.289 - 302.

(٢) ـ Ernest Renan, La Réforme Intellectuelle et Morale, sd, P. 139.

الحلفاء عن تركيا[١]. الأمر الذي ساعد، إلى جانب السلطات الاستثنائية ـ الديكتاتورية التي كانت قد منحت إلى كمال بموجب القانون الصادر في ٥ آب ١٩٢١، إضافة إلى شخصيته الفذّة النادرة الذكاء، كل هذا ساهم مباشرة في عملية إعادة الإعتبار ورفع الرأس.

مصطفى كمال، كان يطمح إلى تركيا جديدة وعصرية، وبالفعل فقد أحدث ثورة حقيقية على كل شيء، فقلب المفاهيم جذرياً وأوصل الشعب إلى تغيير الفلسفة العلمية والمنهجية العقلانية وحتى المصير.

أتاتورك الذي خلق دولة علمانية جديدة يقول:

«في أساس الإسلام، هناك كتاب واحد هو القرآن. وفي أساس الدولة التركية هناك كتابان: كتاب الأرض الكبير وكتاب الإنسان الكبير»[٢].

وما قاله Georges Duhamel، قد يلخِّص المدى الذي قصد إليه مصطفى كمال في مجال سياسته وتطلعاته المستقبلية:

«لا أحد من الثوريين القدماء، أمثال Robespierre, Cromwell أو Lénine، تجرأ أن يذهب بعيداً إلى الحد الذي ذهب إليه مصطفى كمال»[٣].

---

(١) ـ Ibid, P. 306 - 307.

(٢) ـ BENOIST - MÉCHIN, Le Loup et le léopard, Op. Cit, P. 394.

(٣) ـ Georges Duhamel: La Turquie, Puissance d'occident, Le Figaro, 13 Juillet 1954

٣ ـ ثورة مصطفى كمال الاجتماعية والعلمانية:

إنّ الإنتقال من الحرب إلى السلم، مرحلة من المراحل الصعبة في تاريخ الأمم، ومستقبل هذه الأمم، رهن باجتياز هذه المرحلة بنجاح. وحقيقة الأمر، إنّ ما أتى به «أتاتورك» كان عمل جرَّاح أكثر منه عمل سياسي، فيه الكثير من المخاطرة والمجازفة ومع ذلك أقدَمَ دون تردد أو خوف.

الحدث الأبرز، كان إلغاء الخليفة، إنه الحدث الأكثر خطورة، لما يحمل من ردود فعل ناقمة.

كان من الممكن، لمصطفى كمال، أن يصبح هو الخليفة ويحظى بالمبايعة، أما أن يلغي مركز الخليفة فتلك مسألة مختلفة! قد تفقده تأييد الفلاحين وبصورة أولى الجيش. إنها مسألة قد تثير كل الأتراك ضده، بمعارضة جماعية.

لقد أدرك الابعاد تماماً، لذلك لم يعرض هذه القضية، في قانون تشرين الثاني عام ١٩٢٢، الذي ألغى السلطنة، ولا في قانون تشرين الأول عام ١٩٢٣، الذي أنشأ الجمهورية. فلو أنه تعرّض لسلطة السلطان الروحية، في الوقت الذي علّق فيه سلطته الزمنية، لما تبعته الجماهير. ولكن يبقى الهدف القائل:

«سلخ تركيا عن الامبراطورية لا يوصل إلى شيء ما لم نسلخها، في آنٍ معاً، عن الإسلام»[١].

خطوة مصطفى كمال، حملت مخاطر كثيرة، لأن الدين الإسلامي، ليس فقط عقيدة لاهوتية تنظم علاقات الكائن بالله، بل أكثر من ذلك فهو يدخل في الحياة اليومية لكل مسلم،

---

(١) ـ BENOIST - MÉCHIN, Op. Cit, P.322.

والتي يحصر فيها كل المظاهر في مجموعة من الارشادات والأنظمة المتشددة(١).

فالقرآن الكريم هو كتاب صلاة، لكنه أيضاً مجموعة أنظمة، وقانون حقيقي، يشرف على تطبيقه رجال الدين بشكل شامل وكامل، فلا تأويل ولا إجتهاد ولا خروج على حرفية النص.

إبطال الخلافة، يعني قطع الرابط الروحي الذي يجمع تركيا إلى باقي الشعوب المسلمة في العالم.

بعد رحيل السلطان وبين ليلة وضحاها، أصبح الخليفة أعلى سلطة دينية في الإسلام، البابا لـ ٣٥٠ مليون مسلم. ثم جاء مصطفى كمال ليقول: «الخليفة ليس أكثر من بقية التاريخ، لا شيء يبرِّر وجوده»(٢).

يمكن القول أنه بأقل من خمس سنوات، مصطفى كمال يجعل من الماضي صفحة بيضاء، ثم يبدأ إعادة البناء لتركيا الجديدة.

كل التشريعات العثمانية القديمة كانت مبنية على الآيات القرآنية وعلى إجتهادات وفتاوى «علماء الشرع».

بإلغاء الخليفة، وباعلان فصل الدين عن الدولة وبتأكيد الوجه العلماني للنظام الجديد، مصطفى كمال أراد أن يعطي البلاد مجموعة قوانين متكاملة وجديدة، مختلفة تماماً عن القوانين القرآنية القديمة «الشريعة»(٣).

لأجل ذلك، إستقدم فريقاً من الحقوقيين الغربيين، واعتمد بناءً على نصائحهم: القانون التجاري الالماني، القانون الجزائي

---

(١) ـ Loc. Cit.

(٢) ـ Ibid, P. 328.

(٣) ـ Ibid, P.P.356 - 357.

الايطالي والقانون المدني السويسري. هذا الأخير، حوّل جذرياً موقع الأسرة، على ما كانت عليه في تركيا منذ أكثر من ٦٠٠ سنة. وأهم ما جاء في هذا القانون الجديد:

أ ـ حدَّد قوانين الملكية.

ب ـ حرَّم تعدّد الزوجات المسموح به من النبي محمد.

ج ـ أبطل عدم المساواة التي كانت سائدة على أساس الجنس، والتي تماثل المرأة بممتلكات زوجها.

د ـ جعل من كل مواطن تركي، أمام القانون، مواطناً حراً تماماً كالمواطن السويسري[١].

كذلك إعتمد الروزنامة Grégorien. وأرغم الأتراك على التأريخ إعتباراً من ولادة المسيح وليس بالتأريخ الهجري[٢].

كما أحلَّ السنة الشمسية للغربيين مكان السنة القمرية (٣٥٤ يوماً) المعتمدة من العرب. ولم يعد يحتسب اليوم، كما كان عند العرب من إشراقة الشمس حتى غيابها، بل أصبح من منتصف الليل إلى منتصف الليل حسب النمط الغربي.

وإذا أردنا أن نعدِّد التحولات التي جاء بها مصطفى كمال، في عادات الأتراك وتقاليدهم وحياتهم الإجتماعية والدينية والإقتصادية الخ، وجب أن نخصص مجلداً لذلك.

وحقيقة الأمر، كما يقول Hessel Tiltman، أنَّ الجميع أصبحت عندهم القناعة من أنَّ هزّة أرضية، قلبت حتى أسس حياتهم[٣].

---

(١) ـ Loc. Cit.

(٢) ـ السنة الأولى للهجرة تقابل السنة ٦٢٢ حسب الروزنامة الغاريغورية ـ المسيحية.

(٣) ـ La Turquie à l'aube de 1954, Le Monde, numéro Spécial du 8 Janvier 1954.

شيخ الإسلام، كان يُعتبر الحبر الديني بعد الخليفة، وكان هذا الشيخ يذهب في تشدّده إلى حد منع أساتذة الجامعة في إسطنبول من تعليم طلابهم «عقائد هرطوقية كالتي جاء بها Copernic et Galilée» لأنه يجب التمسّك بكل شيء قاله وعرفه النبي محمد فقط[١].

غير أن علمنة مصطفى كمال غيرت وجه الدولة جذرياً، فذهب إلى حد إقفال المدارس الدينية ومن بينها المدارس المسيحية القائمة في البلاد في ظل نظام الامتيازات الأجنبية[٢].

والبديل كان إنشاء مدارس ابتدائية وثانوية في كل مكان، يديرها جهاز علماني. وكان مصطفى كمال يخاطب المعلمين والأساتذة بقوله:

أنتم أساتذة المدارس، تبنون تركيا الجديدة... الجمهورية بحاجة إلى نخبة قوية جسدياً وثقافياً. عليكم أنتم صناعتها..

أما طرق التعليم وأساليبه المعتمدة في المدارس والليسيه مستوحاة من النظام التثقيفي الموصى به من مؤسسة جان جاك روسو في «جنيف». كما إستقدم أساتذة من مختلف الدول أمثال: John Dewey، عام ١٩٢٧ (أميركي)، السويسريان Adolphe Ferrière عام ١٩٢٨ و Pierre Bovet عام ١٩٢٩، حيث كلف هؤلاء القاء المحاضرات في أنقرا، أزمير، وفي جامعة اسطنبول وفي كل جنوب البلاد بغية إعداد المعلمين وتأهيلهم.

---

(١) ـ المرجع السابق، ص. ٣٦٩.

(٢) ـ من هنا نفهم سلوكية رجال الدين المسيحيين في دعمهم رجال الدين المسلمين في صراعهم ضد الحكومة الكمالية.

ولكن إستقدام الأساتذة من الخارج، يتنافى وسياسة مصطفى كمال وعدائيته للأجانب، فبرر هذه الازدواجية قائلاً:

«لست مجنوناً لأضع في الجعبة ذاتها، الأجانب الذين يسرقوننا والأجانب الذين يغنوننا»[1].

إلى ذلك، عزز مكانة المرأة. كما شجَّع سائر القطاعات الإقتصادية والصناعية والزراعية وخطوط النقل وغيرها.

مصطفى كمال، كان عسكرياً بالفطرة، رجل سياسة بالحاجة ومعلم بالدعوة. فعلى الأتراك أن يطيعوا أبعاد وطموحات هذا «الكمال» ومن لم يفعل كان نصيبه حبل المشنقة أو الاعدام رمياً بالرصاص، أو الجلد أو السجن؛ وكان العدد بالآلاف[2].

هكذا نجد أن لكل تغيير ثمناً، سلباً أو إيجاباً.

ما يهمنا من كل هذا هو تحديد نظرة «أتاتورك» إلى الشعب الأرمني ومن ثم موقع هذا الشعب في روزنامة الحكومة الكمالية. فهل وضعت الكلمة موضع التنفيذ؟ وهل هناك من مسؤولية تطال هذا القائد العلماني، حيال المسألة الأرمنية، وما هو حجمها؟

II ـ مصطفى كمال ومسؤوليته في القضية الأرمنية:

١ ـ علاقة مصطفى كمال بالحكومة الإتحادية وبالصهيونية العالمية:

يتراءى للبعض، أن شخصية بحجم مصطفى كمال، لا

---

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(١) ـ BENOIST - MÉCHIN (Jacques): Ibn Séoud, ou La Naissance d'un Royaume. Paris, 1955, P. 171 - 212; Voir aussi BENOIST - MÉCHIN, Mustapha, Kémal ou la Mort d'un Empire, Paris, 1954, P. 384

يمكنها الانغماس أو التورط في أعمال إجرامية، كتلك التي أصابت الشعب الأرمني في تاريخه وجغرافيته وكيانه. ومن غريب المفارقات أيضاً، أن معظم المؤرخين والباحثين، يتجاهلون مسؤولية مصطفى كمال وتورطه في مجازر الأرمن ومعاناتهم، من بعيد أو من قريب، في عهده أو في عهد «الإتحاد والترقي». فما هي علاقته بالحكومة الإتحادية من جهة وبالصهيونية العالمية من جهة ثانية؟ وما هي حدود مسؤوليته في إطار المسألة الأرمنية؟

إنّ النزعة العنصرية الطورانية، ليست غريبة عن النظرية الصهيونية العنصرية. فالأولى عمدت إلى دمج الشعوب التركية في بوتقة الطورانية الجامعة، أما الثانية فكان غرضها، إضافة إلى الجامعة الصهيونية العالمية، تحقيق حلمها التاريخي الكبير في فلسطين.

هذه الفرضية أصبحت من الحقائق التي أكدتها الوقائع التاريخية والتحولات السياسية والمجتمعية. فما هي علاقة الصهيونية بالطورانية؟

تدفقت موجات اليهود إلى البلاد العثمانية في العام ١٤٩٢، بعد أن طردهم الاسبان، فاعتنقت أعداد كبيرة منهم الإسلام، فعرفوا باسم «الدونمة»؛ حيث شكل هؤلاء، طبقة إجتماعية في مقدونيا كونت فيما بعد إحتياطياً بشرياً للصهيونية عن طريق المحافل الماسونية[١].

وإثر المؤتمر الأول للحركة الصهيونية العالمية في مدينة «بال» في سويسرا عام ١٨٩٧، راحت خلايا هذه الحركة تزداد

---

(١) ـ سمير عربش، أرمينية أرض وشعب، بيروت ١٩٩١، ص. ٢٣٦. ف. ٤.

وتتكاثر بشكل مطرِّد ومبرمج، في العالم وخصوصاً في مناطق الشرق، حيث الاطماع المعروفة والتي لا تزال قائمة حتى اليوم وستبقى.

بدأت هذه الحركة إتصالاتها، بالسلطنة العثمانية، بعيد مؤتمر ١٨٩٧، حيث أوفدت الصهيوني «عمانوئيل قاراصو»، الذي قابل السلطان عبد الحميد الثاني، ساعياً أمامه إلى منح فلسطين ادارة ذاتية يهودية، رفض السلطان ظاهرياً هذا الطرح، بحجة أن اليهود أقاموا في عهده، وتحديداً بين الأعوام ١٨٧٨ وحتى ١٩٠٤، حوالي ثلاثين مستعمرة على أرض فلسطين[١].

مع فشل مهمة «عمانوئيل»[٢]، قررت الحركة الصهيونية الإطاحة بعبد الحميد الثاني، وركزت عملها داخل وحدات الجيش وخصوصاً مع الضباط الشباب. لهذا الغرض أصدر «تيودور هرتزل»[٣] أوامره إلى المحافل الماسونية في إسطنبول وسالونيك وأزمير لتفعيل حركة ثورية رافضة لسياسة هذا السلطان، من داخل الجيش، الاداة القادرة وحدها على إطاحته وايجاد حكومة بديلة تتعاطف تماماً مع المشاريع التوسعية للحركة الصهيونية.

نتيجة هذا التحرك اليهودي الفاعل والمقنع، تأسست جمعية «الإتحاد والترقي» ومقرها «سالونيك». بالعودة إلى هوية

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣٧. ف ١

Dr. Raymond Sayegh, Le Système de Partis Politiques, en Israel, Lib Samir, Beyrouth - 1971, P.P. 28, 29, 30.

(٢) ـ زعيم الجالية اليهودية في أزمير.

(٣) ـ تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤): كاتب مجري يهودي. أسس الحركة الصهيونية، الأمر الذي أعطاه شهرته العالمية.

مؤسسي هذه الجمعية الثورية ـ الإنقلابية، تتكشف بوضوح، ليس فقط الأصابع اليهودية في كل ذلك، وانما فلسفة اليهود في نهجهم وسياستهم وتطلعاتهم المستقبلية.

وفي هذا الاطار يقول «أرنولد توينبي» في كتابه تاريخ المسلمين: ان يهود سالونيك كانوا يشكلون جزءاً لا يتجزأ من جمعية الإتحاد والترقي.

كذلك يقول المؤرخ «سيتون وطسون»: ... منذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي لم يظهر بين زعمائها عضو واحد من أصل تركي صافٍ[1] وهكذا فان أصحاب العقول في هذه الحركة كانوا يهوداً أو يهوداً دخلوا الإسلام، وأما الدعم المالي فكان يأتيهم من أغنياء اليهود[2].

نعود لنذكر، أن الرائد أركان حرب مصطفى كمال[3]، كان من سالونيك وكان من الضباط الشباب الذين أسسوا جمعية الإتحاد والترقي. من هنا كانت مسؤوليته حيال مذابح الأرمن وإبعادهم من وطنهم. فأهالي سالونيك، كان بينهم الكثير من اليهود، غالبيتهم كانوا من الرعايا الطليان ومن الماسونيين في آن. وكونهم من الماسونيين راحوا يمولون حركة الإتحاد والترقي. ولما كان الايطاليون محميين بموجب إتفاق

---

(١) ـ أنور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي مرتد. جاويد من «الدونمة» إسمه الأصلي «دافيد». كراصاو من اليهود الاسبان. طلعت باشا من أصل غجري إعتنق الإسلام... راجع سمير عربش، المرجع السابق، ص. ٢٣٧.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣٧.

(٣) ـ الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية التركية، التي اعلنت عام ١٩٢٣ بعد إلغاء السلطنة عام ١٩٢٢.

الامتيازات الأجنبية، منذ عهد «فرنسوا الأول»، لذلك كان من السهل عليهم حماية أعضاء الحركة الثورية، خصوصاً أنه كان من الممنوع على «البوليس» التركي القيام بأعمال التفتيش والمراقبة في هذه المناطق.

أضف إلى ذلك أن جمعية «الإتحاد والترقي» كانت تعقد إجتماعاتها في بيوت اليهود، حيث تتلقى الكثير من المساعدات المالية، دون معرفة مصدرها. كما كانت تجري الاتصالات، مع كل الشخصيات السياسية المتهمة والمحكومة أو المنفية من قبل السلطان منذ حوالي عشرين سنة[١].

مجموعة الضباط، التي إنتمى اليها مصطفى كمال إنضمت إلى الماسونية. وبناءً على نصائحهم إلتحق مصطفى كمال بمحفل «Vedata»، غير ان الجو السائد في داخله لم يرضه أبداً، خصوصاً أن هذا المحفل كان مكوناً بشكل أساسي من مشردين وعديمي الجنسية (d'apatrides)، والذين لم يظهروا أي إهتمام خاص بتركيا. مصطفى كمال، شعر أنه وقع في شرك تنظيم تحأرضي[٢]، خاصيته دولية، لا يجسِّد بوضوح، لا الوسائل ولا الأهداف. فسأل كمال، ماذا يفعل هنا؟ وفي نظره حركة «الإتحاد والترقي» محكوم عليها بالاخفاق. لم تصدر شيئاً جدياً، فهي تقول كثيراً ولا تفعل الكثير[٣].

مصطفى كمال، لم يكن يثق بقادة هذه الحركة، وكان

---

(١) ـ BENOIST - MÉCHIN, Mustapha Kémal, ou La Mort d'un Empire, Paris 1954, P.P. 103 - 104.

(٢) ـ واقع تحت الأرض Souterraine.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ١٠٤.

يتهمهم بعنف. وذات يوم عندما إلتقى جمال باشا، في القطار، إتهمه مباشرة بالخداع والغوغائية.

إنتقادات كمال، المتتالية أتعبت حتى رفاقه في الجيش أما اليهود فراحوا يتجنبونه ولم يطلعوه على مراتب الماسونية ودرجاتها العليا، فنظروا اليه على أنه شخص تابع أو مرؤوس. كما أن الهيئة الإدارية لجمعية «الإتحاد والترقي»، أصبحت ترفض إشراكه في مداولاتها[1].

مصطفى كمال، كان يبتعد بانتقاداته الكثيرة عن زملائه ورفاقه في الإتحاد والترقي. ولكن سرعان ما يحاول العودة اليهم. إلاّ أن كبرياءه وغروره كانا يمنعانه من المساومة والتنازل. خصوصاً انه لم يكن يرضى بغير المرتبة الأولى أو القيادة. وهذه النزعة الكمالية كانت احدى الأسباب التي خلقت حالة إضطراب سياسي في المرحلة الأولى من حياة مصطفى كمال.

مهما تضاربت الآراء وكثرت الإجتهادات حول النهج السياسي والعسكري في حياة مصطفى كمال، إلاّ أن ما يهمنا منها هو طبيعة مسؤوليته وحجمها، حيال القضية الأرمنية.

٢ ـ طبيعة وحجم المسؤولية «الكمالية» في القضية الأرمنية:

بالإستنتاج والتحليل نتوقف عند الملاحظات التالية:

أ ـ مصطفى كمال من مؤسسي «الإتحاد والترقي». هذه الحركة التي ذهبت بعيداً في تعاملها مع الحركة الصهيونية والمحافل الماسونية، وفي إرتكابها مذابح الأرمن.

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ١٠٥.

ب ـ مصطفى كمال، تقلب في مواقفه حيال «الإتحاد والترقي»: من داعم مشجع، إلى متحفظ إلى منتقد، إلى داعم الخ.

ج ـ السياسة «الكمالية»، وضعت في أولوياتها، تنظيف تركيا من كل العناصر اغير التركية ومن بينها الشعب الأرمني. لذلك نجد، أن العنصرية لم تغب عن خلفيات هذه السياسة وعن أهدافها.

رغم الإنجازات العظيمة والسبّاقة التي أتى بها مصطفى كمال، فان مسؤوليته تجاه الأرمن تتمثل في المواقف والأعمال التالية:

أ ـ بالإضافة إلى كونه أحد أركان «الإتحاد والترقي»، فانه لم يأتِ عملاً فعلياً لوقف المجازر الأرمنية، أو حتى الإعتراض عليها علناً، وهذا ما يعني موافقته الضمنية والمبدئية عليها.

ب ـ في مرحلة لاحقة، أصبح رئيساً لتركيا والحاكم المطلق لها ومع ذلك لم يفعل شيئاً من أجل القضية الأرمنية. في الوقت الذي كان قادراً على ذلك. لماذا لم يعترف بما إرتكبه الأتراك بحق الشعب الأرمني، وبالتالي لماذا لم يقدِّم لهذا الشعب بعض التعويض أو بعض الحق؟

ج ـ والمسؤولية المباشرة التي يتحملها مصطفى كمال، في القضية الأرمنية تتمثل بشكل رئيس عند الأعمال المباشرة التي أقدم عليها، من تهجير واضطهاد وتنكيل. فكان أن دفع الأرمن في العهد «الكمالي»، فاتورة لا تقل أهمية وخطورة عن سابقاتها. فما هو حجم مسؤوليته في القضية الأرمنية؟

في القضية الأرمنية، كما في القضية اليونانية، لم تتطابق المثل في الخطاب السياسي ـ الكمالي، مع حقيقة الأعمال الميدانية التي إرتكبت بحقهما. ففي حين نرى «أتاتورك» في خطابه السياسي يقول مثلاً:

«الوسيلة الوحيدة لجعل الناس سعداء هي دفعهم إلى أن يحب بعضهم بعضاً، وفي انجاز الأعمال الهادفة إلى إشباع حاجاتهم المشتركة المادية والأخلاقية... وإذا كنا نرجو السلام الدائم، يجب إتخاذ التدابير لتحسين مصير الجماعات، وأن يقف الجنس البشري في مجموعه، في مواجهة الجوع والطغيان، ليعم الرخاء والازدهار...

«... في بلد دون حرية، يقطن الموت والخراب. الحرية هي أم كلِّ تقدّم وكل سلام... من الضروري إعتبار مجموع الإنسانية كجسم واحد، وأي شعب كواحد من أعضائها...»[1].

كلام، قاله أتاتورك، من أروع ما يقال في الإنسانية، يصلح أن يكون دستوراً أو شرعة تضم إلى شرعة حقوق الإنسان، ولكن أين هو من الواقع والحقيقة؟ لماذا لم تطبّق هذه المثل الكمالية، بحق الأرمن، أليسوا شعباً يستحق الحياة والحرية والسلام؟!

بعد الهزيمة كان مصطفى كمال، جنرالاً دون أمرة ودون جيش، رئيس حكومة مؤقتة دون مال، دون إدارة ودون سلطة.

---

(١) ـ جريدة الصفا اللبنانية، ١٠ تشرين الثاني عام ١٩٧٣، في ذكرى وفاة اتاتورك، راجع موسى برنس "Le Génocide"، المرجع السابق، ص. ٤٠٠ ـ ٤٠١.

عمل الكثير الكثير ليحرر تركيا من نير الأجانب ويعيد اليها استقلالها وسيادتها[١].

على الأثر أجرى كمال إنتخابات نيابية جديدة. النواب المنتخبون يجتمعون في Angora ويتخذون إسم «الجمعية الوطنية الكبرى»، هذه الجمعية أدركت تماماً أنها الفرصة الأخيرة وأن وجود تركيا مرهون بنجاحها، وأن الأمة تبعث أو تتلاشى معها.

في ٢٩ نيسان ١٩٢٠، الجمعية الوطنية تنتخب هيئة تنفيذية، كانت بمثابة حكومة شرعية ولكنها مؤقتة. ومصطفى كمال يُعْلَنُ رئيساً للبلاد بالإجماع[٢]. وبذلك بدأت تركيا عهداً جديداً من التغيرات الجذرية على طريق تحديثها وتطويرها.

في منطق علم السياسة وعلم الإجتماع، كلُ تحول أو تغيير بنيوي أساسي، لا بدَّ من أن يخلق ردة فعل توازي حجمه وأكثر. وهذا ما حدث بالفعل، في مواجهة الإجراءات الجذرية، التي أقدم عليها مصطفى كمال والتي طالت أساسات المجتمع التركي، بكل أبعادها الدينية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية الخ، فكانت الثورة الحقيقية، التي خلقت معارضة قوية وناشطة، كادت تجهض المخطط الكمالي، لولا ديكتاتورية هذا الأخير.

بطبيعة الحال تشكلت المعارضة، من أنصار السلطان والسلطنة، التي أسقطها مصطفى كمال، ومن الأرمن واليونان والجاليات الأجنبية ومن الأكراد، وإن إختلفت أهداف ونظرة كل فريق.

---

(١) ـ BENOIST - MÉCHIN، المرجع السابق، ص. ٢٤٣

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

إلى أهوال الحرب المدنية تضاف أهوال وعذابات الحرب الغريبة.

في الشرق، الأرمن جاوزوا الحدود ليستولوا بقوة السلاح على المناطق التي وعدهم بها الحلفاء. في الجنوب الشرقي، عملاء السلطان أشعلوا تمرداً كردياً جديداً. في الجنوب، الفرنسيون يشنون هجوماً مضاداً في كيليكيا وينجحون في تحرير حامياتهم المطوقة. في الغرب، اليونانيون الذين يحتلون منطقة «Smyrne»، إستأنفوا تقدمهم، وهم يحرقون القرى ويقتلون السكان[1].

تركيا، كانت قد هبطت إلى عمق القبر. خصوصاً بعد معاهدة «Sèvres» ١٩٢٠، التي فرضها الحلفاء وكانت بمثابة الحكم بالإعدام: الامبراطورية تحجمت، الأناضول تشلَّع وتمزق، والشعب التركي إستُعْمِر وحُكِمَ بالرق والتبعية[2]. غير أن العقل المدبِّر والقبضة الحديدية «الكمالية» أنقذا تركيا وأرجعاها إلى الحياة، فصحَّ فيه القول، أنه منقذ تركيا.

وهكذا دخلت طموحات مصطفى كمال حيز التنفيذ، وبدأت معركته، كما أرادها، على خطين متوازيين: الأول ضد أنصار الخليفة ومجاهديه. والثاني، ضد القوى الأجنبية أو الغريبة، كما أسماها هو. ومن بينها الأرمن والأكراد واليونان والقوات الفرنسية في كيليكيا والقوات الإيطالية الخ[3].

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣٨.

(٢) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٣٩، راجع ملحق الخرائط La Turquie d'après Le Traité de SÈVRES (1920).

(٣) ـ راجع ملحق الخرائط؛ Les Opérations de La Guerre d'indépendance 1920 - 1922.

الولايات الشرقية، كانت هاجس مصطفى كمال، والسيطرة عليها تعني خلق سدٍ منيع يحمي ظهره ويعطيه حرية التحرّك في الاتجاهات الأخرى. لهذا الهدف، رئيس الحكومة المؤقتة يكلف «Kiazim Kara Békir» طرد الأرمن إلى ما خلف الحدود وتكبيدهم خسائر فادحة، بغية شل قدرتهم لمنعهم من تكرار محاولاتهم التحررية مستقبلاً.

قائد الجيش الثاني، أدى المهمة ضد الأرمن بكل قسوة ووحشية.

في الوقت الذي نفذت فيه المجازر ضد الأرمن، كانت الحاجة ماسة إلى من يهديء العسكر، لا إلى من يشجعه.

أما تشكيلات الأرمن التي أخذت على حين غرة، وجدت نفسها مطوقة ومأسورة، حيث تعرضت، تقريباً، في كل مكان للإبادة والهلاك وذلك في أيلول ـ تشرين الأول عام ١٩٢٠[١].

لو أن الحلفاء عملوا على خلق الظروف النفسية اللازمة للمقاومة، لكان الروس سهلوا عملها بتقديم السلاح. لكن الجمهورية الأرمنية التي ولدت من توافق ولايات مقتطعة، من الامبراطورية العثمانية والامبراطورية القيصرية في آن، لم تكن خطراً على أنقرا وحدها، بل كانت تهديداً لموسكو أيضاً؛ لأن هذه الدولة المولودة حديثاً، تطمح إلى ضم مقاطعات «Batoum و Bakou». إضافة إلى أن أراضيها تصلح أن تكون نقطة تجمع لعددٍ من القوى الأساسية ـ المهمة المناهضة للثوريين.

كذلك فان أبطال الاستقلال التركي، ظهروا دفعة واحدة وكأنهم الحلفاء الطبيعيون لقادة «الكرملين» في حربهم المشتركة

---

(١) ـ - Benoist Méchin، المرجع السابق، ص. ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

ضد أرمينية الكبرى. لم يمضِ شهر واحد، على تقدم Kiazim، حتى شعر السوفيات بقوة كافية، سمحت لهم بالهجوم بدورهم، وذلك في تشرين الثاني عام ١٩٢٠، فأرسلوا أعداداً كبيرة من جيشهم إلى هذه المنطقة، حيث قامت الفرق الحمراء بالقضاء على من تبّقى من الأرمن، ودخلت يريڤان وسحقت التنظيمات المعادية للشيوعية[١] خلال المعارك المتحركة وأغرقت بالدم الحلم - الذي كان قصيراً جداً - بأرمينية مستقلة[٢]. لا في هذه الأثناء، ولا بعدها[٣]، الحكومة السوڤياتية إعترضت على الحدود المرسومة في Gumru. هذه المنطقة - التي تذكر ببعض جوانبها بالمنطقة الالمانية - الروسية في بولونيا عام ١٩٣٩ - رسخت الصداقة التركية - السوڤياتية، وأعطت لمصطفى كمال الأمان، الذي كان ينشده في الجبهات الخلفية، كي يتمكن من ضرب أعدائه الآخرين[٤].

بتخلصها من القلق والهم، التي كانت تسببه الولايات الشرقية؛ تشكيلات الجيش الكمالي إنصرفت إلى تأديب الأكراد، حيث قمعت سريعاً ثورتهم. وفي كانون الثاني عام ١٩٢١، تابعت وحدات مصطفى كمال جهودها باتجاه الجنوب. بعد إجتياحها لمدن «مراش» و «أورفة» وذبحها للحاميات الفرنسية التي كانت تحتلها، هاجمت هذه الوحدات

---

(١) - Les formations anticommunistes.

(٢) - BENOIST - MÉCHIN, Ibid, P. 248.

(٣) - Sauf en Juin 1945, où L.U.R.S.S. émit soudain certaines prétentions sur les districts de Kars et d'Ardahan, abondonnés à la Turquie par le Traité du 13 Octobre 1921

(٤) - Ibid, P.P. 248 - 249.

«Bozanti»، مجبرة الوحدات الفرنسية المتقدمة على إخلائها.
ثم عقد هدنة أنقذت مؤقتاً كيليكيا.

كذلك، فان المناطق الاستراتيجية التي كانت تحت سيطرة الجيش الايطالي، بما فيها خطوط سكك الحديد، سقطت جميعها أمام هجمات الجيش التركي.

في كل مكان، توج النصر جهود الكماليين التي لم تعد تقاوم. وما ساعد على نجاح التمدد الكمالي وتقهقر الحلفاء، عدم وجود الحافز المعنوي لدى الحلفاء لمحاربة حركة أتاتورك...

في الخارج، اليونانيون، يتحصنون أمام «Smyrne»، وفرق الاحتلال البريطاني يتمركزون داخل القسطنطينية. لم يعد يوجد جندي غريب واحد فوق الأراضي التركية. إن السهولة التي حررت بها الأناضول تخطت كل التوقعات المتفائلة.

في آب، كل شيء بدا ضائعاً، وفي تشرين الأول أصبح النصر في متناول اليد.

وفي ٥ آب ١٩٢١، مصطفى كمال، يرغم الجمعية الوطنية على منحه صلاحيات استثنائية شاملة في مختلف المجالات، بغية إنقاذ تركيا. وهكذا تابع نضاله لسنوات طويلة وخاض العديد من المعارك والحروب، في الداخل وفي الخارج، إلى أن حقق ما يصبو إليه من الحرية والاستقلال والتحديث لبلاده. ولكن الشعب التركي لم يكن ناضجاً لتقبّل مثل هذا التحوّل.

مع ذلك فان عظمة مصطفى كمال، سرعان ما تقزمت أمام ما سفكت من دماء الأرمن وأمام ما إرتكبت بحقهم من فظائع.

مرة جديدة، الذئب الرمادي يكشف عن أنيابه. مصطفى كمال يعلن الأحكام العرفية، يفرض الرقابة على الصحافة، يمنع بشكل قاطع حرية التعبير. ثم يقضي بشكل جذري على

كل الأقليات غيرالتركية. وهكذا، كالعادة، نال الأرمن حصة الأسد من بطشه، ومن لم يمت منهم، رُحِّل خارج البلاد.

مصطفى كمال، كما يقول Armstrong، كان رجلاً ولد خارج زمانه، مفارقة تاريخية، كائناً موهوباً بعبقريته العسكرية وارادته الجامحة... كان من الممكن أن يكون تيمورلنك أو جنيكزخان...»[1].

إنّ صور المعاناة الأرمنية، زمن مصطفى كمال كثيرة وموجعة جداً، نكتفي برسم بعضها: ... في أيلول عام ١٩٢٢، الأتراك الكماليون يبدأون حملات نهب منظمة لمحال الأرمن واليونان وممتلكاتهم. في المساء عمليات مطاردة واصطياد حقيقية للرجال، كانت قد نظمت في الأحياء المسيحية. الجماهير الثائرة الغاضبة «لنَّشت»[2] وأعدمت التجار وعائلاتهم في باحات المساكن وفي أقبية المحلات[3].

لا يجوز أن يبقى خونة مسيحيون في تركيا بعد اليوم. هكذا يشعر الحاكم أنه سيد البلاد على الإطلاق.

مصطفى كمال يخرج إلى الشرفة، الليل كان مشعاً، تحت أقدامه كما في زمن تيمورلنك، Smyrne تشتعل. الحريق كان قد إمتد إلى كل الأحياء المسيحية. المنازل الخشبية تلتهب في دوامة من الألعاب النارية، أبنية شاهقة تنهار بكاملها، المخازن

---

(١) ـ المرجع السابق، ص. ٤١٧.

(٢) ـ لنشت من لَنَّشَ أي عاقب بلا صفة ولا قانون. قانون لَنْش (Loi de Lynch) قانون الإعدام من غير محاكمة قانونية، وهو منسوب إلى قاضٍ أميركي بهذا الإسم.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص. ٢٧٩.

البحرية التهمتها ألسنة اللهب. سحابات كثيفة من الدخان تحجب وجه السماء. إنها صورة من صور الجحيم الأرضية. تحوّل ليلها نهاراً. أحواض المرافيء لم تسلم من حقد الإنسان وهمجيته، فاشتعلت دافعة بجمهور من الضحايا إلى رمي أنفسها في الماء هرباً من الموت المؤكد إلى موت مؤجل.

مصطفى كمال، مستمتعاً بهذا المشهد! يقول مخاطباً مجموعة الضباط الواقفة وراءه: «هذا المساء تشهدون نهاية عهد، إنه سقوط التدخل الخارجي في بلادنا. هذه النار هي رمز يعني أن شعبنا قد تخلص أخيراً من الخونة المفسدين. من الآن وصاعداً تركيا، محررة مطهَّرة ولن تكون إلاَّ للأتراك وللأتراك وحدهم!...»[١].

أيام وأسابيع، النار تأكل كل شيء، ومصطفى كمال لا يحرك ساكناً، بل أرادها أن تكمل دورها في إلتهام الحجر والبشر من اليونان والأرمن.

إنّ إبادة الأرمن وعمليات التخلص منهم ومن اليونانيين، إضافة إلى مجازر الأكراد، لم تكن أبداً فصلاً من الفصول المشرفة في سيرة مصطفى كمال ـ أتاتورك. وما وصول أفواج المبعدين الأرمن إلى سوريا ولبنان في العام ١٩٢٢ وباعداد كثيفة وبحالة مذرية من الجوع والتعب والشقاء[٢]، إلاَّ دليل من الأدلة الكثيرة على معاناة الشعب الأرمني في عهد أبي الأتراك هذا.

وفي خلاصة القول، يمكننا الاستنتاج أن العلاقات الأرمنية

---

(١) ـ المرجع نفسه، ص ٢٨٠.

(٢) ـ مروان المدور، أرمينية عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. ٥٢١.

مع المسلمين الأتراك، حافظت على وتيرة تصاعدية من العدائية والنزف الدائم.

كما أعطت الشهادة الصارخة والأكيدة، على أن الأقليات على إختلافها عانت وستبقى تعاني من «ڤيروس» العنصرية والأصولية، وأن مثالية المجتمعات البشرية ساقطة حكماً، وهي بالتالي لن تحيا إلاّ في حلم جميل لن يتحقق.

العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية، زمن العهود التركية المفترسة، تركت إنعكاسات ونتائج، توازي وتفوق أحياناً هول المجازر وفظائعها. من هذه النتائج:

- عمليات الابعاد الجماعية، التي خلفت ظروفاً حياتية لا إنسانية.
- المعاناة النفسية والحياتية، التي إنعكست سلباً في عمق الشعب الأرمني، المتمسك بهويته وانتمائه.
- إجهاض كل الشرائع والقوانين الدولية، وبذلك سقطت مقولة، العدالة الإنسانية.

كما ان البحث في العلاقات الإسلامية – الأرمنية، عبر محطاتها المختلفة، يطرح حتما مواضيع جديدة، تكون مشاريع أبحاث جديدة في المسألة الأرمنية، هذه المسألة الفائقة الأهمية والخطورة والتعقيد.

في الفصل الرابع والأخيرمن بحثنا هذا، والذي أردناه عملا ميدانيا – علميا نجيب بتجرد الرقم وموضوعيته عن بعض الجوانب المهمة في المواضيع المطروحة وفي كثير غيرها حول المسألة الأرمنية، واقعا، نهجا ومستقبلا.

الفصل الرابع

المسألة الأرمنية، من منظار مسيحيي لبنان ومسلميه
(بين حقيقة الرقم وفلسفة الواقع)

القسم الأول ـ إستمارة البحث، غايتها أبعادها ونتائجها:

I ـ غاية الإستمارة، ضرورتها وفرضياتها:

للرقم والإحصاء أهمية كبرى في كلِّ دراسة أو بحث، بل هما حاجة كلِّ بحث، لذلك كان من الضروري إفراد فصل خاص لدراسة هذه الإستمارة، بكل تفاصيلها ودقائقها.

أما الغاية المباشرة فقد حتمتها فرضيات وأبعاد كثيرة، أهمها:

١ ـ إلقاء الضوء على جوانب مهمة وأساسية من القضية الأرمنية، بغية التشخيص الدقيق وكشف بعض الحقائق والإستنتاجات.

٢ ـ إعطاء البحث طابعه العلمي، فالرقم أفضل حَكَمٍ موضوعي ومتجرد.

٣ ـ أن نبيِّن بالأرقام والنسب، نظرة اللبنانيين وموقفهم من المسألة الأرمنية، بكل أبعادها وجوانبها، كذلك تحديد موقع هذه القضية داخل الكيان المجتمعي اللبناني ـ التعددي.

٤ ـ أن نكشف النقاب، عن بعض المغالطات التي تحيط بواقع المسألة الأرمنية.

٥ ـ أن نرسم جوانب من السياسة الأرمنية حيال مسألتهم الأم، بغية إعادة النظر في استراتيجيتهم وتحالفاتهم وإعلامهم.
٦ ـ أن نستشف مستقبل المسألة الأرمنية. فهل ماتت وضاعت نهائياً، كما إعتبرها البعض، بمن فيهم نسبة من الأرمن أنفسهم، أم أنها قابلة للانبعاث والخروج إلى الضوء ومن ثم إلى الحياة؟!
٧ ـ إظهار دور المقاومة الأرمنية، حقها في الوجود، كيفية عملها وطرق تفعيلها.
٨ ـ مقدار تحكُّم الإنتماءات الدينية، السياسية والإجتماعية، بموقف الإنسان وطرق تفكيره ومنهجية عمله.

II نتائج الإستمارة واستنتاجاتها، كما حددها مسلمو لبنان ومسيحيوه:

إنَّ دراسة الإستمارة وتحليل نتائجها ونسبها، يحتمان وضع جداول محورية مبسطة، نعتبرها جداول إستدلال لكل المعلومات والاستنتاجات التي يمكن أن نصل إليها من خلال مقابلة الأرقام والتي قد تضعنا، ليس فقط أمام واقع القضية الأرمنية ومنزلتها في المجتمع الطوائفي في لبنان، بل أيضاً أمام فلسفة هذه الطوائف وخلفيات نظرتها إلى القضية وإلى توجه سياسي ـ مشرقي عام.

جدول رقم ١ ـ مجموع العينة التي شملت اللبنانيين وفق توزعهم الطائفي:[١]

الاعداد والنسب	الطوائف الإسلامية والمسيحية اللبنانية							ملاحظات
	السُنَّة	الشيعة	الدروز	الكاثوليك[١]	الارثوذكس	انجيلي	المجموع	
العدد	٨٩	١٠٨	٦٤	١٢٦	٧٢	١٣	٤٧٢	
النسبة المئوية	١٨,٨٥	٢٢,٨٨	١٣,٥٥	٢٦,٦٩	١٥,٢٥	٢,٧٥	١٠٠٪	

جدول رقم ٢ ـ مجموع العينة التي شملت اللبنانيين من أصل أرمني وفق توزعهم الطائفي[١]:

الأعداد	أرمن أرثوذكس	أرمن كاثوليك	أرمن انجيلي	المجموع	ملاحظات
العدد	١٧٣	٦٦	٢٩	٢٦٨	
النسبة٪	٦٤,٥٥٪	٢٤,٦٢٪	١٠,٨٢٪	١٠٠٪	

(١)- الطائفة المارونية هي في صميم الطوائف الكاثوليكية، لذلك تعمدنا عدم الفصل بينها وبين سائر الطوائف الكاثوليكية.

(٢)- وضع هذا الجدول المستقل للطوائف اللبنانية من أصل أرمني، هو بهدف تمكين المحلل من تبين الأرقام والعينات بوضوح ومن ثم معرفة رأي أهل البيت بقضيتهم، ولا يهدف إلى أي شيء آخر.

فيكون مجموع العينة للطوائف الإسلامية والدرزية والمسيحية في لبنان:

٤٧٢ + ٢٦٨ = ٧٤٠ لبناني ولبناني من أصل أرمني

يضاف الى هذا العدد ٦٠ من غير اللبنانيين ومن جنسيات مختلفة، أبرزها: فلسطينيون - سوريون - سودانيون واردنيون. فتصبح العينة الإجمالية : ٧٤٠ + ٦٠ = ٨٠٠، غالبيتهم الساحقة من اللبنانيين. وحيث أننا نولي اهتمامنا بالطوائف اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني فقط، فقد أسقطنا الرقم ٦٠، على ان يكون موضوعا مستقلا لدراسة جديدة. والعينة وزعت وفق الجدول التالي :

جدول رقم ٣ ـ العينة وتوزعها وفق الطوائف وفئات الأعمار واعدادهم والنسب المئوية:

المذهب	العمر	العدد	النسبة من مجموع المذهب نفسه	النسبة من مجموع الطوائف جميعها	لا جواب	نسبة كل طائفة من مجموع العينة
إسلام سُنَّة	١٨ ـ ٣٠	٦١	٦٨,٥٣٪	٨,٢٤٪		
	٣١ ـ ٤٣	١٧	١٩,١٠	٢,٢٩		
	٤٤==	١٠	١١,٢٣	١,٣٥	واحد	١١,٨٨
إسلام شيعة	أ ـ =	٧٨	٧٢,٢	١٠,٥٤		
	ب ـ =	٢٨	٢٥,٩	٣,٧٨		
	ج ـ =	٢	١,٨٥	٠,٢٧		٪١٤,٥٩
دروز	أ ـ =	٣٩	٦٠,٩	٥,٢٧		
	ب ـ =	١٤	٢١,٨٧	١,٨٩		
	ج ـ =	١١	١٧,١٨	١,٤٨		٪٨,٦٤
كاثوليك	أ ـ =	٧٧	٦١,١١	١٠,٤٠		
	ب ـ =	٣٤	٢٦,٩٨	٤,٥٩		
	ج ـ =	١٥	١١,٩	٢,٠٢		٪١٧,٠١
ارثوذكس	أ ـ =	٤٣	٥٩,٧	٥,٨١		
	ب ـ =	٢٥	٣٤,٧	٣,٣٧		
	ج ـ =	٤	٥,٥٥	٠,٥٤		٪٩,٧٢

انجيلي	أ - =	٩	٦٩,٢٣	١,٢١		
	ب - =	٣	٢٣,٠٧	٠,٤٠		
	ج - =	١	٧,٦٩	٠,١٣		٪١,٧٤
أرمن ارثوذكس	أ - =	١١٧	٦٧,٦٣	١٥,٨١		
	ب - =	٢٧	١٥,٦٠	٣,٦٤		
	ج - =	٢٩	١٦,٧٦	٣,٩١		٪٢٣,٣٦٪
أرمن كاثوليك	أ - =	٣٧	٥٦,٠٦	٥		
	ب - =	١٩	٢٨,٧٨	٢,٥٦		
	ج - =	١٠	١٥,١٥	١,٣٥		٪٨,٩١٪
أرمن انجيلي	أ - =	٩	٣١,٠٣	١,٢١		
	ب - =	١٠	٣٤,٤٨	١,٣٥		
	ج - =	١٠	٣٤,٤٨	٪١,٣٥		٪٣,٩١

ان النسب الواردة في الجدول رقم ٣، توزعت كما يلي:

أ - الطوائف الأرمنية: ٣٦،١٨ ٪

ب - الطوائف الإسلامية والدرزية: ٣٥،١١ ٪

ج - الطوائف المسيحية في لبنان وغير الأرمنية: ٢٨،٤٧ ٪

وهذا التوزيع كان بغرض إعطاء الأرمن - أصحاب العلاقة - النسبة الأكبر، ومن ثم الطوائف الإسلامية والدرزية، حيث كثر اللغط حول موقف هذه الطوائف من القضية الأرمنية. ومهما يكن فان هذا التوزيع قد لا يكون له الأثر الكبير، خصوصا ان المنهجية التحليلية المعتمدة، ستركز على كل المعطيات والمواقف والأبعاد التي أفرزتها عينة كل طائفة من الطوائف.

هذه الإستمارة، وإن كان توزعها عشوائيا، إلا انها توجهت بغالبيتها الىفئات مثقفة ومتعلمة نسبيا. لذلك، وكي نضع القارىء والباحث في صورة متكاملة الجوانب، كان من الطبيعي وضع الجدول رقم ٤، الذي يلخص نسب الطوائف اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وفق توزعها المهني والعلمي، تبعا لفئات الأعمار المحددة.

جدول رقم ٤ – الطوائف اللبنانية واللبنانية الأرمنية وتوزعها المهني والعلمي :

	المهنة							المستوى العلمي					
المذهب	رب عمل	عامل	موظف	مدرس ابتدائي	أستاذ ثانوي	أستاذ جامعي	لا جواب	متوسط	ثانوي	اجازة	دراسات عليا	دكتوراه	لا جواب
السنة	١٧،٢	١١،٥	٢٥،٥٣	٢،٦٦	٧،٥٦	١٠	٢٥،٥٥	٨،٤٣	٤٢،١٢	٣١،٥	١،٨٨	٣،٧٢	١٢،٣٥
الشيعة	٩،٦	١٤،٣	١٦	٥،٢٣	٣،٥	١	٥٠،٣٧	٥،٣٨	١٧،٠٧	١٩،٦٧	–	–	٤٧،٨٨
الدروز	٢٤،٢٢	١٠،١٢	١٣،٢	٤،٧	٤،٧٦	٤،٧٣	٣٨،٢٧	٤،٥٨	١٨،٦٦	٤٠،٧٣	–	–	٣٦،٠٣
الكاثوليك	١٢	١٠،٣٦	١٣،٠٦	١٣،١٣	١٨،٩٣	١٤،٢٦	١٨،٢٦	٤،٢٥	٤١،٢٢	٢٠،٩٧	١٦،٦٦	١،٣٨	١٥،٥٢
الارثوذكس	٣،٤٣	١١،٣	١٤،٧٦	٢٨،٨٦	٦،٠٦	٢١	١٤،٥٩	٨،٩٨	١٤،٤٥	٤٠،٥٤	٨،٥٧	٥،٥٥	٢١،٩١
الإنجيليون	٣٧،٠٣	–	١١،١	٣٧،٠٣	٧،٤	٧،٤	٠،٠٤	١،٨٥	١،٨٥	٢٢،٢٢	٥،٥٥	–	٦٨،٥٣
أرمن ارثوذكس	٣٢،٢	١١،٧٣	٥،٥٣	٩	٣،١٣	١٢،٧	٢٥،٧١	٤،٦٧	٢٣،٩٢	٣٥،٥٤	٩،١٣	١،٨٥	٢٤،٩
أرمن كاثوليك	٣١،٢	٢٧،٧٣	٧،٣	١٢،٥٣	١٤،٩٨	٦،٣٥	–	٩،٣٨	٢١،٣٦	٣٦،٥٠	٨،٦٦	–	٢٤،١
أرمن انجيلي	١٧،٢٤	١٣،٧٩	٢٤،١٣	١٧،٢٤	٢٠،٦٨	٦،٨٩	٠،٠٣	٤	٣٤،٤٨	٣٠،١٣	٢٧،٥٨	٣،٢	٠،٦١
النسبة العامة للطوائف التسع	٢٠،٤٥	١٢،٣١	١٤،٥١	١٤،٤٨	٩،٦٦	٩،٣٧	١٩،٢٠	٥،٧٢	٢٣،٣٠	٣٠،٨٦	٨،٦٦	١،٧٤	٢٩،٠٩

الجدول رقم ٤ يضعنا أمام الملاحظات التالية:.

أ ـ معدل النسب في قطاع التعليم على إختلاف مراحله سجَّل ٣٣,٥٪ وأرباب العمل ٤٥,٢٠٪ ثم ١٢,٣١٪ للعمال و ١٩,٢٠٪ لا جواب.

ب ـ إذا إعتبرنا المتعلم إبتداءً من المستوى الثانوي وما فوق، فتكون نسبة هؤلاء ٦٥,١٦٪، إلى جانب ٥,٧٢ مستوى متوسط و ٢٩,٠٩٪ لا جواب. من هنا نجد أن غالبية العيِّنة تنتمي إلى فئة المتعلمين.

ج ـ إن النسب المسجلة قبالة كل طائفة، في خانة «لا جواب» (المستوى العلمي)، تترك غالباً إحتمال التهرب من الإجابة، بسبب عدم تعلم صاحبها وربما أميته. . .

جدول رقم ٥ ـ القضية الأرمنية وإلمام اللبنانيين بها:

المذهب	العمر	كيف تقيم معلوماتك حول القضية الأرمنية؟					ملاحظات ٪
		أعرف عنها الكثير	أعرف عنها القليل	لا أعرف عنها شيئاً	لم أسمع بها	لا جواب	
سنّة	١٨ ـ ٣٠	٩,٨	٥٤	٢٦	٩,٨	٠,٤	س. ٢
	٣١ ـ ٤٣	١٧,٣	٦٤,٧	١٨	-	-	
	٤٤ ==	٢٠	٥٠	٣٠	-	-	
شيعة	أ ـ =	١,٣	٦٤	٢٧	٧	٠,٧	
	ب ـ =	٧,١	٦٤	٢١,٤	٧,٥	-	
	ج ـ =	-	-	-	-	-	
دروز	أ ـ =	-	٦٦,٦	٢٠,٥	١٢,٨	٠,١	
	ب ـ =	٧,١	٥٠	٢٨,٦	١٤,٣	-	
	ج ـ =	٩,١	٣٦,٣	٣٦,٣	٩,١	٩,٢	
كاثوليك	أ ـ =	٧,٨	٦٨,٨	١٩,٥	٣,٩	-	
	بـ =	٢,٩	٦٤,٧	٢٣,٥	٨,٨	٠,١	
	ج ـ =	١٣,٣	٧٣,٣	١٣,٣	-	٠,١	
ارثوذكس	أ ـ =	٧	٣٥,٥	٣٢,٥	٧	-	
	ب ـ =	٤	٧٦	٢٠	-	-	
	ج ـ =	٥٠	٢٥	٢٥	-	-	
انجيلي	أ ـ =	١١,١	٦٦,٧	٢٢,٢	-	-	
	ب ـ =	—	١٠٠	-	-	-	
	ج ـ =	-	١٠٠	-	-	—	

جدول رقم ٦ ـ القضية الأرمنية وإلمام اللبنانيين الأرمن بها:

المذهب	العمر	ماذا تعرف عن القضية الأرمنية؟					ملاحظات %
		أعرف عنها الكثير	أعرف عنها القليل	لا أعرف عنها شيئاً	لم أسمع بها	لا جواب	
أرمن أرثوذكس	١٨ ـ ٣٠	٩١,٥	٧,٧	-	٠,٨	-	س. ٢
	٣١ ـ ٤٣	٧٠,٣	٢٥,٩	٣,٧	-	٠,١	
	٤٤ ==	٩٣,١	٦,٩	-	-	-	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٧٥,٧	٢٤,٣	-	-	-	
	ب ـ =	٦٣,٢	٣٦,٨	-	-	-	
	ج ـ =	٧٠	٣٠	-	-	-	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٧٥,٨٦	١٧,٢٤	٦,٨٩	-	-	
	ب ـ =	٧٢,٤١	٢٤,١٣	٣,٤٤	-	-	
	ج ـ =	٨٢,٧٥	١٣,٣٤	٣,٤٤	-	٠,٤٧	
النسبة العامة	مختلف	٧٧,٢٠٪	٢٠,٧٠٪	١,٩٤٪	٠,٠٨٨	٠,٠٦٣	

الجدول رقم ٥ يضعنا أمام المسلمات التالية:

١ ـ السُنّة:

أ ـ ٥٦,٢٣٪ يعرفون القليل عن القضية الأرمنية.

٢٤,٦٦٪ لا يعرفون شيئاً عن القضية الأرمنية.

١٥,٧٪ يعرفون عنها الكثير.

٣,٢٦٪ لم يسمعوا بها.

٠,١٣٪ لا جواب.

ب ـ فتكون النسبة الإيجابية للسُّنَّة:
٥٦,٢٣ + ١٥,٧ = ٧١,٩٣٪
ج ـ أما النسبة السلبية للسُّنَّة فتكون:
٢٤,٦٦ + ٣,٢٦ + ٠,١٣ = ٢٨,٠٥٪
د ـ فئة المسنيِّن السُّنَّة سجلت أعلى نسبة في خانة «أعرف عنها الكثير» وهي ٢٠٪. وفئة الشباب أدنى نسبة ٩,٨٪

٢ ـ الشيعة:

أ ـ ٦٤٪ : يعرفون عنها القليل.
٢٤,٢٪ : لا يعرفون عنها شيئاً.
٧,٢٥٪ : لم يسعموا بها.
٤,٢٪ : يعرفون عنها الكثير.
٠,٣٥٪ : لا جواب.

ب ـ النسبة الإيجابية (+) للشيعة: ٦٤ + ٤,٢ = ٦٨,٢٪
ج ـ النسبة السلبية (−) للشيعة: ٢٤,٢ + ٧,٢٥ = ٣١,٤٥٪
د ـ فئتا الشباب والوسط عند الشيعة، سجلتا النسبة ذاتها في خانة أعرف عنها القليل ٦٤٪
هـ ـ بالمقابلة بين السُّنَّة والشيعة نلاحظ ما يلي:

* إلمام السُّنَّة بالقضية الأرمنية سجَّل نسباً مرتفعة بالمقابلة مع النسب التي سجلها الشيعة.

* كذلك فان ٣,٢٦٪ لم يسمعوا بها عند السُّنَّة، مقابل ٧,٢٥٪ عند الشيعة، بفارق أكبر من الضعف.

* كما أن النسبة التي «تعرف عنها الكثير»، كانت عند السُّنَّة ١٥,٧٪ بمقابل ٤,٢٪ عند الشيعة، بفارق ثلاثة أضعاف تقريباً.

* أما الفئة التي لا تعرف عن القضية الأرمنية شيئاً، فقد

سجلت نسباً متقاربة جداً عند السُنَّة ٢٤,٦٦٪ وعند الشيعة ٢٤,٢٪

٣ ـ الدروز:

أ ـ ٥٠,٩٦٪ : أعرف عنها القليل.
٢٨,٤٦٪ : لا أعرف عنها شيئاً.
١٢,٠٦٪ : لم أسمع بها.
٥,٤٪ : أعرف عنها الكثير.
٣,١٣٪ : لا جواب.

ب ـ يكون مجموع النسب الإيجابية عند الدروز:
٥٠,٩٦ + ٥,٤ = ٥٦,٣٦٪

ج ـ مجموع النسب السلبية عند الدروز:
٢٨,٤٦ + ١٢,٠٦ = ٤٠,٥٢٪

د ـ الشباب الدروز، في خانة «أعرف عنها القليل» سجَّل أعلى نسبة بالمقارنة مع فئتي الوسط والشيوخ.

هـ ـ الطائفة الدرزية، بالمقارنة مع السُنَّة والشيعة، سجلت أعلى نسبة في خانة «لم أسمع بها»، حيث بلغت ١٢,٠٦٪، كذلك في خانة «لا جواب» ٣,١٣٪

و ـ لجهة إلمام، المسلمين والدروز، بالقضية الأرمنية، نسجِّل الترتيب التالي:
السُنَّة : ٧١,٩٣٪، الشيعة: ٦٨,٢٪، الدروز: ٥٦,٣٦٪
وهذه النسب تشمل خانتي: «أعرف عنها الكثير» و «أعرف عنها القليل».

تبقى الاشارة إلى أن إلمام الطوائف الاسلامية والدرزية بالقضية الأرمنية، جاء إلماماً ضعيفاً، حيث ان الغالبية الكبرى بينها، أكدت أن معرفتها بها كانت قليلة وهي كما يلي: شيعة:

٦٤٪ (أعرف عنها القليل، السُنَّة : ٥٦,٢٣٪ (قليل)، والدروز : ٥٠,٩٦٪ (أعرف عنها القليل).

هذا ما يحتم على القيادات الأرمنية الروحية والزمنية، إعادة النظر في إستراتيجيتها، ومنهجية عملها، خصوصاً في إعادة تنظيم صفوفها ووسائل إعلامها.

٤ ـ الكاثوليك:

أ ـ ٦٨,٩٣٪ : أعرف عنها القليل.
١٨,٧٦٪ : لا أعرف عنها شيئاً.
٨٪ : أعرف عنها الكثير.
٤,٢٣٪ : لم أسمع بها.
٠,٠٦٪: لا جواب.

ب ـ النسب الإيجابية عند الكاثوليك:
٦٨,٩٣ + ٨ = ٧٦,٩٣٪

ج ـ النسبة السلبية عند الكاثوليك:
١٨,٧٦ + ٤,٢٣ = ٢٢,٩٩٪

د ـ يتبين أن متوسطي العمر الكاثوليك؛ يجهلون القضية الأرمنية بالقياس مع فئتي الشباب والشيوخ.

هـ ـ الكاثوليك من الطوائف اللبنانية، سجلوا أعلى نسبة لجهة معرفتهم للقضية الأرمنية، بالمقارنة مع الطوائف الإسلامية والدرزية.

٥ ـ الارثوذكس:

أ ـ ٥١,٥٪ أعرف عنها القليل.
٢٥,٨٣٪ لا أعرف عنها شيئاً.
٢٠,٣٣ أعرف عنها الكثير.
٢,٣٣٪ لم أسمع بها.

ب ـ النسب الإيجابية عند الارثوذكس
٥١,٥ + ٢٠,٣٣ = ٧١,٨٣٪

ج ـ النسب السلبية عند الارثوذكس
٢٥,٨٣ + ٢,٣٣ = ٢٨,١٦٪

د ـ الارثوذكس، من بين كل الطوائف اللبنانية الأصل والمعتمدة في هذه الاستمارة، سجلوا أعلى نسبة في خانة «أعرف عنها الكثير» حيث بلغت ٢٠,٣٣٪ كما سجلوا والسنَّة، النسبة نفسها تقريباً في خانة «أعرف عنها القليل»، (السنَّة: ٧١,٩٣٪ ـ الكاثوليك ٧١,٨٣٪).

٦ ـ انجيلي:

أ ـ ٨٨,٩٪ أعرف عنها القليل.
٧,٤٪ لا أعرف عنها شيئاً.
٣,٧٪ أعرف عنها الكثير.

ب ـ النسب الإيجابية عند الانجيليين ٨٨,٩+٣,٧= ٩٢,٦٪

ج ـ النسب السلبية عند الانجيليين ٧,٤٪

د ـ الانجيليون سجلوا أعلى نسبة لجهة معرفتهم بالقضية الأرمنية بين سائر الطوائف اللبنانية الأصل المعتمدة في هذه الدراسة. ولكن هذه النسبة المرتفعة، تترك حولها بعض علامات الاستفهام، كون عينة الانجيليين ضئيلة نسبياً، وقد لا يكون تمثيلها كافياً.

من كل ما تقدم في تحليلنا للجدول رقم ٥، يمكننا أن نخلص إلى الجدول التالي:

المذهب	أعرف عنها الكثير	أعرف عنها القليل	لا أعرف عنها شيئاً	لم أسمع بها	لا جواب
سنّة	١٥,٧	٥٦,٢٣	٢٤,٦٦	٣,٢٦	٠,٢٣
شيعة	٤,٢	٦٤	٢٤,٢	٧,٢٥	٠,٣٥
دروز	٥,٤	٥٠,٩٦	٢٨,٤٦	١٢,٠٦	٣,١٣
كاثوليك	٨	٦٨,٩٣	١٨,٧٦	٤,٢٣	٠,٠٦
أرثوذكس	٢٠,٣٣	٥١,٥	٢٥,٨٣	٢,٣٣	-
انجيلي	٣,٧	٨٨,٩	٧,٤	-	-
النسبة	٩,٥٥٪	٦٣,٤٢٪	٢١,٥٥٪	٤,٨٥٪	٠,٦٢٪

وهكذا نخلص إلى القول أن النسبة العامة الغالبة من مجمل الطوائف الاسلامية والدرزية والمسيحية اللبنانية، تعرف القليل عن القضية الأرمنية وقد بلغت هذه النسبة ٦٣,٤٢٪ والأخطر أن نسبة ٢١,٥٥٪ من هذه الطوائف المختارة، لا تعرف عن القضية الأرمنية شيئاً و ٤,٨٥٪ لم يسمعوا بها. مقابل هذه النسب، ٩,٥٥٪ فقط، يعرفون عنها الكثير. علاوة على ذلك، لاحظنا خلال بحثنا ومقابلاتنا، أن معرفتهم هذه تبقى مبتورة ومشوهة وأحياناً مغلوطة.

أهمية هذه الأرقام والنسب كونها تصحح مسار السياسة الأرمنية، وتضع القادة الأرمن، على إختلاف مواقعهم وانتماءاتهم أمام مسؤولياتهم التاريخية والقومية.

أما الجدول رقم ٦ : إلمام الأرمن اللبنانيين بقضيتهم، فقد أعطى النتائج التالية:

١ ـ أعلى نسبة بين الأرمن، في خانة «أعرف عنها الكثير»، بلغت ٨٤,٩٦٪ وقد سجلها الأرمن ارثوذكس، ثم تلاهم الانجيليون بنسبة ٧٧٪ ومن ثم الكاثوليك ٦٩,٦٣٪.

٢ ـ لكنَّ المستغرب عند الأرمن ارثوذكس أن فئة متوسطي العمر (٣١ ـ ٤٣) سجلت نسبة مرتفعة، في خانة «أعرف عنها القليل»، بحيث بلغت ٢٥,٩٪، أما المرتبة الأولى، في هذا المجال فقد سجلها الأرمن كاثوليك وبلغت نسبتها ٣٦,٨٪.

٣ ـ الأرمن الارثوذكس، في فئتي الشباب والمسنين، سجلوا أعلى النسب، بين مختلف طوائف الأرمن، وذلك في خانة «أعرف عنها الكثير»، بحيث بلغت على التوالي ٩١,٥٪ و ٩٣,١٪.

٤ ـ مهما تكن النسب التي سجلها الأرمن، في خانتي «أعرف عنها القليل» و «لا أعرف عنها شيئاً»، والبالغ مجموعها ٢٢,٦٤٪، فهي تدل على خلل ما في الوسط الأرمني، يجب العمل على تصحيحه ومعالجته. . .

٥ ـ إنّ نسبة ٧٧,٢٠٪ «أعرف عنها الكثير» التي سجلها الأرمن، على أهميتها، إلاّ أننا نعتبرها غير كافية، اذا ما قيست بحجم القضية الأرمنية وأهميتها. وهي على ايجابيتها فانها تعطي مؤشراً سلبياً موازياً، يدل على أن نسبة الذين يغفلون هذه القضية بدأت تزداد وتتسع.

وإذا كان لنا من تأويل أو تبرير لخلفية هذه النسب وأبعادها، فاننا نعتبر الاطر السياسية الداخلية والاقليمية، بما في ذلك تركيبة المجتمع اللبناني، والأحداث الكبيرة المتعاقبة عليه، خصوصاً الحرب الأخيرة (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠)، من العوامل المباشرة والأساسية التي ألقت بثقلها على كامل الشعب اللبناني، والأرمن شريحة هامة في معادلة هذا الشعب. هذه الحرب خلفت أعباءً كثيرة وتركت إنعكاسات إجتماعية

واقتصادية وسياسية ونفسية هائلة وسلبية لم توفر أحداً، ولن توفره لسنوات طويلة. . .

هذه الحقبة في تاريخنا، نعتبرها الوقت الضائع؛ حيث فُقِد خلالها كلٌّ منطق وكلُّ وعي. زمن الحرب الجريمة أصبح الهاجس الأول والأخير، تأمين الاستمرارية والبقاء، لذلك سقطت كل القيِّم وغابت أو تراجعت كل حاجات الإنسان الثانوية، من ثقافة وعلم وتوجيه أخلاقي، أو من تربية قومية ووطنية. من هنا كانت الثغرات واضحة في موقف الشباب ومتوسطي العمر، الذين كانوا أطفالاً واحداثاً، قبيل هذه الحرب المدمِّرة، التي أريد لها أن تحط رحالها في لبنان.

الخلل التثقيفي ـ التعليمي، على مختلف الصعد، يعتبر أحد أكبر «الفواتير» التي دفعها لبنان، إنساناً ووطناً.

جدول رقم ٧ ـ مسؤولية المجازر الأرمنية، وترتيبها بالأولوية حسب الطوائف الإسلامية والدرزية:

المذهب	العمر	العدد	من يتحمل مسؤولية المجازر الأرمنية؟ ٪					ملاحظات
			الأرمن	الأتراك	العرب	الأكراد	المانيا والدول الكبرى	
السنَّة ٨٩	١٨ ـ ٣٠	٦١	٪٥٦	٪٤٨	٪٤٣	٪٣٨	٪٤١	راجع السؤال الثالث في C
	٣١ ـ ٤٣	١٧	٪٧٠,٦	٪٧٦,٤	٪١٧,٦	٪٥٩	٪٧٠,٦	
	٤٤ ←	١٠	٪٣٠	٪٥٠	٪٢٠	٪٥٠	لا أحد	
الشيعة ١٠٨	أ ـ =	٧٨	٪٦٤	٪٦٧	٪٣٧	٪٥٥	٪٦٧	أسقطنا رقم ٢ شيعة ج، كي لا يؤثر على النسب الأخرى
	ب ـ =	٢٨	٪٥٧	٪٧١,٥	٪١٧,٩	٪٥٣,٦	٪٦٧,٩	
	ج ـ =	٢	-	-	-	-	—	
الدروز ٦٤	أ ـ =	٣٩	٦٦,٦	٧٤,٣	٥٨,٩	٦١,٤	٦٦,٦	
	ب ـ =	١٤	٥٠	٤٢,٨	٢١,٤	٣٥,٧	٢٤,٩	
	ج ـ =	١١	٦٣,٦	٨١,٨	٥٤,٥	٥٤,٥	٦٣,٦	

* ملاحظة: إنّ الأسئلة المفتوحة والواجب ترتيبها وفق أولوية معينة لا يمكن جمع نسبها أفقياً.

* **خلاصة الجدول رقم ٧:**

المذهب	من يتحمل مسؤولية المجازر الأرمنية؟!					ملاحظات
	الأرمن	الأتراك	العرب	الأكراد	المانيا وغيرها	
سنَّة	٪٥٢,٢	٪٥٨,١٣	٢٦,٨٦	٤٩	٥٥,٨	الاستمارة س. ٣
شيعة	٪٦٠,٥	٦٤,٢٥	٢٧,٤٥	٥٤,٣	٦٧,٤٥	
دروز	٪٦٠,٠٦	٦٦,٣	٤٤,٩٣	٥٠,٥٣	٥١,٧	
المجموع	٥٧,٥٨	٦٢,٨٩	٣٣,٠٨	٥١,٢٧	٪٥٨,٣١	
الترتيب العام	٣	١	٥	٤	٢	

حول الجدول رقم ٧ وخلاصته نسجِّل الإستنتاجات التالية:

١ ـ هناك جهل واضح للقضية الأرمنية في صفوف الشباب المسلم والدرزي.

٢ ـ السنَّة والشيعة والدروز، حددوا المسؤولية في القضية الأرمنية وفقاً للترتيب التالي:

أ ـ تركيا ٪٦٢,٨٩.

ب ـ المانيا والدول الكبرى ٪٥٨,٣١.

ج ـ الأرمن أنفسهم ٪٥٧,٥٨.

د ـ الأكراد ٪٥١,٢٧. والعرب في المرتبة الأخيرة ٪٣٣,٠٨.

٣ ـ تقارب النِّسب بين مسؤولية الأتراك ومسؤولية المانيا ومن ثم الأرمن.

جدول رقم ٨ ـ مسؤولية المجازر الأرمنية، وترتيبها بالأولوية، حسب الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني:

خلاصة الجدول رقم ٨ :

المذهب	الأرمن	الأتراك	العرب	الأكراد	المانيا +	ملاحظات
كاثوليك	٤٨,٦٣	٧٤,٨٣	٣٦,٢	٤٤,٨٦	٦٢,٢٣	الاستمارة س. ٣
ارثوذكس	٤٤,٦٣	٧٣,٦٦	٢٣,٠٦	٣٧,٦	٦٦,٠٣	
انجيلي	٤٨,١٣	٥٩,٢٦	٤٠,٧٣	٤٤,٤٣	٥١,٨٣	
أرمن ارثوذكس	٤٢,٥	٩٨	٣١,١٣	٥٣,٣٣	٨٣,٢٣	
أرمن كاثوليك	٦٥,٧	٩٩,١	٥٣,٩٣	٧٣,٩٣	٨٨,٥٦	
أرمن انجيلي	٤٤,٦٦	٩٣,٣٣	١٢,٣٣	٦٠	٨٠	
النسبة العامة	٤٨,٧٠	٨٣,٠٣	٣٢,٨٩	٥٢,٣٥	٧١,٩٨	

كيف ترتب أبرز الطوائف اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، المسؤولين عن المجازر الأرمنية؟

في الجدول رقم ٨ وخلاصته، نجد الإجابة عن هذا السؤال وفق نتائج الاستمارة والنسب التي حددتها هذه الطوائف، وعلى النحو التالي:

كاثوليك:	المرتبة الأولى: الأتراك ٧٤،٨٣٪ المرتبة الثانية: المانيا ٦٢،٢٣٪ المرتبة الثالثة: الأرمن ٤٨،٦٣٪ الرتبة الرابعة: الأكراد ٤٤،٨٦٪ المرتبة الخامسة: العرب ٣٦،٢٪	ارثوذكس:	المرتبة الأولى : الأتراك ٧٣،٦٦٪ المرتبة الثانية : المانيا ٦٦،٠٣٪ المرتبة الثالثة : الأرمن ٤٤،٦٣٪ المرتبة الرابعة : الأكراد ٣٧،٦٪ المرتبة الخامسة:العرب ٢٣،٠٦٪
انجيلي:	المرتبة الأولى : الأتراك ٥٩،٢٦٪ المرتبة الثانية : المانيا ٥١،٨٣٪ المرتبة الثالثة: الأرمن ٤٨،١٣٪ المرتبة الرابعة : الأكراد ٤٤،٤٣٪ المرتبة الخامسة: العرب ٤٠،٧٣٪	أرمن أرثوذكس:	المرتبة الأولى : الأتراك ٩٨٪ المرتبة الثانية : المانيا ٨٣،٢٣٪ المرتبة الثالثة : الأكراد ٥٣،٣٣٪ المرتبة الرابعة : الأرمن ٤٢،٥٪ المرتبة الخامسة : العرب ٣١،١٣٪

أرمن كاثوليك:		أرمن انجيلي:	
	المرتبة الأولى : الأتراك ٩٩،١٪		المرتبة الأولى : الأتراك ٩٣،٣٣٪
	المرتبة الثانية : المانيا ٨٨،٥٦٪		المرتبة الثانية : المانيا ٨٠٪
	المرتبة الثالثة : الأكراد ٧٣،٩٣٪		المرتبة الثالثة : الأكراد ٦٠٪
	المرتبة الرابعة : الأرمن ٦٥،٧٪		المرتبة الرابعة : الأرمن ٤٢،٦٦٪
	المرتبة الخامسة: العرب ٥٣،٩٣٪		المرتبة الخامسة : العرب ١٢،٣٣٪

مما تقدم نسجل الاستنتاجات التالية:

أ - الطوائف المسيحية اللبنانية من كاثوليك، أرثوذكس وانجيليين، اعطوا الترتيب نفسه، بحيث جاءت تركيا في صدارة الذين يتحملون مسؤولية المجازر الأرمنية، ثم تلتها المانيا، كما احتل الأرمن أنفسهم المرتبة الثالثة، والأكراد الرابعة والعرب الخامسة.

ب - المانيا، إذا، تتحمل مسؤولية كبيرة ومباشرة، حيال قضية الأرمن ومجازرهم.

ج-الطوائف الأرمنية، التقت جميعها حول ترتيب واحد وان اختلفت النسب.

د-إجماع حول مسؤولية مطلقة تتحملها تركيا والمانيا، أما العرب فمسؤوليتهم ثانوية جدا.

جدول رقم ٩ - الطوائف الإسلامية والدرزية والأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية بحسب أولويتها (بالمئة) ٪

المذهب	العمر	تفكك الأرمن	الطائفية	العرق	مطامع تركيا	مصالح ألمانيا	مصالح أميركا	مصالح فرنسا	ملاحظات
سنة	١٨-٣٠	٤٨	٥٧	٥٤	٤٨	٤٣	١٦،٤	٨	السؤال
	٣١-٤٣	٧٠،٥	٦٤،٧	٦٥	٧٦،٥	٦٤	٦	٥،٨	الرابع
	٤٤- =	٥٠	٢٠	٣٠	٣٠	٣٠	٤٠	٣٠	في
شيعة	١٨-٣٠	٦٣	٦٤	٦٥	٦٥،٤	٥٧	١٥،٤	١٣	الاستمارة
	٣١-٤٣	٦٠،٧	٦٤،٣	٦٧،٩	٧١،٤	٦٠،٥	-	٤	٪
	٤٤- =	-	-	-	-	-	-	-	س ٤
دروز	١٨-٣٠	٦٩،٨	٦٤،١	٦٤،١	٦٩،٨	٥٦،٤	٢٣	١٥،٣	
	٣١-٤٣	٥٧	٣٥،٥	٣٥:٥	٥٠	٥٠	١٤	١٤،٥	
	٤٤- -	٦٣،٩	٥٤،٥	٦٣،٩	٥٤،٥	٥٤،٥	٤٥،٤	٤٥،٤	

خلاصة جدول رقم ٩ :

المذهب	تفكك الأرمن	الطائفية	العرق	مطامع تركيا	مصالح دولية: المانيا	أميركا	فرنسا	ملاحظات
سنة	٥٦،١٦	٤٧،٢	٤٩،٦٦	٥١،٥	٤٥،٦٦	٢٠،٨	١٤،٦	
شيعة	٦١.٨٥	٦٤.١٥	٦٦.٤٥	٦٨،٤	٥٨،٧٥	٧،٧	٨،٥	
دروز	٦٣.٥٦	٥١.٤٣	٥٤،٥	٥٨.١	٥٣.٦٣	٢٧،٤٦	٢٥،٠٦	
النسب العامة	٦٠.٥٢	٥٤.٢٦	٥٦.٨٧	٥٩،٣٣	٥٢،٦٨	١٨.٦٥	١٦،٠٥	

الجدول رقم ٩ وخلاصته يفرضان الاستنتاجات التالية:

١ - عند السنة :

أ - تباين في النظرة بين فئات الأعمار الثلاث وعلى سبيل المثال، فئة ١٨-٣٠ ألقت المسؤولية الأولى على الطائفية، فئة ٣١ - ٤٣ و٤٤ - = المسؤولية الأولى هي تفكك الأرمن.
ب - وفق التنسيب العام عند السنةنصل الى الترتيب التالي:
١)- تفكك الأرمن ٢)- مطامع تركيا ٣)- العرق ٤)- الطائفية ٥)- المانيا ٦)- اميركا ٧)- فرنسا.

٢ - عند الشيعة :

أ - النسب متقاربة.
ب - الترتيب العام هو: ١)- مطامع تركيا ٢)- العرق ٣)- الطائفية ٤)- تفكك الأرمن ٥)- المانيا ٦)- فرنسا ٧)- اميركا.

٣ - عند الدروز:

أ - الفئة الثانية تختلف تماما مع الفئتين الأولى والثالثة.
ب - الترتيب العام هو: ١)- تفكك الأرمن ٢)- مطامع تركيا ٣)- العرق ٤)- المانيا ٥)- الطائفية ٦)- أميركا ٧)- فرنسا.

* ملاحظة: نجد تطابقا شبه تام بين نظرة السنة والدروز في تحديد المسؤوليات والفارق البسيط كان في المرتبتين ٥ و٦: (الطائفية والمانيا).

جدول رقم ١٠ – الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وترتيبها للأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية:

المذهب	العمر	الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية: تفكك الأرمن	الطائفية	العرق	مطامع تركيا	المانيا	مصالح دولية: أميركا	فرنسا	ملاحظات ٪ س. ٤
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٥٣,٢	٦٧,٥	٦٣,٦	٦٤,٩	٥٤,٥	٢٢,١	٢٢,١	
	٣١ ـ ٤٣	٤١,٢	٥٨,٨	٥٢,٩	٤١,٢	٣٥,٣	١٤,٧	١١,٨	
	٤٤==	٦٦,٧	٩٣,٣	٦٦,٧	٨٦,٧	٦٦,٧	٤٦,٧	٤٠	
ارثوذكس	أ ـ =	٥٨,١	٦٠,٥	٥٨,١	٦٧,٤	٤٨,٨	١٨,٦	١١,٦	
	ب ـ =	٦٠	٦٨	٦٠	٥٦	٥٢	٣٢	٢٤	
	ج ـ =	٧٥	٥٠	٥٠	٧٥	٢٥	٥٠	٢٥	
انجيلي	أ ـ =	٤٤,٤	٤٤,٤	٥٥,٥	٥٥,٥	٦٦,٦	٢٢,٢	٢٢,٢	
	ب ـ =	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
	ج ـ =	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	-	-	-	
أرمن ارثوذكس	أ ـ =	٣٤,٢	٤٧	٥٩,٨	٩٦,٦	٦٣,٢	٢٣	٢٤,٨	
	ب ـ =	٥٩,٢	٦٦,٧	٦٢,٩	٩٢,٩	٥٥,٥	٢٥,٩	٢٩,٦	
	ج ـ =	٥٥,٢	٦٨,٩	٦٨,٩	٩٦,٦	٤٨,٣	١٣,٨	٦,٩	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٤٨,٦	٥٤	٧٣	٩٧,٣	٧٥,٧	٢١,٦	٢٧	
	ب ـ =	٨٤,٢	٨٤,٢	٧٨,٩	١٠٠	٩٤,٧	٢١	٢١	
	ج ـ =	٨٠	٧٠	٧٠	١٠٠	٩٠	١٠	٢٠	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٦٠	٤٠	٨٠	٩٨	٨٦	٢٢,٥	١٦,٣	
	ب ـ =	٦٨	٥٠	٧٥,٦	٩٥,٥	٧٦	١٨	١٤	
	ج ـ =	٧٠	٥٦	٧٨	٩٦,٥	٨٠	٣٠	١٨	

خلاصة جدول رقم ١٠

المذهب	الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية: تفكك الأرمن	الطائفية	العرق	مطامع تركيا	مصالح دولية: المانيا	أميركا	فرنسا	ملاحظات
كاثوليك	٥٣.٧	٧٣،٢	٦١،٠٦	٦٤،٢٦	٥٢،١٦	٢٧،٨٣	٢٤،٦٣	٪ س ٤
أرثوذكس	٦٤،٣٦	٥٩،٥	٥٦،٠٣	٦٦،١٣	٤١،٩٣	٣٣،٠٣	٢٠،٠٢	
انجيلي	٨١،٤٦	٨١،٤٦	٨٥،١٦	٨٥،١٦	٥٥،٥٣	٤٠،٧٣	٤٠،٧٣	
أرمن ارثوذكس	٤٩،٠٣	٦٠،٨٦	٦٣،٦	٩٥،٣٦	٥٥،٦٦	٢٠،٠٩	٢٠،٤٣	
أرمن كاثوليك	٧٠،٩٣	٦٩،٤	٧٣،٩٦	٩٩،١	٨٦،٨	١٧،٠٣	٢٢،٦٦	
أرمن انجيلي	٦٦	٤٨،٦٦	٧٧،٨٦	٩٦،٦٦	٨٠،٦٦	٢٣،٥	١٦،١	
النسبة العامة	٦٤،٣٣	٦٥،٠١	٦٩،٦١	٨٤،٤٤	٦٢،١٢	٢٧،٣٣	٢٤،١٢	

كيف جاءت تراتبية الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية، وفق الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، كما وردت في الجدول رقم ١٠؟

المذهب	تراتبية الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية	
كاثوليك:	المرتبة الأولى: الطائفية	٪٧٣،٢
	المرتبة الثانية: مطامع تركيا	٪٦٤،٢٦
	المرتبة الثالثة: الصراع العرقي	٪٦١،٠٦
	المرتبة الرابعة: تفكك الأرمن	٪٥٣،٧
	المرتبة الخامسة: مصالح المانيا	٪٥٢،١٦
	المرتبة السادسة: مصالح أميركا	٪٢٧،٨٣
	المرتبة السابعة: مصالح فرنسا	٪٢٤،٦٣
أرثوذكس:	المرتبة الأولى: مطامع تركيا	٪٦٦،١٣
	المرتبة الثانية: تفكك الأرمن	٪٦٤،٣٦
	المرتبة الثالثة: الطائفية	٪٥٩،٥
	المرتبة الرابعة: العرق	٪٥٦،٠٣
	المرتبة الخامسة: المانيا	٪٤١،٩٣
	المرتبة السادسة: أميركا	٪٣٣،٠٣
	المرتبة السابعة: فرنسا	٪٢٠،٠٢
أرمن أرثوذكس:	المرتبة الأولى: مطامع تركيا	٪٩٥،٣٦
	المرتبة الثانية: الصراع العرقي	٪٦٣،٦
	المرتبة الثالثة: الطائفية	٪٦٠،٨٦
	المرتبة الرابعة: المانيا	٪٥٥،٦٦
	المرتبة الخامسة: تفكك الأرمن	٪٤٩،٠٣
	المرتبة السادسة: فرنسا	٪٢٠،٤٣
	المرتبة السابعة: أميركا	٪٢٠،٠٩
أرمن كاثوليك:	المرتبة الأولى: مطامع تركيا	٪٩٩،١
	المرتبة الثانية: المانيا	٪٨٦،٨
	المرتبة الثالثة: الصراع العرقي	٪٧٣،٩٦
	المرتبة الرابعة: تفكك الأرمن	٪٧٠،٩٣
	المرتبة الخامسة: الطائفية	٪٦٩،٤
	المرتبة السادسة: فرنسا	٪٢٢،٦٦
	المرتبة السابعة: أميركا	٪١٧،٠٣

المذهب	تراتبية الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية	
انجيلي	المرتبة الأولى : مطامع تركيا	٨٥،١٦٪
	المرتبة الأولى : الصراع العرقي	٨٥،١٦٪
	المرتبة الثالثة : الصراع الطائفي	٨١،٤٦٪
	المرتبة الثالثة : تفكك الأرمن	٨١،٤٦٪
	المرتبة الخامسة : المانيا	٥٥،٥٣٪
	المرتبة السادسة : أميركا	٤٠،٧٣٪
	المرتبة السادسة : فرنسا	٤٠،٧٣٪

المذهب	تراتبية الأسباب التي تقف وراء المجازر الأرمنية	
أرمن انجيلي	المرتبة الأولى : مطامع تركيا	٩٦،٦٦٪
	المرتبة الثانية : المانيا	٨٠،٦٦٪
	المرتبة الثالثة : الصراع العرقي	٧٧،٨٦٪
	المرتبة الرابعة : تفكك الأرمن	٦٦٪
	المرتبة الخامسة : الطائفية	٤٨،٦٦٪
	المرتبة السادسة : أميركا	٢٣،٥٪
	المرتبة السابعة : فرنسا	١٦،١٪

هذه التراتبية تضعنا أمام الاستنتاجات التالية:

أ ـ إحتلت تركيا المرتبة الأولى وبامتياز كبير، بلغت نسبته العامة (٨٤,٤٤٪) باستثناء تراتبية الكاثوليك، الذين أعطوا المرتبة الأولى للطائفية والثانية لتركيا، وقد يكون لذلك «أبعاد نفسية» عاشها هؤلاء في منطقة الشرق الأوسط.

ب ـ بعد إجراء عملية التنسيب العام، نحصل على الترتيب الاجمالي والنهائي التالي:

المرتبة الأولى: تركيا ٨٤,٤٤٪ ـ المرتبة الثانية: العرق ٦٩,٦١٪ ـ المرتبة الثالثة: الطائفية ٦٥,٥١٪ ـ المرتبة الرابعة: تفكك الأرمن ٦٤,٣٣٪ ـ المرتبة الخامسة: المانيا ٦٢,١٢٪ ثم المرتبة السادسة: أميركا ٢٧,٣٣٪ ـ وفرنسا المرتبة الأخيرة ٢٤,١٢٪.

ج ـ هناك شبه إجماع أرمني، حول تحميل تركيا المسؤولية المطلقة بنسبة إجمالية بلغت: ٩٧,٠٤٪

د ـ الطائفية وإن لم تكن السبب الرئيس في المجازر الأرمنية، إلاّ أنها لعبت دوراً معيناً كما تشير الأرقام، وقد وظفت بلا شك لخدمة المشروع العنصري ـ الطوراني.

هـ ـ الأرمن الكاثوليك والانجيليون حملوا النمانيا مسؤولية كبيرة، بلغت ٨٣,٧٣٪، وهي بذلك تلامس حدود تلك التي حملوها للأتراك تقريباً، حيث بلغت هذه الأخيرة ٩٧,٨٨٪.

و ـ الأرمن أنفسهم يقرون أن تفكك قياداتهم وضعف وحدتهم الداخلية كانت سبباً مهماً في ضعفهم وبالتالي تحويلهم إلى فريسة سهلة المنال. فبلغت النسبة التي سجلتها الطوائف الأرمنية الثلاث، حول تفكك الأرمن ٦٢,١٥٪.

الطوائف الاسلامية:

جدول رقم ١١: هل ماتت القضية الأرمنية بمرور الزمن؟:

المذهب	العمر	القضية الأرمنية ماتت بمرور الزمن؟			
		نعم	كلا	لا جواب	
سنّة	١٨ ـ ٣٠	٥١	٣١	١٨	٪ س. ٥
	٣١ ـ ٤٣	٧٠	١٨	١٢	
	٤٤ ==	٦٠	٣٠	١٠	
شيعة	=	٢٩,٥	٤٧	٢٣,٥	
	=	٢١,٤	٥٣,٧	٢٤,٩	
	=	-	-	-	
دروز	=	٤٦,١	٣٥,٨	١٨,١	
	=	٢١,٤	٤٣	٣٥,٦	
	=	٦٣,٦	١٨,١٨	١٨,٢٢	

خلاصة جدول رقم ١١:

المذهب	نعم	كلا	لا جواب	٪ س. ٥
سنّة	٦٠,٣٣	٢٦,٣٣	١٣,٣٣	
شيعة	٢٥,٤٥	٥٠,٣٥	٢٤,٢	
دروز	٤٣,٧	٣٢,٣٢	٢٣,٩٧	
المجموع	٤٣,١٦	٣٦,٣٣	٢٠,٥	

في قراءة لهذه الأرقام، نتوقف عند الاستنتاجات التالية:

١ ـ السنّة، سجلوا، أعلى نسبة ٦٠,٣٣٪ في تأكيدهم «موت القضية الأرمنية».

٢ ـ الشيعة، إعتبروا أن القضية الأرمنية لم تمت، وقد يكون لذلك إرتباط وثيق بالحركات الثورية الشيعية في العالم.

٣ ـ الدروز، إلتقوا بالموقف السني لجهة موت القضية الأرمنية.

٤ ـ نسب «لا جواب»، مرتفعة ومردها إلى تجنّب الإحراج في الإجابة.

٥ ـ مجموع الطوائف الإسلامية والدرزية، تعتبر أن القضية الأرمنية ماتت بمرور الزمن.

جدول رقم ١٢ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني ونظرتها إلى موت القضية الأرمنية بمرور الزمن:

المذهب	العمر	هل ماتت القضية الأرمنية بمرور الزمن؟			ملاحظات
		نعم	كلا	لا جواب	
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٣٧,٧	٤٥,٥	١٦,٨	
	٣١ ـ ٤٣	٤٤,١	٤١,١٧	١٤,٧٣	
	٤٤	٤٠	٦٠	ـ	
ارثوذكس	أ ـ =	٣٠,٢	٤٦,٥	٢٣,٣	
	ب ـ =	٥٢	٢٤	٢٤	
	ج ـ =	٥٠	٥٠	ـ	
انجيلي	أ ـ =	٤٤,٤	٥٥,٦	ـ	
	ب ـ =	ـ	١٠٠	ـ	
	ج ـ =	١٠٠	ـ	ـ	
أرمن أرثوذكس	أ ـ =	٦,٨	٩١,٥	١,٧	
	ب ـ =	٣,٧	٩٦,٣	ـ	
	ج ـ =	٣,٥	٩٦,٥	ـ	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	١٨,٩	٧٨,٤	٢,٧	
	ب ـ =	١٠,٥	٨٩,٥	ـ	
	ج ـ =	ـ	١٠٠	ـ	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٥	٩٥	ـ	
	ب ـ =	٨,٥	٨٨,٥	٣	
	ج ـ =	٦,٥	٩٣,٥	ـ	٪

خلاصة جدول رقم ١٢ :

المذهب	نعم	كلا	لا جواب	ملاحظات ٪ س. ٥
كاثوليك	٤٠,٦	٤٨,٨٩	١٠,٥١	
ارثوذكس	٤٤,٠٦	٣٢,٨٣	٢٣,١١	
انجيلي	٤٨,١٣	٥١,٨٦	-	
أرمن ارثوذكس	٤,٦٦	٩٤,٣	١,٠٤	
أرمن كاثوليك	٩,٨	٨٩,٣	٠,٩	
أرمن انجيلي	٦,٦٦	٩٢,٣٣	١	
المجموع	٢٥,٦٥	٦٨,٢٥	٦,٠٩	

حول الجدول رقم ١٢ ـ وخلاصته، نسجِّل الاستنتاجات التالية:

١ ـ الكاثوليك:

أ ـ النسبة العامة تعتبر أن القضية الأرمنية لم تمت ولكنها نسبة ضئيلة: ٤٨,٨٩٪ يوازيها ٤٠,٦٪ قالوا إن القضية ماتت. وهذا ما يترك الكثير من علامات الاستفهام.

ب ـ نسجِّل في هذا السياق، ان الفئة الثانية بين الكاثوليك (أي بين عمر ٣١ ـ ٤٣)، قالت بموت القضية الأرمنية.

ج ـ ١٠,٥١٪ لا جواب.

٢ ـ ارثوذكس:

أ ـ المفاجأة الكبرى هنا، أن الأكثرية الارثوذكسية قالت بموت القضية الأرمنية وقد بلغت ٤٤,٠٦٪، بمقابل ٣٢,٨٣٪ قالوا «لم تمت» و ١٥,٧٦٪ لا جواب.

ب ـ وحدها فئة الشباب الأرثوذكس، قالت ان القضية الأرمنية لم تمت، بنسبة ٤٦,٥٪، غير أن فئة الشيوخ الارثوذكس فقد أعطوا مواقفهم مناصفة ٥٠٪ نعم، ٥٠٪ كلا. والذي

رجَّح الموقف الارثوذكسي هي فئة متوسطي العمر الذين قالوا ٥٢٪ نعم ماتت و ٢٤٪ لم تمت، و ٢٤٪ لا جواب.

٣ ـ انجيلي:

أ ـ الأكثرية ٥١,٨٦٪ قالت بأن القضية الأرمنية لم تمت و ٤٨,١٣٪ قالوا بأنها ماتت.

ب ـ فئة الشيوخ في الطائفة الانجيلية أجمعت بنسبة ١٠٠٪ أن القضية الأرمنية قد ماتت، والذي عاد فعدَّل هذه النسبة هو موقف متوسطي العمر الذين أجمعوا وخلافاً لذلك بنسبة ١٠٠٪ بأن القضية الأرمنية لم تمت.

٤ ـ أرمن ارثوذكس:

أ ـ إجماع شبه مطلق بنسبة ٩٤,٣٪ يؤكد أن القضية الأرمنية لم تمت وهي قائمة وفاعلة وستبقى.

ب ـ ٤,٦٦٪ فقط قالوا بأنها ماتت. و ٠,٥٦٪ لا جواب.

ج ـ الأرمن الارثوذكس، خصوصاً في فئتي متوسطي العمر والشيوخ، أعطوا نسباً إيجابية أعلى من التي سجلها الشباب الارثوذكسي الأرمني، ولو بفارق صغير لم يتجاوز ٥٪.

٥ ـ أرمن كاثوليك:

أ ـ ٨٩,٣٪ من الأرمن الكاثوليك، أكدوا أن القضية الأرمنية لم تمت. لكننا نلاحظ نسبة أكبر في صفوفهم بالمقارنة مع الطوائف الأرمنية الأخرى، بلغت ٩,٨٪ وأعطت موقفاً متشائماً.

ب ـ إجماع ١٠٠٪ في صفوف المسنين الأرمن الكاثوليك، أكدوا إستمرارية القضية الأرمنية وديمومتها.

٦ ـ أرمن انجيلي:

أ ـ أجمعت الفئات الثلاث وبنسبة عامة بلغت ٩٢,٣٣٪ أن القضية الأرمنية لم تمت بمرور الزمن وهي النسبة الثانية بعد الأرمن ارثوذكس. أما النسبة الإجمالية للطوائف الأرمنية فبلغت ٩١,٩٧٪.

ب ـ فئة الوسط بين الانجيليين، كانت أكثر تشاؤماً بالنسبة لموت القضية الأرمنية.

أما النسب الإجمالية التي أعطتها الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، بالمقارنة مع تلك التي سجلتها الطوائف الإسلامية والدرزية اللبنانية، نلخصها في الجدول التالي:

هل ماتت القضية الأرمنية؟	الطوائف الإسلامية والدرزية	الطوائف المسيحية جميعها	النسب العامة
نعم	٤٣,١٦٪	٢٥,٦٥٪	٣٤,٤٠٪
كلا	٣٦,٣٣٪	٦٨,٢٥٪	٥٢,٢٩٪
لا جواب	٢٠,٥٪	٦,٠٩٪	١٣,٢٩٪

حول هذا الجدول المقارنة، نسجِّل الملاحظات التالية:

١ ـ النسب متباينة كثيراً بين الطوائف الإسلامية والدرزية من جهة، وبين الطوائف المسيحية. وهذا التباين كان سلباً عند المسلمين وإيجاباً عند المسيحيين.

٢ ـ أما معدل النسب التي أعطتها كلُّ الطوائف من مسيحية وإسلامية ودرزية فقد سجلت موقفاً إيجابياً لجهة عدم موت القضية الأرمنية، بلغت نسبته ٥٢,٢٩٪، مقابل ٣٤,٤٠٪ للموقف السلبي، يضاف إليه نسبة ١٣,٢٩، إمتنعوا عن الإجابة.

جدول رقم ١٣ ـ الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان:
والأخطار المستقبلية للقضية الأرمنية:

المذهب	العمر	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات
		محلية	اقليمية	دولية			
السنّة	أ/١٨/٣٠	١٦	١٤,٣	٩,٨	١٨	١١,٤	
	ب٣١/٤٣	١٢	٥,٨	صفر	صفر	٥,٩	
	ج/٤٤	١٠	١٠	١٠	صفر	١٠	
الشيعة	أ ـ =	٣٠	١٧	١١,٥	٢٩,٥	٣٠	
	ب ـ =	٢٨,٦	٢١,٤	٤	٢٥	٥٠	
	ج ـ =	صفر	صفر	صفر	صفر	٥٠	
الدروز	أ ـ =	١٥,٢	١٧,٩	٥,١	٢٨,٢	١٢,٨	
	ب ـ =	٢١,٥	٢٢	٢٨,٦	٢١,٤	٧,٢	
	ج ـ =	١٨,١٨	٩,١	صفر	٢٧,٣	٩,١	

* ملاحظة: النسب المأخوذة في الجدول رقم ١٣ هي على أساس نِسَبْ الذين أجابوا «كلا» في الجدول رقم ١٢.

خلاصة الجدول رقم ١٣:

المذهب	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات
	محلية	اقليمية	دولية			
السنّة	١٢,٦٦	١٠,٠٣	٩,٩	١٨	٩,١	
الشيعة	٢٩,٠٣	١٩,٢	٧,٧٥	٢٧,٢٥	٤٣,٣٣	٪ س. ٦
الدروز	١٨,٢٩	١٦,٣٣	١٦,٨٥	٢٥,٦٣	٩,٧	
المجموع	١٩,٩٩	١٥,١٨	١١,٥	٢٣,٦٢	٢٠,٧١	

٦ ـ **أرمن انجيلي:**

أ ـ أجمعت الفئات الثلاث وبنسبة عامة بلغت ٩٢,٣٣٪ أن القضية الأرمنية لم تمت بمرور الزمن وهي النسبة الثانية بعد الأرمن ارثوذكس. أما النسبة الإجمالية للطوائف الأرمنية فبلغت ٩١,٩٧٪.

ب ـ فئة الوسط بين الانجيليين، كانت أكثر تشاؤماً بالنسبة لموت القضية الأرمنية.

أما النسب الإجمالية التي أعطتها الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، بالمقارنة مع تلك التي سجلتها الطوائف الإسلامية والدرزية اللبنانية، نلخصها في الجدول التالي:

هل ماتت القضية الأرمنية؟	الطوائف الإسلامية والدرزية	الطوائف المسيحية جميعها	النسب العامة
نعم	٤٣,١٦٪	٢٥,٦٥٪	٣٤,٤٠٪
كلا	٣٦,٣٣٪	٦٨,٢٥٪	٥٢,٢٩٪
لا جواب	٢٠,٥٪	٦,٠٩٪	١٣,٢٩٪

حول هذا الجدول المقارنة، نسجِّل الملاحظات التالية:

١ ـ النسب متباينة كثيراً بين الطوائف الإسلامية والدرزية من جهة، وبين الطوائف المسيحية. وهذا التباين كان سلباً عند المسلمين وإيجاباً عند المسيحيين.

٢ ـ أما معدل النسب التي أعطتها كلُّ الطوائف من مسيحية وإسلامية ودرزية فقد سجلت موقفاً إيجابياً لجهة عدم موت القضية الأرمنية، بلغت نسبته ٥٢,٢٩٪، مقابل ٣٤,٤٠٪ للموقف السلبي، يضاف إليه نسبة ١٣,٢٩، إمتنعوا عن الإجابة.

جدول رقم ١٣ ـ الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان:
والأخطار المستقبلية للقضية الأرمنية:

المذهب	العمر	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات
		محلية	اقليمية	دولية			
السنّة	أ/١٨/٣٠	١٦	١٤,٣	٩,٨	١٨	١١,٤	
	ب٣١/٤٣	١٢	٥,٨	صفر	صفر	٥,٩	
	ج/٤٤	١٠	١٠	١٠	صفر	١٠	
الشيعة	أ ـ =	٣٠	١٧	١١,٥	٢٩,٥	٣٠	
	ب ـ =	٢٨,٦	٢١,٤	٤	٢٥	٥٠	
	ج ـ =	صفر	صفر	صفر	صفر	٥٠	
الدروز	أ ـ =	١٥,٢	١٧,٩	٥,١	٢٨,٢	١٢,٨	
	ب ـ =	٢١,٥	٢٢	٢٨,٦	٢١,٤	٧,٢	
	ج ـ =	١٨,١٨	٩,١	صفر	٢٧,٣	٩,١	

* ملاحظة: النسب المأخوذة في الجدول رقم ١٣ هي على أساس نِسَبْ الذين أجابوا «كلا» في الجدول رقم ١٢.

خلاصة الجدول رقم ١٣:

المذهب	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات
	محلية	اقليمية	دولية			
السنّة	١٢,٦٦	١٠,٠٣	٩,٩	١٨	٩,١	
الشيعة	٢٩,٠٣	١٩,٢	٧,٧٥	٢٧,٢٥	٤٣,٣٣	٪ س. ٦
الدروز	١٨,٢٩	١٦,٣٣	١٦,٨٥	٢٥,٦٣	٩,٧	
المجموع	١٩,٩٩	١٥,١٨	١١,٥	٢٣,٦٢	٢٠,٧١	

أهم الاستنتاجات التي تفرضها الأرقام في الجدول رقم ١٣ وخلاصته هي:

١ ـ القضية الأرمنية لا تخفي أخطاراً مستقبلية ذات أهمية، بالنسبة للطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان بشكل عام.
٢ ـ الشيعة وحدهم، سجلوا نسبة مرتفعة لجهة ما قد تفرزه القضية الأرمنية من أعمال إرهابية أو فدائية.
٣ ـ النسبة التي حددها الشباب السنَّة والشيعة أعلى من التي حددها الشباب الدروز.

جدول رقم ١٤ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني والاخطار المستقبلية للقضية الأرمنية:

المذهب	العمر	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات ٪ س. ٦
		محلية	إقليمية	دولية			
كاثوليك	أ ـ ١٨ ـ ٣٠	٢٠,٨	١٩,٥	٩,١	٣١,٢	١٥,٦	
	ب ـ ٣١ ـ ٤٣	٨,٨	١٧,٦	٢٠,٦	٢٠,٦	٢٠,٦	
	ج ـ ٤٤	٢٠	٤٦,٧	٢٠	٢٦,٧	٤٠	
أرثوذكس	أ ـ =	٢٨	١٦,٢	١١,٦	٣٧,٢	٢٥,٦	
	ب ـ =	-	٤	٨	٢٨	١٦	
	ج ـ =	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٧٥	
انجيلي	أ ـ =	٢٢,٢	٢٢,٢	-	٢٢,٢	-	
	ب ـ =	١٠٠	١٠٠	-	-	١٠٠	
	ج ـ =	-	-	-	-	-	
أرمن أرثوذكس	أ ـ =	١٩,٧	٤١	٢٤,٨	٧٤,٣	٢٢,٢	
	ب ـ =	١٤,٨	٢٩,٦	٢٢,٢	٦٦,٧	١٨,٥	
	ج ـ =	٦,٩	٦,٩	٢٠,٧	٨٢,٨	٣٤,٥	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٢٩,٧	٤٨,٦	١٩	٤٦	٣٥	
	ب ـ =	٦٨,٤	٦٨,٤	٥٢,٦	٥٢,٦	٦٣,٢	
	ج ـ =	٥٠	٨٠	٣٠	٧٠	٤٠	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٣٥	٤٦	١٤	٦٣,٢	٥٥	
	ب ـ =	٤٣	٥٥	١٦	٥٨,٦	٤٦,٦	
	ج ـ =	١٠	٦٠	١٠	٤٨,٣	٦١,٢	

* النسب المأخوذة في هذا الجدول هي من نسب الذين أجابوا بـ «كلا» في الجدول رقم ١٢.

خلاصة الجدول رقم ١٤ :

المذهب	اضطرابات عسكرية نظامية			توترات سياسية	عمليات إرهابية	ملاحظات
	محلية	اقليمية	دولية			٪ س. ٦
كاثوليك	١٦,٥٣	٢٧,٩٣	١٦,٥٦	٢٦,١٦	٢٥,٤	
ارثوذكس	١٧,٦٦	١٥,٠٦	١٤,٨٦	٣٠,٠٦	٣٨,٨٦	
انجيلي	٤٠,٧٣	٤٠,٧٣	-	٧,٤	٣٣,٣٣	
أرمن ارثوذكس	١٣,٨	٢٥,٨٣	٢٢,٥٦	٧٤,٦	٢٥,٠٦	
أرمن كاثوليك	٤٩,٣٦	٦٥,٦٦	٣٣,٨٦	٥٦,٢	٤٦,٠٦	
أرمن انجيلي	٢٩,٣٣	٥٣,٦٦	١٣,٣٣	٥٦,٧	٥٤,٢٦	
المجموع	٢٧,٩٠	٣٨,١٤	١٦,٨٦	٤١,٨٥	٣٧,١٦	

وهكذا نجد أن الأخطار التي قد تسببها القضية الأرمنية، مستقبلاً بنظر الطوائف المسيحية، هي على التوالي: توتر سياسي ٤١,٨٥٪، اضطراب اقليمي ٣٨,١٤٪، عمليات إرهابية ٣٧,١٦٪، ثم اضطرابات محلية ٢٧,٩٠٪ والاحتمال الأخير كان حدوث اضطرابات دولية ١٦,٨٦٪.

جدول رقم ١٥ ـ الطوائف الاسلامية والدرزية في لبنان ونظرتهم إلى المقاومة الأرمنية: إستمراريتها ودورها:

المذهب	العمر	هل المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة وفاعلة؟			كيف أدّت دورها؟ على أساس النسبة التي أجابت بـ «نعم»					
		نعم	كلا	لا جواب	ممتاز	جيد	مقبول	سيء	مضر	لا جواب
السنّة	١٨ ـ ٣٠	٣٣	٤١	٢٦	١,٧	٥	٢١,٣	٢٣	٥	٤٤
	٣١ ـ ٤٣	١١,٧	٧٠,٥	١٧,٨	-	-	٢٩,٤	٣٥	-	٣٥,٦
	٤٤ ==	٣٠	٦٠	١٠	-	٢٠	٣٠	١٠	-	٤٠
الشيعة	أ ـ =	٤٥	٢٨	٢٧	-	١١,٥	٣٧	١٣	١,٣	٣٧,٢
	ب ـ =	٥٠	٢٥	٢٥	-	-	٦٠,٧	٨	٤	٢٧,٣
	ج ـ =	١٠٠	-	-	٥٠	٥٠	-	-	-	-
الدروز	أ ـ =	٤١	٣٠,٧	٢٨,٣	-	٧,٦	٤٣,٥	٧,٦	٥,١	٣٦,٢
	ب ـ =	٥٠	١٤,٥	٣٥,٥	-	٧	٣٦	٢١	-	٣٦
	ج ـ =	٦٣,٦	١٨,١	١٨,٣	-	٩,١	٤٥,٥	١٨,١	-	٢٧,٣

خلاصة الجدول رقم ١٥:

المذهب	هل المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة وفاعلة؟			كيف أدت دورها؟					
	نعم	كلا	لا جواب	ممتاز	جيد	مقبول	سيء	مضر	لا جواب
السنّة	٢٤,٩	٥٧,١٦	١٧,٩	٠,٥٦	٨,٣٣	٢٦,٩	٢٢,٦٦	١,٦٦	٣٩,٨٦
الشيعة	٦٥	١٧,٦٦	١٧,٣٣	١٦,٦٦	٢٠,٥	٣٢,٥٦	٧	١,٧٦	٢١,٥٢
الدروز	٥١,٥٣	٢١,١	٢٧,٣٦	-	٧,٩	٤١,٦٦	١٥,٥٦	١,٧	٣٣,١٦
المجموع	٤٧,١٤	٣١,٩٧	٢٠,٨٦	٥,٧٤	١٢,٢٤	٣٣,٧٠	١٥,٠٧	١,٧٠	٣١,٥٥

في تحليل الجدول رقم ١٥ ، نتوقف عند الإستنتاجات التالية :

١ ـ بنظر السنَّة في لبنان، المقاومة الأرمنية ماتت.

٢ ـ بنظر الشيعة في لبنان، المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة وفاعلة بنسبة جيدة.

٣ ـ بنظر الدروز في لبنان، المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة وفاعلة بنسبة مقبولة.

٤ ـ الفئتان الثانية والثالثة من أعمار الشيعة والدروز سجلتا أعلى نسبة إيجابية لصالح المقاومة الأرمنية.

٥ ـ النسبة الأعلى ومن الطوائف الثلاث كانت بدرجة «مقبول» لدور المقاومة الأرمنية.

جدول رقم ١٦ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية الأرمنية ونظرتها إلى المقاومة الأرمنية ـ إستمراريتها ودورها :

المذهب	العمر	هل المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة؟			كيف أدّت دورها؟						ملاحظات
		نعم	كلا	لا جواب	ممتاز	جيد	مقبول	سيء	مضر	لا جواب	٪ س. ٧
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٥١,٩	٢٥,٩	٢٢,٢	٢,٦	١٩,٥	٣٥	١٣	١,٣	٢٨,٦	
	٣١ ـ ٤٣	٤٤,١	٣٥,٣	٢٠,٦	٥,٩	٢,٩	٤٤,١	٨,٨	-	٣٨,٣	
	٤٤ ==	٦٦,٧	٣٣,٣	-	١٣,٣	٦,٦	٤٠	٢٦,٧	-	١٣,٤	
أرثوذكس	أ ـ =	٤٦,٥	٣٠,٢	٢٣,٣	٢,٣	٢٠,٩	٣٢,٦	٩,٣	-	٣٤,٩	
	ب ـ =	٢٨	٥٦	١٦	-	٨	٣٦	٢٠	٤	٣٢	
	ج ـ =	٥٠	٥٠	-	-	-	٧٥	-	-	٢٥	
انجيلي	أ ـ =	٦٦,٦	٣٣,٣	٠,١	-	٣٣,٣	٤٤,٤	١١,١	-	١١,٢	
	ب ـ =	١٠٠	-	-	-	-	١٠٠	-	-	-	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	-	١٠٠	-	-	-	-	
أرمن أرثوذكس	أ ـ =	٩٢,٣	٦	١,٧	١٩,٧	٤٧	٣٠	٢	-	١,٣	
	ب ـ =	٧٧,٨	١٨,٥	٣,٧	١٨,٥	٣٣,٣	٣٧	-	-	١١,٢	
	ج ـ =	٩٣,١	٣,٥	٣,٤	٤٤,٨	١٧,٢	٣١	٣,٥	-	٣,٥	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٧٠,٣	٢٨,٧	١	١٦,٢	٢٧	٥١,٣	٥,٤	-	٠,٠١	
	ب ـ =	٥٧,٩	٤٢,١	-	١٠,٥	١٥,٨	٣٧,٧	-	-	-	
	ج ـ =	٩٠	١٠	-	١٠	٣٠	٦٠	-	-	-	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٧٢,٨	١٨	٩,٢	١٥	٤٠	٤٥	-	-	-	
	ب ـ =	٨٠	١٦	٤	١٢	٤٥	٤٣	-	-	-	
	ج ـ =	٩٢	٨	-	١٦	٥٠	٣٤	-	-	-	

خلاصة الجدول رقم ١٦ :

المذهب	المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة؟			كيف أدّت المقاومة دورها؟						
	نعم	كلا	لا جواب	ممتاز	جيد	مقبول	سيء	مضر	لا جواب	ملاحظات ٪ س. ٧
كاثوليك	٥٤,٢٣	٣١,٥	١٤,٢٧	٧,٢٦	٩,٦٦	٣٩,٧	١٦,١٦	٠,٤٣	٢٦,٧٩	
أرثوذكس	٤١,٥	٤٥,٤	١٣,١	٠,٧٦	٩,٦٣	٤٧,٨٦	٩,٧٦	١,٣٣	٣٠,٦٦	
انجيلي	٨٨,٨٦	١١,١	٠,٠٣	-	٤٤,٤٣	٤٨,١٣	٣,٧	-	٣,٧٣	
أرمن أرثوذكس	٨٧,٧٣	٩,٣٣	٢,٩٤	٢٧,٦٦	٣٢,٥	٣٢,٦٦	١,٨٣	-	٥,٣٣	
أرمن كاثوليك	٧٢,٧٣	٢٦,٩٣	٠,٣٤	١٢,٢٣	٢٤,٢٦	٦١,٦٦	١,٨	-	-	
أرمن انجيلي	٨١,٦	١٤	٤,٤	١٤,٣٣	٤٥	٤٠,٦٦	-	-	-	
المجموع	٧١,١٠	٢٣,٠٤	٥,٨٤	١٠,٣٧	٢٧,٥٨	٤٥,١١	٥,٥٤	٠,٢٩	١١,٠٨	

كيف تنظر الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، إلى المقاومة الأرمنية: في إستمراريتها ودورها؟ هل هذه المقاومة لا تزال قائمة؟ وهل أدّت دورها بشكل ايجابي أم سلبي؟!

من تحليل النسب الواردة في الجدول رقم «١٦» وخلاصته، تبرز أمامنا الاستنتاجات التالية:

١ ـ أجمعت كل الطوائف الواردة في الجدول «١٦»، أن المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة وبنسبة إجمالية بلغت: ١٠,٧١٪.

٢ ـ أما الدور الذي أدّته المقاومة الأرمنية فقد حاز على التقييم التراتبي التالي: مقبول: ٤٥,١١٪، جيِّد: ٢٧,٥٨٪، ممتاز: ١٠,٣٧٪، سيء: ٥,٥٤٪، مضر: ٠,٢٩٪ أما الذين تمنعوا عن الإجابة بلغت نسبتهم ١١,٠٨٪.

٣ ـ أعلى النسب الإيجابية سجلتها على التوالي: الطائفة الإنجيلية ثم طائفة الأرمن ارثوذكس.

٤ ـ المستجوبون من الارثوذكس اللبنانيين، إعتبروا أن القضية الأرمنية ماتت بمرور الزمن وذلك بنسبة ٤٥,٤٪ مقابل ٤١,٥٪ للذين قالوا لم تمت.

٥ ـ بالمقارنة مع النسب التي سجلتها الطوائف الإسلامية والدرزية، نخلص إلى الجدول التالي:

الطوائف	المقاومة الأرمنية لا تزال قائمة			دور المقاومة الأرمنية						
	نعم	كلا	لا جواب	ممتاز	جيد	مقبول	سيء	مضر	لا جواب	ملاحظات
المسيحيون	٧١،١٠	٢٣،٠٤	٥،٨٤	١٠،٣٧	٢٧،٥٨	٤٥،١١	٥،٥٤	٠،٢٩	١١،٠٨	٪
المسلمون والدروز	٤٧،١٤	٣١،٩٧	٢٠،٨٦	٥،٧٤	١٢،٢٤	٣٣،٧٠	١٥،٠٧	١،٧٠	٣١،٥٥	
المعدل العام٪	٥٩،١٢	٢٧،٥٠	١٣،٣٥	٨،٠٥	١٩،٩١	٣٩،٤٠	١٠،٣٠	٠،٩٩	٢١،٣١	

هذه النسب تضعنا أمام الملاحظات التالية:

أ ـ المعدل العام للنسب جاء لصالح المقاومة الأرمنية وإن كان هذا المعدل نسبياً ضئيلاً، ٥٩,١٢٪ (نعم المقاومة لا تزال قائمة).

ب ـ أما لجهة دور المقاومة، فقد تركت هذه النسب الكثير من علامات الاستفهام، حيث سجلت(ممتاز + جيد = ٢٧,٩٦٪ فقط) و (مقبول = ٣٩,٤٠٪). أما الذين إعتبروا دورها سيئاً ومضراً (١١,٢٩٪)، وهي نسبة غير قليلة، خصوصاً اذا ما قيست بنسبة «لا جواب» ٢١,٣١٪.

ج ـ النسبة الإيجابية التي سجلها المسيحيون تفوق تلك التي سجلها المسلمون بفارق ٢٣,٩٦٪.

جدول رقم ١٧ ـ الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان وأسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية بالأولوية:

أسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية

المذهب	العمر	تهدد مصالحه	لا تنفعه	تهدد السلام	شعبها من الأقليات	ملاحظات ٪ س. ٨
السنّة	١٨ ـ ٣٠	٤٤	٥٣	٣٧,٧	٥٧,٣	
	٣١ ـ ٤٣	٥٩	٦٥	٥٨,٨	٧٦,٥	
	٤٤	٣٠	٢٠	١٠	٧٠	
الشيعة	أ ـ =	٥٨	٦٤	٦٠	٦٤	
	ب ـ =	٦٤,٣	٦٧,٩	٦٠,٧	٦٤	
	ج ـ =	٥٠	٥٠	صفر	صفر	
الدروز	أ ـ =	٦١,٥	٧١,٧	٦٦,٦	٧١,٧	
	ب ـ =	٣٦	٣٥,٧	٢٨,٦	٥٧,١	
	ج ـ=	٦٣,٦	٧٢,٧	٥٤,٥	٧٢,٧	

خلاصة الجدول رقم ١٧ :

المذهب	تهدد مصالحه	لا تعود عليه بالنفع	تهدد السلام	شعبها من الأقليات	ملاحظات ٪ س. ٨
السنَّة	٤٤,٣٣	٤٦	٣٥,٥	٦٧,٩٣	
الشيعة	٥٧,٤٣	٦٠,٦٣	٤٠,٢٣	٤٢,٦٦	
الدروز	٥٣,٧	٦٠,٠٣	٤٩,٩	٦٧,١٦	
المجموع	٥١,٨١	٥٥,٥٥	٤١,٨٧	٥٩,٢٥	

أما لماذا يهمل العالم القضية الأرمنية؟ فقد أجابت الطوائف الإسلامية والدرزية كما يلي:

أ ـ لأن الشعب الأرمني من الأقليات بنسبة عامة ٥٩,٢٥٪، ثم ٥٥,٥٥٪ لأنها لا تعود عليه بالنفع، ثالثاً: ٥١,٨١٪ تهدد مصالحه وأخيراً ٤١,٨٧٪ تهدد السلام الإقليمي والعالمي.

ب ـ لأن الأرمن من الأقليات، تقول الطوائف:

ـ ـ السنَّة (٦٧,٩٣٪) ـ الدروز (٦٧,١٦) والشيعة (٤٢,٦٦٪).

ج ـ لا تعود عليه بالنفع (المصالح بكل أبعادها):

ـ الشيعة (٦٠,٦٣٪) ـ الدروز (٦٠,٠٣٪)، والسنَّة (٤٦٪).

جدول رقم ١٨ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وأسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية حسب الأولوية:

المذهب	العمر	أسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية				ملاحظات
		تهدد مصالحه	لا تعود عليه بالنفع	تهدد السلام	شعبها من الأقليات	٪ س. ٨
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٥٨,٤	٦٨,٨	٦١	٦٧,٥	
	٣١ ـ ٤٣	٤٤,١١	٥٠	٤٤,١١	٥٢,٩	
	٤٤	٧٣,٣	٨٠	٦٦,٧	٧٣,٣	
ارثوذكس	أ ـ =	٥٨,١	٦٩,٨	٥٣,٥	٦٩,٨	
	ب ـ =	٥٦	٧٢	٥٦	٦٤	
	ج ـ =	٥٠	٧٥	٥٠	٧٥	
انجيلي	أ ـ =	٦٦,٦	٥٥,٥	٦٦,٦	٨٨,٨	
	ب ـ =	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
	ج ـ =	-	-	-	-	
أرمن ارثوذكس	أ ـ =	٧٥,٢	٧٦	٧٠,٩	٧٩,٥	
	ب ـ =	٦٣	٧٤,١	٥١,٩	٦٣	
	ج ـ =	٧٩,٣	٤١,٤	٢٤,١	٣٧,٩	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٨٣,٨	٨١,١	٧٥,٧	٩٤,٦	
	ب ـ =	٩٤,٧	٨٩,٥	٩٤,٧	٩٤,٧	
	ج ـ =	٧٠	٩٠	٦٠	٩٠	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٧٦,٨	٨٥	٥٠	٨٨	
	ب ـ =	٨٥	٩٠	٦٢	٨٣	
	ج ـ =	٨٨	٨٢,٤	٥٦,٦	٧٩,٣	

خلاصة الجدول رقم ١٨

المذهب	تهدد مصالحه	لا تعود عليه بالنفع	تهدد السلام	شعبها من الأقليات	ملاحظات ٪ س. ٨
كاثوليك	٥٨,٦٠	٦٦,٢٦	٥٧,٢٧	٦٤,٥٦	
ارثوذكس	٥٤,٧	٧٢,٢٦	٥٣,١٦	٩٦,٦	
انجيلي	٥٥,٥٣	٥١,٨٣	٥٥,٥٣	٦٢,٩٣	
أرمن ارثوذكس	٧٢,٥	٦٣,٨٣	٤٨,٩٦	٦٠,١٣	
أرمن كاثوليك	٨٢,٨٣	٨٦,٨٦	٧٦,٨	٩٣,١	
أرمن انجيلي	٨٣,٢٦	٨٥,٨	٥٦,٢	٨٣,٤٣	
المجموع	٦٧,٩٠	٧١,١٤	٥٧,٩٨	٧٢,٢٩	

كيف حددت الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، أسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية؟ وما هي التراتبية التي يمكن إستخلاصها؟

١ ـ المرتبة الأولى، «لأن شعبها من الأقليات» بنسبة ٧٢,٢٩٪

المرتبة الثانية، «لأنها لا تعود عليه بالنفع» بنسبة ٧١,١٤٪

المرتبة الثالثة، «تهدد مصالحه» بنسبة ٦٧,٩٠٪

المرتبة الرابعة، «تهدد السلام» بنسبة ٥٧,٩٨٪

إذاً مشكلة الأقليات؛ إحتلت المرتبة الأولى في نطاق إهمال العالم للقضية الأرمنية. وبطبيعة الحال واقع الأقليات مرتبط بمعادلة الأقوى والأضعف.

٢ ـ بالمقارنة مع ما قالته الطوائف الإسلامية والدرزية، ماذا نجد؟

أسباب إهمال العالم للقضية الأرمنية

الطـــــوائـــــف	تهـــــــدد مصالحه	لا تنفعه	تهـــــــدد السلام	شعبهـا مـن الأقليات
المسيحيون	٦٧,٩٠	٧١,١٤	٥٧,٩٨	٧٢,٢٩
المسلمون والدروز	٥١,٨١	٥٥,٥٥	٤١,٨٧	٥٩,٢٠
معدل النسب العام	٥٩,٨٥	٦٣,٣٤	٤٩,٩٢	٦٥,٧٤

أ ـ أجمعت كل الطوائف من مسيحيين ومسلمين ودروز، على أن السبب الأول في إهمال العالم وتجاهله للقضية الأرمنية، يعود إلى كون شعبها من الأقليات. وقد سجلت نسبة عامة مقدارها ٦٥,٧٤٪

ب ـ حتى في تحديد هذه الأسباب، نجد الفارق كبيراً بين النسب التي سجلها المسيحيون وتلك التي سجلها المسلمون والدروز.

ج ـ من كل ما تقدم، نؤكد إرتباط السياسة إرتباطاً وثيقاً بمصالح الدول الكبرى، سواء كانت مصالح معنوية أم مادية. ومن هنا تبقى مصائر الأقليات والدول الصغرى، رهينة هذه المعادلة القائمة على أساس الكسب والنفع!

جدول رقم ١٩ ـ الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان وإمكانية الحل للقضية الأرمنية مستقبلاً وكيفية ذلك:

المذهب	العمر	هل هناك حل للقضية الأرمنية؟			إذا نعم ما هي الوسائل المعتمدة بالأولوية؟					ملاحظات
		نعم	كلا	لا جواب	حرب نظامية	قوات دولية	مقاومة ذاتية	منظمات دولية	وسائل دبلوماسية	سؤال رقم ٩ الاستمارة ٪
السنّة	١٨ ـ ٣٠	٣٦	٣٩,٣	٢٤,٧	١٦,٣	١٦	٢٣	٢٢,٩	٢٨	
	٣١ ـ ٤٣	١١,٧	٧٦,٥	١١,٨	٥,٨	٦	٥,٩	٥,٧	١٢	
	٤٤ ==	١٠	٦٠	٣٠	ـ	١٠	٢٠	٢٠	٢٠	
الشيعة	أ ـ =	٣٨	٣٦	٢٦	٢٢	٢٣	٣٦	٣٢	٣٣	
	ب ـ =	٣٢	٤٣	٢٥	٤	١٧,٩	٢٥	٢١,٤	٢٥	
	ج ـ =	٥٠	٥٠	ـ	ـ	ـ	٥٠	ـ	ـ	
الدروز	أ ـ =	٤٨,٧	٣٠,٧	٢٠,٦	٣٠,٧	٢٨,٢	٣٠,٧	٣٨,٤	٤١	
	ب ـ =	٥٠	١٤,٥	٣٥,٥	٢٨,٦	٢٨	٣٥,٧	٣٥,٧	٥٠	
	ج ـ =	٣٦,٤	٤٥,٥	١٨,١	١٨,١	١٨,١	٣٦,٣	٢٧,٣	٢٧,٣	

خلاصة الجدول رقم ١٩:

المذهب	هل هناك حل للقضية الأرمنية؟			اذا نعم ما هي الوسائل المعتمدة بالأولوية؟					ملاحظات
	نعم	كلا	لا جواب	حرب نظامية	قوات دولية	مقاومة ذاتية	منظمات دولية	وسائل دبلوماسية	٪ س. ٩
السنّة	١٩,٢٣	٥٨,٦	٢٢,١٦	٧,٣٦	١٠,٦٦	١٦,٣	١٦,٢	٢٠	
الشيعة	٤٠	٤٣	١٧	٨,٦٦	١٣,٦٣	٣٧	١٧,٨	١٩,٣٣	
الدروز	٤٥,٠٣	٣٠,٢٣	٢٤,٧٣	٢٥,٨	٢٤,٧٦	٣٤,٢٣	٣٣,٨	٣٩,٤٣	
المجموع ٪	٣٤,٧٥	٤٣,٩٤	٢١,٢٩	١٣,٩٤	١٦,٣٥	٢٩,١٧	٢٢,٦	٢٦,٢٥	

في دراسة الجدول رقم ١٩ وخلاصته، نتوقف عند النتائج التالية:

١ ـ السنَّة:

أ ـ في فئات أعمارهم الثلاث، تأتي غالبية السنَّة لتؤكد أن لا حلاً مستقبلياً للقضية الأرمنية وذلك بنسبة إجمالية ٥٨,٦٪

ب ـ السنَّة الذين قالوا نعم سجلوا نسبة ١٩,٢٣٪ والذين إمتنعوا عن الجواب ٢٢,١٦٪

ج ـ الفئتان ب و ج سجلتا أعلى نسبة ٧٦,٥٪ و ٦٠٪ في إعتبارهما أن لا حل للقضية الأرمنية، ليس فقط بين السنَّة، بل في مقابلة الشيعة والدروز أيضاً.

د ـ أما الذين أجابوا «بنعم» فقد أعطوا «الوسائل الدبلوماسية» ـ وإن بنسبة إجمالية ضئيلة ٢٠٪ ـ حق الصدارة بين الوسائل الواجب إعتمادها لحل القضية الأرمنية. أما المرتبة الثانية فأعطيت «للمقاومة الذاتية» بنسبة ١٦,٣٪، وفي سياق المقاومة نذكر أن الشباب السنَّة، أعطوا نسبة ٢٣٪

هـ ـ أما نسبة الحرب النظامية، فهي ضئيلة جداً ٧,٣٦٪.

٢ ـ الشيعة:

أ ـ النسبة الإجمالية، إعتبرت أن لا حل للقضية الأرمنية، بنسبة ٤٣٪

ب ـ ٤٠٪ إعتبروا أن هناك حلاً للقضية الأرمنية.

ج ـ فئة الشباب الشيعة، إعتبرت أن هناك حلاً ٣٨٪ مقابل ٣٦٪ تقول «لا حل» و ٢٦٪ لا جواب.

د ـ فئة الشيوخ الشيعة كانت النسبة مناصفة بين الحل وعدمه ٥٠٪ مقابل ٥٠٪

هـ ـ الشيعة الذين أجابوا بنعم، كيف رتبوا وسائل الحل؟

* مقاومة ذاتية ٣٧٪ وسائل دبلوماسية ١٩,٣٣٪ منظمات دولية ١٧,٨٪، قوات دولية ١٣,٦٣٪، حرب نظامية ٨,٦٦٪

و ـ التباين كان واضحاً في فقرتي «نعم» و «المقاومة الذاتية».

٣ ـ الدروز:

أ ـ الغالبية الدرزية إعتبرت أن هناك حلاً للقضية الأرمنية، بنسبة إجمالية ٤٥,٠٣٪ رفعتها فئتا الشباب ومتوسطي العمر، بحيث سجلتا النسب: ٤٥,٧٪ و ٥٠٪

ب ـ ٣٠,٢٣٪ بين الدروز إعتبروا أن لا حل للقضية الأرمنية و ٢٤,٧٣٪ لا جواب.

ج ـ الدروز الذين أجابوا «بنعم»، رتبوا وسائل الحل وفق الأولوية التالية: الدبلوماسية ٣٩,٤٣٪، المقاومة الذاتية ٣٤,٢٣٪، المنظمات الدولية ٣٣,٨٪، حرب نظامية ٢٥,٨٪ وقوات دولية ٢٤,٧٦٪

إذاً بنظر السنَّة والدروز المرتبة الأولى للوسائل الدبلوماسية والمرتبة الثانية للمقاومة الذاتية، أما الشيعة فالمرتبة الأولى كانت للمقاومة الذاتية والمرتبة الثانية للوسائل الدبلوماسية.

وهكذا نجد أن مجموع الطوائف الإسلامية والدرزية، تجد بالأكثرية النسبية أن لا حل مستقبلاً للقضية الأرمنية.

جدول رقم ٢٠ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وإمكانية الحل للقضية الأرمنية مستقبلاً وكيفية ذلك:

المذهب	العمر	هل هناك حل للقضية الأرمنية؟			اذا نعم ما هي الوسائل المعتمدة بالأولوية؟					ملاحظات ٪ س. ٩
		نعم	كلا	لا جواب	حرب نظامية	قوات دولية	مقاومة ذاتية	منظمات دولية	وسائل دبلوماسية	
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٤٦,٧	٣٥	١٨,٣	٢٥,٩	٣٢,٥	٣٨,٩	٣٨,٥	٤٠	
	٣١ ـ ٤٣	٤١,٢	٤٤,١١	١٤,٦٩	١٤,٧	٢٠,٦	٢٣,٥	١٧,٦	١٧,٦	
	٤٤ ==	٥٣,٣	٤٠	٦,٧	٤٦,٧	٤٠	٦٦,٦	٤٦,٧	٤٦,٧	
ارثوذكس	أ ـ =	٥١,٢	٢٥,٦	٢٣,٢	٢٣,٢	٣٤,٩	٤١,٩	٣٩,٥	٤٤,٧	
	ب ـ =	١٦	٦٨	١٦	٤	١٦	١٢	١٢	٢٠	
	ج ـ =	٢٥	٧٥	-	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	
انجيلي	أ ـ =	٣٣,٣	٥٥,٥	١١,٢	١١,١	٢٢,٢	٢٢,٢	٢٢,٢	٢٢,٢	
	ب ـ =	١٠٠	-	-	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	-	-	-	١٠٠	١٠٠	
أرمن أرثوذكس	أ ـ =	٩٢,٣	٦	١,٧	٣٨,٥	٤٨	٧٦,٩	٧٦,٩	٧٧,٣	
	ب ـ =	٨٨,٩	٧,٤	٣,٧	٤٠,٧	٥١,٩	٥٩,٣	٨٥,٢	٧٤	
	ج ـ =	٨٦,٢	٣,٥	١٠,٣	٥١,٧	٦٥,٥	٦٩	٧٩,٣	٧٢,٤	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٧٣	٢١,٦	٥,٤	٣٢,٤	٤٣	٦٥	٦٢	٦٥	
	ب ـ =	٧٣,٧	٢١	٥,٣	٤٧,٤	٦٣,٢	٦٨,٤	٦٣,٢	٦٨,٤	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	٥٠	٦٠	٩٠	١٠٠	١٠٠	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٨٢,٣	١٦,٧	١	٢٠	٧٠	٨٠	٩٠	٦٩	
	ب ـ =	٧٠	٢٥	٥	١٠	٧٥	٨٥,٦	٨٩,٤	٧٥	
	ج ـ =	٧٥	٢٥	-	٢٦	٦٨	٧٠	٥٠	٧٧	

خلاصة الجدول رقم ٢٠ :

المذهب	هل هناك حل للقضية الأرمنية؟			إذا نعم ما هي الوسائل المعتمدة بالأولوية؟					ملاحظات
	نعم	كلا	لا جواب	حرب نظامية	قوات دولية	مقاومة ذاتية	منظمات دولية	وسائل دبلوماسية	٪ س. ٩
كاثوليك	٤٧,٠٦	٣٩,٧٠	١٣,٢٣	٢٩,١	٣١,٠٣	٤٣	٣٤,٢٦	٣٤,٧٦	
أرثوذكس	٣٠,٣٧	٥٦,٢	١٣,٠٦	١٧,٤	٢٥,٣	٢٦,٣	٢٥,٥	٢٩,٩	
انجيلي	٧٧,٧٦	١٨,٥	٣,٧٣	٣٧,٠٣	٤٠,٧٣	٤٠,٧٣	٧٤,٠٦	٧٤,٠٦	
أرمن أرثوذكس	٨٩,١٣	٥,٦٣	٥,٢٣	٤٣,٦٣	٥٥,١٣	٦٨,٤	٨٠,٤٦	٧٤,٥٦	
أرمن كاثوليك	٨٢,٢٣	١٤,٢	٣,٥٦	٤٣,٢٦	٥٥,٤	٧٤,٤٦	٧٥,٠٦	٧٧,٨	
أرمن انجيلي	٧٥,٧٦	٢٢,٢٣	٢	١٨,٦٦	٧١	٧٨,٥٣	٧٦,٤٦	٧٣,٦٦	
معدل النسب العام	٦٧,٠٥	٢٦,٠٧	٦,٨٠	٣١,٥١	٤٦,٤٣	٥٥,٢٣	٦٠,٩٦	٦٠,٧٩	

هل من إمكانية حل للقضية الأرمنية بنظر الطوائف المسيحية المعتمدة في الجدول رقم ٢٠؟ وكيف يمكن أن يكون هذا الحل؟

١ ـ إمكانية الحل للقضية الأرمنية، بنظر هذه الطوائف المسيحية قائم بنسبة عامة بلغت ٦٧,٠٥٪، مقابل ٢٦,٠٥٪ قالوا لا إمكانية للحل.

٢ ـ الفئة المتفائلة، حددت الوسائل الواجب إعتمادها، لحل هذه القضية وفق الأولوية التالية:

أولاً ـ بواسطة المنظمات الدولية: ٦٠,٩٦٪

ثانياً ـ بواسطة الوسائل الدبلوماسية: ٦٠,٧٩٪

ثالثاً ـ بواسطة مقاومة ذاتية: ٥٥,٢٣٪

رابعاً ـ بواسطة قوات دولية: ٤٦,٤٣٪

خامساً ـ بواسطة حرب نظامية: ٣١,٥١

٣ ـ جدول المقابلة بين النسب التي سجلتها مختلف الطوائف المسيحية والإسلامية والدرزية، يضعنا أمام النسب النهائية التالية:

الطوائف	هل هناك حل للقضية ؟			اذا نعم ما هي الوسائل الواجبة بالأولوية ؟				
	نعم	كلا	لا جواب	حرب نظامية	قوات دولية	مقاومة ذاتية	منظمات دولية	وسائل دبلوماسية
المسيحيون	٦٧،٠٥	٢٦،٠٧	٦،٨٨	٣١،٥١	٤٦،٤٣	٥٥،٢٣	٦٠،٩٦	٦٠،٧٩
المسلمون والدروز	٣٤،٧٥	٤٣،٩٤	٢١،٢٩	١٣،٩٤	١٦،٣٥	٢٩،١٧	٢٢،٦	٢٦،٢٥
معدل النسب العام	٥٠،٩	٣٥	١٤،٠٨	٢٢،٧٢	٣١،٣٩	٤٢،٢	٤١،٧٨	٤٣،٥٢

أ ـ ٥٠,٩٪، إعتبروا أن هناك حلاً للقضية الأرمنية و ٣٥٪ قالوا «لا حل لها». و ١٤,٠٨٪ «لا جواب».

ب ـ أما الذين أجابوا بـ«نعم»، حددوا الوسائل الواجب إعتمادها للحل وفق الترتيب التالي:

أولاً ـ (الوسائل الدبلوماسية: ٥٢,٤٣٪).
ثانياً ـ (المقاومة الذاتية: ٢,٤٢٪).
ثالثاً ـ (بواسطة المنظمات الدولية: ٧٨,٤١٪).
رابعاً ـ (قوات دولية: ٣٩,٣١٪).
خامساً ـ (حرب نظامية: ٧٢,٢٢٪).

ج ـ النسب التي حددها المسيحيون، متباينة جداً مع تلك التي حددها المسلمون والدروز. وذلك بمعدل الضعف تقريباً. وهذا ما يترجمه الواقع النفسي والاجتماعي والسياسي والديني لكل مجموعة من المجموعات:

جدول رقم ٢١ - الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان وأوجه الشبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية:

المذهب	العمر	هل هناك شبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية ؟			إذا نعم حدّد ذلك بالأولوية							ملاحظات
		نعم	كـلا	لا جواب	صراع طائفي	أقليلت	تفكك داخلي	تدخل اقليمي	تدخل دولي	دور رجال الدين سلبي	دور رجال الدين ايجابي	
السنّة	١٨ - ٣٠	٣٦	٤١	٢٣	٢٦،٢	٢٧	٢٤،٥	٢٢،٩	٢٦،٢	٢٦	٤،٩	السؤال
	٣١ - ٤٣	١٧،٦	٧٠،٥	١١،٩	١٧،٦	١٢	١٨	٦	١٧	١٧،٦	-	العاشر في
	٤٤ - -	٣٠	٥٠	٢٠	١٩	٢٠	٢١	٢٠	٣٠	٤٠	-	الإستمارة
الشيعة	١٨ - ٣٠	٤٠	٣٣	٢٧	٣٣	٢٩	٣٥	٢٩	٢٩	١٧	١٧	
	٣١ - ٤٣	٣٥،٧	٣٦	٢٨،٣	٢٥	٢٥	٣٢	٣٩	٣٦	١٤،٣	١٠،٧	
	٤٤ - -	١٠٠	-	-	٥٠	-	-	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	
الدروز	١٨ - ٣٠	٤٦،١	٣٠،٧	٢٣،٢	٣٣،٣	٣٨،٤	٤٦،١	٣٠،٧	٢٨،٢	٤١	٢،٥	
	٣١ - ٤٣	٢٨،٦	٣٥،٧	٣٥،٧	١٤،٥	١٤،٥	٢١	١٤،٣	٣٥،٧	١٤،٣	١٤،٣	
	٤٤ - -	٤٥،٤	١٨،٣	١٨،٣	٤٥،٤	٣٦،٣	٣٦،٣	٣٦،٣	٣٦،٣	٣٦،٣	١٨،١	

خلاصة الجدول رقم ٢١:

المذهب	هل هناك شبه بين القضيتين؟			إذا نعم حدّد ذلك بالأولوية ؟					دور رجال الدين		ملاحظات
	نعـم	كـلا	لا جواب	صراع طائفي	أقليات	تفكك داخلي	تدخل إقليمي	تدخل دولي	سلبي	ايجابي	٪ من ١٠
السنّة	٢٧،٨٦	٥٣،٨٣	١٨،٣	٢٠،٩٣	١٩،٦٦	٢١،١٦	١٦،٣	٢٤،٤	٢٧،٨٦	١،٦٣	التفكك الداخلي والتدخل
الشيعة	٥٨،٥٦	٢٣	١٨،٤	٣٦	١٨	٢٢،٣٣	٣٩،٣٣	٣٨،٣٣	٢٧،١	٢٥،٩	الدولي والاقليمي والصراع
الدروز	٤٠،٠٣	٣٤،٢٣	٢٥،٧٣	٣١،٠٦	٢٩،٧٣	٣٤،٤٦	٢٧،١	٣٣،٤	٣٠،٥٣	١١،٦٣	الطائفي احتلوا المراتب الاولى
المجموع	٤٢،١٥	٣٧،٠٢	٢٠،٨١	٢٩،٤٤	٢٢،٤٦	٢٥،٨٧	٢٧،٥٧	٣٢،٠٤	٢٨،٤٩	١٣،٠٥	في الشبه بين القضيتين

ماذا في هذه الأرقام من إستنتاجات؟

١ ـ السُّنَّة:

أ ـ هؤلاء بجميع فئاتهم يؤكدون أن لا علاقة أو شبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية. فجاءت النسبة الإجمالية في هذا الاطار ٥٣,٨٣٪.

ب ـ أما الذين أجابوا «بنعم» فكانت نسبتهم ٢٧,٨٦٪ والباقي ١٨,٣٪ «لا جواب».

ج ـ الذين أجابوا «بنعم» حددوا الشبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية وفق الأولوية التالية:

تدخل دولي: ٢٤,٤٪ ـ تفكك الأرمن الداخلي: ٢١,١٦٪ ـ صراع طائفي: ٢٠,٩٣٪ ـ أقليات: ١٩,٦٦٪ ـ تدخل إقليمي: ١٦,٣٪

د ـ بخصوص دور رجال الدين، حيال القضية الأرمنية، جاءت نسبة السُّنَّة تؤكد سلبية دورهم ٢٧,٨٦٪ مقابل ١,٦٣٪ تقول بإيجابية هذا الدور. والباقي «لا جواب».

٢ ـ الشيعة:

أ ـ نسبة مرتفعة منهم تقول أن الشبه موجود بين القضيتين الأرمنية واللبنانية، وهذه النسبة هي: ٥٨,٥٦٪ مقابل ٢٣٪ قالوا لا شبه بينهما و ١٨,٤٪ «لا جواب».

ب ـ فئة المسنين، هي التي رجحت هذه النسبة.

ج ـ هناك تقارب في النسب بين فئتي الشباب والمتوسطي العمر فجاءت على التوالي:

«نعم»: ٤٠٪ و ٣٥,٧٪، «كلا»: ٣٣٪ و ٣٦٪

د ـ الشيعة الذين أجابوا «بنعم»، أجابوا عن أوجه الشبه بين القضيتين وصنفوها وفق الأولوية التالية:

تدخل إقليمي: ٣٩,٣٣٪ ـ تدخل دولي: ٣٨,٣٣٪ ـ صراع طائفي: ٣٦٪ ـ تفكك الأرمن الداخلي: ٢٢,٣٣٪ ـ كون الأرمن من الأقليات: ١٨٪

هـ ـ عن دور رجال الدين إذا كان سلبياً أم إيجابياً في القضية الأرمنية، جاءت النسب متقاربة جداً:

دور سلبي: ٢٧,١٪، دور إيجابي: ٢٥,٩٪، والباقي بالطبع، لا جواب.

٣ ـ الدروز:

أ ـ الأكثرية النسبية تقول بالشبه بين القضيتين: ٤٠,٠٣٪ و ٣٤,٢٣٪ يقولون لا شبه بينهما و ٢٥,٧٣٪ «لا جواب».
من هنا نجد أن هذه الأكثرية تبقى ضئيلة نسبياً.

ب ـ هناك تباين واضح بين الفئة «ب» والفئتين «أ ـ ج»، خصوصاً لجهة الإجابة «بنعم».

ج ـ الدروز الذين أجابوا «بنعم»، حددوا أوجه الشبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية على النحو التالي:

تفكك الأرمن: ٣٤,٤٦٪ ـ تدخل دولي: ٣٣,٤٪ ـ صراع طائفي: ٣١,٠٦٪ ـ من الأقليات: ٢٩,٧٣ ـ تدخل إقليمي: ٢٧,١٪

د ـ بالنسبة لدور رجال الدين، توزع الدروز كما يلي:

سلبي: ٣٠,٥٣٪، إيجابي: ١٣,٠٥٪ والباقي لا جواب.

جدول رقم ٢٢ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وأوجه الشبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية:

المذهب	العمر	هل من شبه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية؟			اذا نعم حدِّد الشبه بالأولوية؟					دور رجال الدين		ملاحظات ٪ س. ١٠
		نعم	كلا	لا جواب	صراع طائفي	أقليات	تفكك داخلي	تدخل إقليمي	تدخل دولي	سلبي	إيجابي	
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٦٣,٦	١٦,٩	١٩,٥	٥٨,٤	٥٧	٥٧	٤٥,٤	٤٦	٤٠,٣	١٤,٣	
	٣١ ـ ٤٣	٦١,٨	٨,٨	٢٩,٤	٥٠	٤٧	٥٠	٣٨,٢	٤١,٢	٤٤,١١	١١,٨	
	٤٤ ==	٨٠	٢٠	ـ	٧٣,٣	٥٣,٣	٧٣,٣	٦٦,٧	٦٦,٧	٥٣,٣	٢٦,٦	
أرثوذكس	أ ـ =	٥١,٢	٢٥,٦	٢٣,٢	٣٩,٥	٤١,٩	٤٤,٢	٤٤,٢	٤٨,٨	٣٢,٦	٢٣,٣	
	ب ـ =	٤٨	٣٦	١٦	٤٠	٤٠	٤٨	٤٠	٤٨	٢٤	٢٤	
	ج ـ =	٥٠	٥٠	ـ	٥٠	٢٥	٥٠	٥٠	٢٥	٥٠	ـ	
انجيلي	أ ـ =	٤٤,٤	٤٤,٤	١١,٢	٣٣,٣	٣٣,٣	٣٣,٣	٤٤,٤	١١,١	٢٢,٢	١١,١	
	ب ـ =	١٠٠	ـ	ـ	ـ	١٠٠	١٠٠	١٠٠	ـ	١٠٠	ـ	
	ج ـ =	ـ	١٠٠	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	
أرمن أرثوذكس	أ ـ =	٤٥,٣	٥٣,٨	٠,٩	٢٤,٨	٢٩	٢٧,٣	٢٤	٣٣,٣	٢٦,٥	٩,٤	
	ب ـ =	٤٤,٤	٥٥,٥	ـ	٤٠,٧	٣٧,١	٣٧,١	١٨,٥	٣٧,١	٣٧,١	٧,٤	
	ج ـ =	٦٥,٥	٣٤,٥	ـ	٥٥,٢	٥١,٧	٥٩,٣	١٧,٢	٦٢	٥٥,٢	٦,٩	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٤٦	٥٤	ـ	٣٢,٤	٣٧,٨	٣٥,١	٤٣,٢	٣٧,٨	٣٥,١	١٠,٨	
	ب ـ =	٨٩,٥	١٠,٥	ـ	٨٩,٥	٨٤,٢	٨٩,٥	٨٩,٥	٨٩,٥	٦٨,٥	٢٩,٣	
	ج ـ =	٦٠	٤٠	ـ	٥٠	٦٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	—	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٥٠	٤٥	٥	٤٠	٧٠	٧٥	٦٠	٦٠	٣٠	٤٠	
	ب ـ =	٦٢	٣٨	ـ	٥٥	٧٥	٦٢	٦٥	٧٠	٤٦	٥٨	
	ج ـ =	٧١	٢٩	ـ	٣٨	٦٨	٥٠	٤٨	٦٢	٣٨	٣٢	

ماذا تقول الطوائف المسيحية في الجدول رقم ٢٢ وخلاصته، حول إحتمالية التشابه بين القضيتين الأرمنية واللبنانية؟

١ ـ كل الطوائف المسيحية في لبنان والمختارة كنماذج تمثيلية لكل الطوائف المسيحية، أكدت بالإجماع وإن بِنسَب متفاوتة، أن الشبه قائم بين القضيتين الأرمنية واللبنانية.

فجاءت النسبة الإجمالية للذين قالوا «نعم» للشبه بينهما: ٥٧,٣٦٪، أما الذين قالوا «كلا»، لا يوجد شبه بين القضيتين اللبنانية والأرمنية، فبلغت نسبتهم: ٣٦,٧٧٪.

٢ ـ فجاء ترتيب النسب للذين قالوا «نعم»، بالتتابع كما يلي:

كاثوليك: ٦٨,٤٦٪ ـ أرمن كاثوليك: ٦٥,١٦٪ ـ أرمن انجيلي: ٦١٪ ـ أرمن أرثوذكس: ٥١,٧٣٪ ـ أرثوذكس: ٤٩,٧٣٪ ـ انجيلي: ٤٨,١٣٪

٣ ـ أما أهم أوجه الشبه بين القضيتين اللبنانية والأرمنية، فيمكن ترتيبها وفق النسب التي حددتها الطوائف المذكورة أعلاه، على النحو التالي:

أ ـ تفكك الأرمن الداخلي: ٥٢,٢٨٪
ب ـ كون الأرمن من الأقليات: ٥٠,٥٦٪
ج ـ التدخل الإقليمي: ٤٦,٩٠٪.
د ـ التدخل الدولي: ٤٣,٨٠٪
هـ ـ الصراع الطائفي: ٤٢,٧٨٪
و ـ دور رجال الدين، فقد إعتبره هؤلاء سلبياً بنسبة ٤١,٨٢٪ وإيجابياً بنسبة ١٦,٩٣٪

٤ ـ مقارنة النسب بين الطوائف المسيحية والإسلامية والدرزية، وفق الجدول التالي:

الطوائف	هل من شبه بين القضيتين؟			أوجه الشبه					دور رجال الدين		ملاحظات
	نعم	كلا	لا جواب	الطائفية	أقليات	تفكك داخلي	تدخل إقليمي	تدخل دولي	سلبي	إيجابي	٪ س
المسيحيون	٥٧،٣٦	٣٦،٧٧	٥،٨٤	٤٢،٧٨	٥٠،٥٦	٥٢،٢٨	٤٦،٩٠	٤٣،٨٠	٤١،٨٢	١٦،٩٣	
المسلمون والدروز	٤٢،١٥	٣٧،٠٢	٢٠،٨١	٢٩،٤٤	٢٢،٤٦	٢٥،٨٧	٢٧،٥٧	٣٢،٠٤	٢٨،٤٩	١٣،٠٥	
معدل النسب العام	٤٩،٧٥	٣٦،٨٩	١٣،٣٢	٣٦،١١	٣٦،٥١	٣٩،٠٧	٣٧،٢٣	٣٧،٩٢	٣٥،١٥	١٤.٩٩	

أ ـ إجماع الطوائف من مسيحية وإسلامية، على أن الشبه قائم بين القضيتين الأرمنية واللبنانية وذلك بنسبة ٤٩,٧٥٪ مقابل ٣٦,٨٩٪ قالوا لا شبه بينهما و ١٣,٣٢٪ «لا جواب».

ب ـ أما أوجه الشبه بينهما فجاءت وفق الترتيب التالي: التفكك الداخلي (٣٩,٠٧٪)، ثانياً: التدخل الخارجي للدول (٣٧,٩٢٪)، ثالثاً: التدخل الاقليمي (٣٧,٢٣٪)، رابعاً: كونهما من الأقليات (٣٦,٥١٪)، أخيراً جاءت الطائفية بنسبة (٣٦,١١٪).

ج ـ كذلك أجمعت هذه الطوائف على إعتبار دور رجال الدين دوراً سلبياً، بنسبة ٣٥,١٥٪ مقابل ١٤,٩٩٪ قالوا انه كان إيجابياً، نشير أخيراً إلى الفوارق الكبيرة بين النسب التي سجلها المسيحيون وتلك التي سجلها المسلمون.

جدول رقم ٢٣ - الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان ونظرتهم الى العلاقات الإسلامية - الأرمنية :

المذهب	العمر	علاقات المسلمين العرب بالأرمن				علاقات المسلمين الأتراك بالأرمن				المسلمون والأرمن في لبنان				ملاحظات
		ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	
السنّة	١٨-٣٠	٨	٤٧،٥	١٤،٧	٢٩،٨	١،٩	١٥	٤٩	٣٤،١	٢١	٤٧	٣.٣	٢٨.٧	٪ من ١١
	٣١-٤٣	٥	٦٥ .	١٧،٦	١٢،٤	-	-	٨٢،٣	١٧،٧	٥،٨	٨٢	-	١٢،٢	
	٤٤-=	١٠	٥٠	١٠	٣٠	١٠	-	٦٠	٣٠	٣٠	٥٠	-	٢٠	
الشيعة	١٨-٣٠	٠،٣	٥٠	٢١	٢٨.٧	-	٤	٦٣	٣٣	١٩	٥٤	-	٢٧	
	٣١-٤٣	٧	٣٢	٣٥،٧	٢٥،٣	-	-	٧١،٤	٢٨،٦	٧	٦٨	-	٢٥	
	٤٤--	٥٠	٥٠	-	-	-	-	١٠٠	-	١٠٠	-	-	-	
الدروز	١٨-٣٠	٢٥	٣٥،٨	١٥،٣	٢٣،٩	-	٧،٦	٥و٦١	٣٠،٩	٢٠،٥	٤٦،١	٥،١	٢٨،٣	
	٣١-٤٣	-	٥٧	٧،٣	٣٥،٨	-	١٤،٣	٣٥،٧	٥٠	١٤،٣	٤٢،٨	-	٤٢،٩	
	٤٤--	٩،١	٤٥،٤	٩،١	٣٦.٤	-	١٨،١	٤٥،٤	٣٦،٥	٣٦،٣	١٨،١	-	٤٥،٦	

خلاصة الجدول رقم ٢٣ -

المذهب	علاقات المسلمين العرب بالأرمن				علاقات المسلمين الأتراك بالأرمن				المسلمون والأرمن في لبنان				ملاحظات
	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	
السنّة	٧،٦٦	٥٤،١٦	١٤،١	٢٤،٠٦	٣،٩٦	٥	٦٣،٧٦	٢٧،٢٦	١٨،٩٣	٥٩،٦٦	١،١	٢٠،٠٣	٪ من ١١
الشيعة	١٩،١	٤٤	١٨،٩	١٨	-	١،٣٣	٧٨،١٣	٢٠،٥٣	٤٢	٤٠،٦٦	-	١٧،٣٣	
الدروز	١١،٣٦	٤٦،٠٦	١٠،٣٥	٣٢،٠٣	-	١٣،٣٣	٤٧،٠٣	٣٩،١٣	٢٣،٧	٣٥،٦٦	١.٧	٣٨.٩٣	
النسب العامة	١٢،٧٠	٤٨،٠٧	١٤،٥١	٢٤،٦٩	١.٣٢	٦،٥٥	٦٣،١٤	٢٨،٩٧	٢٨،٢١	٤٥،٣٢	٠.٩٣	٢٥،٥٢	

من معاينة الأرقام في الجدول رقم ٢٢ وخلاصته، تظهر الإستنتاجات التالية:

١ ـ السنَّة:

أ ـ في علاقات المسلمين العرب بالأرمن، أجمعت فئات السنَّة الثلاث على أنها جيدة، خصوصاً الفئتان (ب ـ ج)، حيث أعطيتا نسباً مرتفعة ٦٥٪ و ٥٠٪، أما النسبة الإجمالية فكانت ٥٤,١٦٪ لدرجة «جيدة».

ب ـ أما الذين اعتبروها «ممتازة»، سجلوا نسبة ٧,٦٦٪ والذين قالوا سيئة ١٤,١٪ و ٢٤,٠٦ «لا جواب».

ج ـ أما علاقات المسلمين الأتراك بالأرمن، فقال عنها السنَّة سيئة بنسبة ٦٣,٧٦٪ و ٥٪ قالوا جيدة و ٣,٦٩٪ قالوا ممتازة (وهم على خطأ بالطبع) و ٢٧,٢٦٪ «لا جواب».

د ـ عن علاقة المسلمين بالأرمن في لبنان، أعطى السنَّة النسب التالية:

٥٩,٦٦٪ جيدة ـ ١٨,٩٣٪ ممتازة ـ ١,١٪ سيئة و ٢٠,٣٪ «لا جواب».

هـ ـ فئة متوسطي العمر عند السنَّة، سجلت نسبة مرتفعة جداً باعتبارها العلاقات بين المسلمين والأرمن في لبنان «جيدة» وهي ٨٢٪

٢ ـ الشيعة:

أ ـ علاقات المسلمين العرب والأرمن، علاقات جيدة، ولكن النسبة تعتبر منخفضة ٤٤٪، والذين اعتبروها ممتازة ١٩,١٪ وسيئة ١٨,٩٪ ولا جواب ١٨٪

ب ـ حول علاقات المسلمين الأتراك والأرمن، سجَّل الشيعة النسب التالية وهي الأعلى في هذا السياق:

سيئة: ٧٨,١٣٪، جيدة: ١,٣٣٪، ممتازة: صفر، لا جواب: ٢٠,٥٣٪

ج ـ المسلمون والأرمن في لبنان، جاءت النسب التي سجلها الشيعة على النحو التالي:

ممتازة: ٤٢٪، جيدة: ٤٠,٦٦٪، سيئة: صفر، لا جواب: ١٧,٣٣٪

د ـ قد تكون النسب التي سجلها الشيعة، خصوصاً في الفئتين (أ ـ ب)، هي الأقرب إلى حقيقة العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية في لبنان وفي غيره.

٣ ـ الدروز:

أ ـ علاقات المسلمين العرب بالأرمن، جيدة بنسبة ٤٦,٠٦٪ وممتازة بنسبة ١١,٣٦٪ وسيئة بنسبة ١٠,٥٣٪، لا جواب: ٣٢,٠٣٪

ب ـ علاقات المسلمين الأتراك بالأرمن، يجدها الدروز سيئة بنسبة ٤٧,٥٣٪ وجيدة بنسبة ١٣,٣٣٪، ولا جواب بنسبة ٣٩,١٣٪

ج ـ أما علاقة المسلمين بالأرمن في لبنان، يجدها الدروز جيدة بنسبة ٣٥,٦٦٪، وممتازة بنسبة ٢٣,٧٪، وسيئة بنسبة ١,٧٪، ولا جواب بنسبة ٣٨,٩٣٪

د ـ يجمع المسلمون والدروز على أن علاقات المسلمين بالأرمن كانت جيدة وممتازة، باستثناء علاقتهم مع المسلمين الأتراك فهي أكثر من سيئة.

جدول رقم ٢٤: الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني ونظرتهم الى العلاقات الإسلامية-الأرمنية.

المذهب	العمر	علاقات المسلمين العرب بالأرمن				علاقات المسلمين الأتراك بالأرمن				المسلمون والأرمن في لبنان			
		ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب
كاثوليك	١٨ -٣٠	٦،٥	٢٨،٦	٣٦،٣٠	٢٨،٥٤	١،٣	٢،٦	٦٧،٥	٢٨،٦	١٣	٥٠،٦	١٠،٤	٢٦
	٣١ - ٤٣	-	٣٥،٣	٤٧	١٧،٧	-	-	٨٢،٤	١٧،٦	٢٠،٦	٥٥،٩	٨،٨	١٤،٧
	٤٤ - --	١٣،٣	٦٦،٦	١٣،٣	٦،٨	-	٦،٧	٩٣،٣	-	٢٠	٨٠	-	-
أرثوذكس	١٨ -٣٠	٤،٧	٣٩،٥	٢٥،٦	٣٠،٢	-	٢،٣٢	٦٧،٤	٣٠،٢٨	٢،٣	٦٢،٨	-	٣٤،٩
	٣١ - ٤٣	-	٤٠	٤٠	٢٠	-	٨	٧٢	٢٠	٤	٧٦	٤	١٦
	٤٤ - --	-	٢٥	٥٠	٢٥	-	-	٧٥	٢٥	-	٧٥	-	٢٥
انجيلي	١٨ - ٣٠	٢٢،٢	٤٤،٤	٢٢،٢	١١،٢	-	-	٨٨،٨	١١،٢	٢٢،٢	٥٥،٥	١١،١	١١،٢
	٣١ - ٤٣	-	١٠٠	-	-	-	-	١٠٠	-	-	١٠٠	-	-
	٤١ - --	١٠٠	-	-	-	-	-	١٠٠	-	١٠٠	-	-	-
أرمن أرثوذكس	١٨ - ٣٠	٣٣،٣	٦٤،١	١	١،٦	١	٣،٤	٨٩،٩	٦،٧	٤٨،٨	٤٧،٩	١،٧	١،٦
	٣١ - ٤٣	١٨،٥	٧٠،٤	١١،١	-	-	-	١٠٠	-	٤٠،٧	٥٩،٣	-	-
	٤٤ - --	٢٧،٦	٦٥،٥	٦،٩	-	-	-	١٠٠	-	٤١،٣	٥٥،٢	٣،٥	-
أرمن كاثوليك	١٨ - ٣٠	١٦،٢	٦٢،٢	١٨،٩	٢،٧	-	٨،١	٨٣،٨	٨،١	٢٩،٧	٧٠،٣	-	-
	٣١ - ٤٣	١٠،٥	٥٨،٦	٣٠،٩	-	-	٥،٣	٩٤،٧	-	٢١	٧٨،٩	-	٠،١
	٤٤ - --	-	٨٠	٢٠	-	-	-	٩٠	١٠	٢٠	٨٠	-	-
أرمن انجيلي	١٨ - ٣٠	-	٦٨	٢٥	٧	-	٢،١	٩٥	٢،٩	٣٠	٧٠	-	-
	٣١ - ٤٣	-	٧٣	٢٧	-	-	-	٩٧	٣	٢٥	٧٥	-	-
	٤٤ - --	-	٦٣	٣١	٦	-	-	١٠٠	-	١٥	٨٥	-	-

خلاصة الجدول رقم ٢٤:

المذهب	المسلمون العرب والأرمن				المسلمون الأتراك والأرمن				المسلمون في لبنان والأرمن				ملاحظات ٪ س. ١١
	ممتازه	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	
كاثوليك	٦,٦	٤٣,٥	٣٢,٢٢	١٧,٦٨	٠,٤٣	٣,١	٨١,٠٦	١٥,٤١	١٧,٨٦	٦٢,١٦	٦,٤	١٣,٥٨	
ارثوذكس	١,٥٦	٣٤,٨٣	٣٨,٥٣	٢٥,٠٨	-	٣,٤٤	٧١,٤٦	٢٥,١	٢,١	٧١,٢٦	١,٣٣	٢٥,٣١	
انجيلي	٤٠,٧٣	٤٨,١٣	٧,٤	٣,٧٢	-	-	٩٦,٢٦	٣,٧٤	٤٠,٧٣	٥١,٨٣	-	٧,٤٤	
أرمن ارثوذكس	٢٦,٤٦	٦٦,٦٦	٦,٣٣	٠,٥٥	٠,٣٣	١,١٣	٩٦,٦٣	١,٩١	٤٣,٦٣	٥٤,١٣	-	٢,٢٤	
أرمن كاثوليك	٢,٩٦	٦٦,٩٣	٢٥,٢٣	٤,٨٨	-	٤,٤٦	٨٩,٥	٦,٠٤	٢٣,٥٦	٧٦,٤	-	٠,٠٤	
أرمن انجيلي	-	٦٨	٢٧,٦٦	٤,٣٣	-	٠,٧	٩٧,٣٣	١,٩٦	٢٣,٣٣	٧٦,٦٦	-	-	
معدل النسب	١٣,٠٥	٥٤,٦٧	٢٢,٨٩	٩,٣٧	٠,١٢	٢,١٤	٨٨,٧٠	٩,٠٢٦	٢٥,٢٠	٦٥,٤٠	١,٢٨	٨,١٠	

ما هي النتائج التي جاء بها الجدول رقم ٢٤ وخلاصته، حول علاقات المسلمين، من عرب وأتراك ولبنانيين، بالشعب الأرمن داخل أرمينية وخارجها؟

النسب العامة التي سجلتها الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، حول علاقة المسلمين بالأرمن:

١ - الطوائف المسيحية اللبنانية	٢-الطوائف المسيحية اللبنانية من أصل أرمني
أ - علاقة المسلمين العرب بالشعب الأرمني • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٤٢،١٥ • علاقة سيئة بنسبة عامة ٪٢٠،٠٥ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪١٦،٢٩ • لا جواب بنسبة عامة ٪٢٠،٠٥	أ - علاقة المسلمين العرب بالشعب الأرمني: • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٦٧،١٩ • علاقة سيئة بنسبة عامة ٪١٩،٧٤ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪٩،٨٠ • لا جواب بنسبة عامة ٪٣،٢٥
ب - علاقة المسلمين الأتراك بالأرمن: • علاقة سيئة بنسبة عامة. ٪٨٢،٩٢ • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٢،١٨ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪٠،١٤ • لا جواب بنسبة عامة ٪١٤،٧٦	ب - علاقة المسلمين الأتراك بالأرمن: • علاقة سيئة بنسبة عامة ٪٩٤،٤٨ • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٢،٠٩ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪٠،١١ • لا جواب بنسبة عامة ٪٣،٣٠
ج - علاقة مسلمي لبنان بالأرمن: • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٦١،٧٥ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪٢٠،٢٣ • علاقة سيئة بنسبة عامة ٪٢،٥٧ • لا جواب بنسبة عامة ٪١٥،٤٥	ج - علاقة مسلمي لبنان بالأرمن: • علاقة جيدة بنسبة عامة ٪٦٩،٠٦ • علاقة ممتازة بنسبة عامة ٪٣٠،١٧ • علاقة سيئة بنسبة عامة صفر • لا جواب بنسبة عامة ٪٠،٧٦

ملاحظات حول النسب الواردة أعلاه:

١ ـ أفضل النسب الإيجابية، أعطيت للمسلمين في لبنان، عن علاقتهم بالشعب الأرمني.

٢ ـ أسوأ العلاقات كانت مع الأتراك، بحيث سجلت أعلى نسبة سلبية، بلغت برأي المسيحيين ٨٨,٧٪ وبرأي المسلمين والدروز ٦٣,١٤٪

٣ ـ علاقات المسلمين بالأرمن، عبر التاريخ، تعتبر من المواضيع المحورية والأكثر حساسية، لذلك نجد من المفيد وضع الجدول التالي، وفيه إستطلاع لآراء المسيحيين والمسلمين حول هذا الموضوع البالغ الأهمية:

[illegible] المسلمين مع الأرمن	بالمسلمين العرب				بالمسلمين الأتراك				بالمسلمين في لبنان				
الطوائف	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ممتازة	جيدة	سيئة	لا جواب	ملاحظات ٪ س. ١١
المسيحيون	١٣,٠٥	٥٤,٦٧	٢٢,٨٩	٩,٣٧	٠,١٢	٢,١٤	٨٨,٧٠	٩,٢٦	٢٥,٢٠	٦٥,٤٠	١,٢٨	٨,١٠	٪.س.
المسلمون والدروز	١٢,٧٠	٤٨,٠٧	١٤,٥١	٢٤,٦٩	١,٣٢	٦,٥٥	٦٣,١٤	٢٨,٩٧	٢٨,٢١	٤٥,٣٢	٠,٩٣	٢٥,٥٢	
معدل النسب العام	١٢,٨٧	٥١,٣٧	١٨,٧	١٧,٠٣	٠,٧٢	٤,٣٤	٧٥,٩٢	١٨,٩٩	٢٦,٧٠	٥٥,٣٦	١,١٠	١٦,٨١	

من هذه النتائج تطالعنا الملاحظات التالية:

أ ـ المسلمون في لبنان، إحتلوا المرتبة الأولى في علاقتهم الجيدة والممتازة مع الأرمن: ٨٢,٠٦٪، أما المسلمون العرب فقد جاؤوا في المرتبة الثانية: ٦٤,٢٤٪، أما الأتراك فقد سجلوا نسبة قد لا تذكر، وهذا أمر طبيعي، بلغت ٥,٠٦٪ فقط.

ب ـ أما النسبة الإجمالية والنهائية لهذه العلاقة مع المسلمين جميعهم، بلغت: ٨٢,٠٦ + ٦٤,٢٤ + ٥,٠٦÷ ٣= ٤٨,٧٨٪، والواضح أن سوء العلاقة مع الأتراك هي

التي جعلت النسبة تتدنى إلى هذا المستوى.

ج ـ المسيحيون، سجلوا النسبة الإيجابية الأعلى، حول العلاقة الجيدة بين الأرمن ومسلمي لبنان، فاقت كثيراً تلك التي سجلها المسلمون أنفسهم: [٦٥,٤٠٪ مقابل ٤٥,٣٢٪].

د ـ نسبة المسلمين والدروز، الذين تجنبوا الإجابة عن علاقة المسلمين بالأرمن، بلغت ٢٦,٣٩٪ وهي نسبة مرتفعة، قد يكون حافزها تجنّب الحرج، أو الولوج في موضوع فائق التداخل والتعقيد.

جدول رقم ٢٥ ـ الطوائف الإسلامية والدرزية في لبنان وموقفهم من حق الشعوب المقهورة في إستخدام المقاومة المسلحة:

هل للشعوب المقهورة حق إستخدام المقاومة المسلحة لحماية حقوقها؟

المذهب	العمر	نعم	كلا	لا جواب	٪
السنّة	١٨ ـ ٣٠	٦٤	١١,٤	٢٤,٦	س. ١٢
	٣١ ـ ٤٣	٧٦,٤	١٢	١١,٦	
	٤٤ ==	٨٠	ـ	٢٠	
الشيعة	أ ـ =	٧٢	٠,٣	٢٧,٧	
	ب ـ =	٧٥	ـ	٢٥	
	ج ـ =	١٠٠	ـ	ـ	
الدروز	أ ـ =	٥٨,٩	٢٠,٥	٢٠,٦	
	ب ـ =	٦٤,٣	ـ	٣٥,٧	
	ج ـ =	٤٥,٤	ـ	٥٤,٦	

خلاصة الجدول رقم ٢٥:

المذهب	حق استخدام المقاومة المسلحة			
	نعم	كلا	لا جواب	
السنّة	٧٣,٤٦	٧,٨	١٨,٧٣	الاستمارة س. ١٢
الشيعة	٨٢,٣٣	٠,١	١٧,٥٦	
الدروز	٥٦,٢	٦,٨٣	٣٦,٩٦	
المجموع	٧٠,٦٦	٤,٩١	٢٤,٤١	

أبرز الاستنتاجات حول موقف الطوائف الإسلامية والدرزية من حق الشعوب المقهورة في اللجوء إلى المقاومة المسلحة لاستعادة الحق والحرية، نلخصها بما يلي:

١ ـ إجماع الطوائف الإسلامية والدرزية بكل فئاتها، على إعتبار «المقاومة المسلحة» من الحقوق المشروعة والمقدسة لكل الشعوب المقهورة والمسلوبة الحرية. فجاءت النسب المؤيدة وفق الترتيب التالي:

أولاً ـ الشيعة: ٨٢,٣٣٪، ثانياً ـ السنّة: ٧٣,٤٦٪، ثالثاً ـ الدروز: ٥٦,٢٪.

٢ ـ أعلى النسب المؤيدة للمقاومة المسلحة، سجلها الشيعة (٧٢٪ ـ ٧٥٪ و ١٠٠٪). والنسبة الرافضة للمقاومة عند الشيعة كانت ١,٠٪، والذين رفضوا الإجابة عندهم كانوا ١٧,٦٥٪ (راجع خلاصة جدول رقم ٢٥).

٣ ـ الدروز سجلوا أدنى نسبة في فئة الذين أجابوا «بنعم» للمقاومة المسلحة، حيث بلغت ٥٦,٢٪. أضف إلى ذلك

أن الدروز سجلوا أعلى نسبة بين الذين آثروا عدم الإجابة، فبلغت ٣٦,٩٦٪ مقابل ١٨,٧٣٪ للسنَّة و ١٧,٥٦٪ للشيعة. وهذا ما يفسِّر بعضاً من جوانب الشخصية الدرزية وسلوكيتها (لنلاحظ أيضاً فئة ج ـ دروز «لا جواب»: ٥٤,٦٪؟!) (جدول ٢٥). فئة الشباب الدروز سجلت كذلك، أعلى نسبة بين الذين أجابوا «بكلا» على حق الشعوب المقهورة في استخدام المقاومة المسلحة، بحيث بلغت ٢٠,٥٪؛ خصوصاً إذا ما قيست بالنسبة التي سجلها الشيعة مثلاً: ٠,٣٪ لفئة الشباب وصفر للفئتين (ب و ج: شيعة ودروز).

٤ ـ أما النسبة العامة للطوائف الإسلامية والدرزية والتي أيدّت حق الشعوب المقهورة في المقاومة المسلحة والعمل الفدائي فكانت ٧٠,٦٦٪، مقابل ٤,٩١٪ للذين قالوا «كلا» لا يحق لهذه الشعوب اللجوء إلى المقاومة المسلحة و ٢٤,٤١٪ «لا جواب» في هذ المجال وهي نسبة غير قليلة.

٥ ـ وهكذا نعتبر أن الغالبية بين المسلمين والدروز تقف مع حق اللجوء إلى المقاومة المسلحة، مع تفاوت النسب والمواقف ومرد ذلك إلى واقع كل طائفة، عقائدياً، تاريخياً وسياسياً.

جدول رقم ٢٦ ـ الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني وموقفهم من لجوء الشعوب المقهورة إلى المقاومة المسلحة:

هل للشعوب المقهورة حق إستخدام المقاومة المسلحة لحماية حقوقها؟

المذهب	العمر	نعم	كلا	لا جواب	ملاحظات ٪ س. ١٢
كاثوليك	١٨ ـ ٣٠	٧٩,٤	-	٢٠,٦	
	٣١ ـ ٤٣	٦٧,٥	٩,١	٢٣,٤	
	٤٤ ==	٨٦,٦	٦,٧	٦,٧	
ارثوذكس	أ ـ =	-	٤,٧	٩٥,٣	
	ب ـ =	٧٢	٨	٢٠	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	
انجيلي	أ ـ =	٦٦,٧	٢٢,٢	١١,٢	
	ب ـ =	١٠٠	-	-	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	
أرمن ارثوذكس	أ ـ =	٩٦,٦	٢,٦	٠,٨	
	ب ـ =	٨٨,٩	١١,١	-	
	ج ـ =	٩٦,٥	٣,٥	-	
أرمن كاثوليك	أ ـ =	٩١,٩	٥,٤	٢,٧	
	ب ـ =	١٠٠	-	-	
	ج ـ =	١٠٠	-	-	
أرمن انجيلي	أ ـ =	٦٥	-	٣٥	
	ب ـ =	٧٧	١٠	١٣	
	ج ـ =	٦١	٢٢	١٧	

خلاصة الجدول رقم ٢٦:

الشعوب المقهورة وحق إستخدام المقاومة المسلحة؟

المذهب	نعم	كلا	لا جواب	ملاحظات ٪ س. ١٢
كاثوليك	٧٧,٨٣	٥,٢٦	١٦,٩١	
ارثوذكس	٥٧,٣٣	٤,٢٣	٣٨,٤٤	
انجيلي	٨٨,٩	٧,٤	٣,٧٠	
أرمن أرثوذكس	٩٤	٥,٧٣	٠,٢٦	
أرمن كاثوليك	٩٧,٣	١,٨	٠,٩٠	
أرمن انجيلي	٦٧,٦٦	١٠,٦٦	٢١,٦٦	
المجموع	٨٠,٥٠	٥,٨٤	١٣,٦٤	

ماذا تقول الطوائف المسيحية اللبنانية واللبنانية من أصل أرمني، عن حق الشعوب المقهورة في إستخدام المقاومة المسلحة؟ وذلك تبعاً لما جاء في الجُدول «٢٦».

١ ـ نعم للمقاومة المسلحة، جاءت النسب مرتفعة جداً عند كلٍّ الطوائف المسيحية، باستثناء تلك التي سجلها الارثوذكس، حيث بلغت ٥٧,٣٣٪ فقط، في حين سجَّل الكاثكوليك ٧٧,٨٣٪ والانجيليون ٨٨,٩٪.

٢ ـ إذاً هناك إجماع مسيحي، حول حق الشعوب المقهورة في اللجوء إلى المقاومة المسلحة. أما الإجماع شبه المطلق فقد سجله الأرمن، حيث جاءت النسب على التوالي:

أ ـ أرمن كاثوليك ٩٧,٣٪

ب ـ أرمن أرثوذكس ٩٤٪

ج ـ أرمن انجيلي ٦٧,٦٦٪

٣ ـ أما نسبة الأرمن التي فضلت عدم الإجابة، عن حق الشعوب في إستخدام المقاومة المسلحة، فكات ضئيلة جداً: ٧,٦٠٪، وهذا ما يفسِّر عمق المعاناة الأرمنية، وشعور هذا الشعب بالظلم الدائم والألم المستمر، بالمقابل نجد أن نسبة المسيحيين اللبنانيين الذين فضلوا عدم الإجابة، بلغت: ١٩,٦٨٪.

٤ ـ بالمقارنة مع الطوائف الإسلامية والدرزية (الجدول رقم ٢٥)، ماذا تقول النسب، حول السؤال رقم ١٢ من الإستمارة (حق المقاومة المسلحة)؟

الطوائف	نعم للمقاومة	لا للمقاومة	لا جواب	ملاحظات ٪
المسلمون والدروز	٧٠,٦٦	٤,٩١	٢٤,٤١	
المسيحيون بمن فيهم الأرمن	٨٠,٥٠	٥,٨٤	١٣,٦٤	
معدل النسب العام	٧٥,٥٨	٥,٣٧	١٩,٠٢	

نلاحظ:

أ ـ إجماع الطوائف المسيحية والإسلامية، حول حق الشعوب المقهورة في إستخدام المقاومة المسلحة، حيث بلغت النسبة الإجمالية ٧٥,٥٨٪ مقابل ٥,٣٧٪ ترفض هذا الحق.

ب ـ الانجيليون الأرمن سجلوا أدنى نسبة بين الطوائف المسيحية، في تأييدهم اللجوء إلى المقاومة المسلحة. أما الذين رفضوا الإجابة فكانت أعلى نسبة لهم بين المسلمين والدروز، حيث بلغت ٢٤,٤١٪

جدول رقم ٢٧: خلاصة الاستمارة وفق الأولويات في كل سؤال:

أسئلة الاستمارة والنسب الإيجابية / الطوائف	سنّة	شيعة	دروز	كاثوليك	ارثوذكس	انجيلي	ارمن ارثوذكس	ارمن كاثوليك	ارمن انجيلي	ملاحظات ٪
س ٢: المجازر الأرمنية أعرف عنها الكثير	١٥،٧	٤،٢	٥،٤	٨	٢٠،٣٣	٣،٧	٨٤،٩٦	٦٩،٦٣	٧٧	
س ٣: المسؤول عن المجازر الأرمنية (المرتبة الأولى)	الأتراك ٥٨،١٣	المانيا ٦٧،٤٥	الأتراك ٦٦،٣	الأتراك ٧٤،٨٣	الأتراك ٧٣،٦٦	الأتراك ٥٩،٢٦	الأتراك ٩٨	الأتراك ٩٩،١	الأتراك ٩٣،٣٣	
س ٤: أسباب المجازر (السبب الأول)	تفكك الأرمن ٥٦،١٦	مطامع تركيا ٦٨،٤	تفكك الأرمن ٦٣،٥٦	الطائفية ٧٣،٢	مطامع تركيا ٦٦،١٣	مطامع تركيا والعرق ٨٥،١٦	مطامع تركيا ٩٥،٣٦	مطامع تركيا ٩٩،١	مطامع تركيا ٩٦،٦٦	
س ٥: القضية ماتت بمرور الزمن؟ (كلا) ٪	٢٦،٣٣	٥٠،٣٥	٣٢،٣٢	٤٨،٨٩	٣٢،٨٣	٥١،٨٦	٩٤،٣	٨٩،٣	٩٢،٣٣	
س ٦: الأخطار المستقبلية (الخطر الأول) ٪	توتر سياسي	عمليات ارهابية	توتر سياسي	اضطراب اقليمي	عمليات ارهابية	اضطراب اقليمي	توتر سياسي	اضطراب اقليمي	توتر سياسي	
س ٧: المقاومة الأرمنية (نعم قائمة) ٪	٢٤،٩	٦٥	٥١،٥٣	٥٤،٢٣	٤١،٥	٨٨،٨٦	٨٧،٧٣	٧٢،٧٣	٨١،٦	
س ٨: لماذا يهملها العالم؟ (السبب الأول) ٪	الأرمن أقليات	لا نفع منها	أقليات	لا نفع منها	لا نفع منها	أقليات	تهدد مصالحه	أقليات	لا نفع منها	
س ٩: هل من حل مستقبليا (نعم) ٪	١٩،٢٣	٤٠	٤٥،٠٣	٤٧،٠٦	٣٠،٣٧	٧٧،٧٦	٨٩،١٣	٨٢،٢٣	٧٥،٧٦	
س ١٠: الشبه بين القضيتين اللبنانية والأرمنية (نعم) ٪	٢٧،٨٦	٥٨،٥٦	٤٠،٠٣	٦٨،٤٦	٤٩،٧٣	٤٨،١٣	٥١،٧٣	٦٥،١٦	٦١	
س ١١: العلاقات الإسلامية الأرمنية (جيدة) ٪	٣٩،٦٠	٢٨،٦٦	٣١،٦٨	٣٦،٢٥	٣٦،٥١	٣٣،٣٢	٤٠،٦٤	٤٩،٢٦	٤٨،٤٥	
س ١٢: حق المقاومة المسلحة (نعم) ٪	٧٣،٤٦	٨٢،٣٣	٥٦،٢	٧٧،٨٣	٥٧،٣٣	٨٨،٩	٩٤	٩٧،٣	٦٧،٦٦	إذا استثنينا النسب المتدنية جداً للأتراك، ترتفع هذه النسب كثيراً.

بعد كل هذه الجداول الإحصائية والنسب التي خرجت بها، لا بدَّ من تكملة الصورة عن طريق أخذ عينات حيَّة من آراء وملاحظات المستجوبين، وكما دوِّنت حرفياً في الاستمارات، بغية تقصي الحقائق في مصادرها. هذه العينات أفردنا لها القسم الثاني من الفصل الرابع هذا، لأهميتها ولما تسلطه من أضواء حول القضية الأرمنية. ماذا في هذه الآراء ـ المواقف؟!.

القسم الثاني: آراء متعددة ومختلفة في القضية الأرمنية:

وردت في إستمارة هذا البحث آراء وملاخظات كثيرة، بعضها على جانب من الأهمية، ربما لما يحمله من مغالطات ومواقف متطرفة وأحياناً من واقعية ونظرة صائبة، لذلك وجدنا من المفيد أن نورد أهمها، وكما دوَّنها أصحابُها، دون تعليق أو تعديل أو تصحيح (وقد يرد فيها الكثير من الأخطاء الإملائية واللغوية والإسلوبية). لن نصححها خدمة للأمانة العلمية، وحفاظاً على الطبعية التي كَتَبَ من خلالها أصحابها.

في مايلي طائفة من هذه الآراء المواقف، كما وردت في الإستمارات:

رقم الإستمارة	المذهب والجنسية	العمر	المهنة	الملاحظات كما دوِّنت حرفياً في الإستمارات:
٥٧٦	سنية - جزائرية	١٨ _ ٣٠	طالبة جامعية	«لقد كان ماضي هذه القضية صاخبة ومسموعة ولكن حاضراً أطفىء نور الثورة والمقاومة ببعض الضغوطات الخارجية وعدم إمكانية إظهارها لضعفهم الإقتصادي ولكن أرجو أن تعاد وتسمع صوت الثورة الأرمنية في المستقبل. وما دام هناك الذين يريدون إسماع صوتها فسوف تسمع».
٥٧٢	شيعي - لبنانية	٤٤ =	موظف بنك	«يجب أن تبقى المقاومة الأرمنية حيَّة تناضل وتكافح الأعداء من أجل إسترداد السيادة والأرض والكرامة للعيش بحرية وبعزة وبشرف».
٥٧٠	سني - لبنانية	١٨ _ ٣٠	طالبة جامعة	«في حال أرادت حل المشكلة على الأرمن التخلي عن التعصّب مما قد يعطي دفعاً لهم».
٦٧٨	شيعي - لبنانية	٣١ _ ٤٣	رب عمل	«إنَّ الإسلام لم يكن أبداً من المناهضين للقضية الأرمنية العادلة وخصوصاً الشيعة لأننا نكره الاضطهاد الذي عانينا منه السنوات وعصور طويلة في هذا التاريخ المظلم».
٥٧٧	سني - فلسطيني	١٨ _ ٣٠	طالب جامعي	«يجب التوعية لمعالم القضية، لأنه كما اعتقد لا يعرف أبعادها سوى أهلها».
٥٨٣	سني - لبنانية	٣١ _ ٤٣	عامل	«الأرمن يعملوا بكل إخلاص وصدق».
٥٨٩	درزي - لبنانية	١٨ _ ٣٠	طالب جامعي	«يجب أن يكون هناك برامج أو حملات لسرد ومناقشة ماضي وحاضر الأرمن».
٥٩٢	شيعي - لبنانية	١٨ _ ٣٠	طالب جامعي	«هناك تنصير إعلامي كبير سواء على الصعيد المحلي أو الدولي، ولا أدري إن كان متعمداً من قبل جهات تعارض نجاح القضية الأرمنية بهدف الإبقاء على مصالحها الشخصية أم أن هناك يأس من قبل المنتمين اليها (القضية الأرمنية)».

٦٠٤	سني - لبنانية	٤٤ ==	أستاذ جامعي	«لا يمكن القول ان هناك قضية أرمنية اليوم بعد أن أصبح لها دولة مستقلة على اثر تفكك الإتحاد السوفيتي القديم».
٦١٥	سني - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«القضية الأرمنية لم تمت، وإذا كنت قد ذكرت ذلك آنفاً فلأن الدول العظمى لم تجد فيها ما يشبع مصالحها، لذلك لم تعبأ بما يحدث فيها. على الشعب الأرمني استخدام جميع وسائله المشروعة للدفاع عن حقوقه والعودة إلى وطنه».
٦١٨	شيعي - لبنانية	٤٤ ==	عامل	«بإعتقادي أن القضية الأرمنية قضية محقة، العمل من أجل انتصارها فعل إيمان بالخير، يجب عدم التوقف أبداً عن المحاولات مهما ضعف الأمل».
٦٣٢	درزي لبنانية	٤٤ ==	موظفة قطاع عام	«يجب توقيف الحرب القائمة بين الأرمن والأتراك من أجل سلامة الشعب الأرمني».
٦٣٤	سني - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	قطاع خاص	«ان أفضل أن يقوم الأرمن في حل قضيتهم بدل من إستخدام الأكراد في ذلك وسوف ينجحون إذا فعلوا ذلك».
٦٣٥	درزي - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	مخرج مسرحي	«إنَّ القضية الأرمنية قضية شعب مقهور لذلك نرجو إقامة توعية للشريحة الشبابية اللبنانية التي تهتم بقضايا الشعوب».
٦٤٤	شيعي - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«أعتقد ان القضية الأرمنية لا تحل إلاّ ذاتياً باعتماد الوسائل الدبلوماسية والسياسية البحتة، الحرب يجب أن تكون آخر المطاف، إذا لزم الأمر. أما التدّخل الأجنبي فلا يجلب إلاّ مزيداً من المتاعب كما حصل في عام ١٩٨٧».
٢	أرثوذكس أرمينية - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	«في القضية الأرمنية لا أؤمن أن اللجوء إلى المقاومة المسلحة سيؤدي إلى حل».
٧	كاثوليك أرمينية - لبنانية	٣١ ـ ٤٣	—	«لقد استرجعنا بلدنا الأم أرمينيا وعاصمتها يريفان وأتمنى ذلك لكل الشعوب المقهورة».

٨	كاثوليك أرمنية لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«إنَّ نشـوء القضيـة الأرمنيـة هـو بسبـب الطموحات الطورانية التوسعية المتطرفة وليس لها علاقة بالدين بتاتاً».
١٣	ارثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«لقـد دفـع الالمـان ثمـن أفعـالهـم خـلال الحربين، فكيف الأتراك لا يدفعون، فهم شعـب غيـر معـروف وبـلا حضـارة، بـل سيعترفون بخطايا أجدادهم لأن لا سلم بين الشعبين إلاّ بعد الإعتراف بحقوق الشعب الأرمني. وهذا يمكن إنجازه بالمفاوضات السلمية».
١٤	أرثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	جدارة	"The war between Armenia and Azerbeijan is a war for land and not of religion, race or other. Our land was taken and we want it back, specially being 90% of the population there are Armenians.
٢٤	ارثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«لا حـل للقضيـة الأرمنيـة إلاّ مـن خـلال توازنات إقليمية سياسية جديدة».
٤٣	ارثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«الحل الوحيد للقضية الأرمنية هي وحدة الصـف الأرمنـي أي الأحـزاب الأرمنيـة والنضال العسكري ضد تركيا لأن ثمانين سنة من الوسائل الدبلوماسية لم تنفع».
٦٠	//	٣١ ـ ٤٣	رب عمل	«ويل لشعب ينسى مأساة جدوده ولا يناضل ويطالب بحقوقه».
٦٦	ارثوذكس لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«الحل هو الحل العسكري لأن ما يؤخذ بالسيف لا يسترد إلاّ بالسيف وحده لأجل أرمينية موحدة».
٧٤	ارثوذكس أرمنية لبنانية	//	طالب جامعي	«أعتقد أنَّ ما يصعِّب في تحقيق تقدم في القضية الأرمنية هو عدم إعتراف تركيا بالأرمن وعدم رغبتها في التفاوض سلمياً. أضف إلى ذلك السياسة الدولية التي ليست في مصلحة الأرمن في الوقت الحالي».

٧٨	ارتوذكس أرمنية لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«إنَّ القضية الأرمنية، قضية معقدة، وعلى كل أرمني أن يحرر أرضه سواءً بسلم أو بالمقاومة، وأني مؤمن بأن القضية الأرمنية ستحل يوماً، وسينال الظالم عقابه».
٩٣	//	//	عامل	«إنَّ المقاومة المسلحة في كاراباخ والدعم التي تحظى به من مختلف أنحاء الدياسبورا الأرمنية هي شكل من أشكال المقاومة الأرمنية ضد الشعب التركي، لنيل حقوق الشعب الأرمني».
١٠٣	كاثوليك أرمنية ـ لبنانية	٤٤ ==	معلم متوسط	«لا حل للقضية الأرمنية من دون خلط أساسي في أوراق المنطقة إقليمياً أي من دون حدوث تغيرات أساسية في السياسة الدولية».
١٠٥	أرثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طبيب أسنان	«ماضياً: عدم تكرار الغلط. حاضراً: تقدم نحو الحضارة. مستقبلاً: إتكال على النفس والله».
١٠٦	ماروني لبنانية	٣١ ـ ٤٣	جامعي	«الماضي انتهى مع مرور الزمن. حاضراً السلام الشامل هو الحل الوحيد. مستقبلاً يجب أن ينعم الشعب الأرمني بالاستقلال التام على أراضيه بعد تفكك الإتحاد السوڤياتي واسترداد ناغورني كاراباخ وبصراحة تامة الشعب الأرمني حيثما حل، حلت البركة ـ والعمران».
١١٠	أرثوذكس أرمينية ـ سورية	٣١ ـ ٤٣	حاضنة روضة	«القضية الأرمنية تحتاج إلى وحدة صف داخلية، والالتفاف حول قيادة وطنية واحدة حكيمة وعادلة تقوم على تربية جيل يضع مصلحة الوطن والقضية فوق كل مصلحة، ويتهيأ بكل قواه العسكرية والإقتصادية لمواجهة أشرس عدو وهو العدو التركي».

١٣٣	كاثوليك أرمنية - سورية	١٨ ـ ٣٠	خدمة علم	«١ ـ الدماء لا تنسى والحق (ماضياً). ٢ ـ الظالم سينال جزاءه (مستقبلاً) ٣ ـ إستشهاد من أجل الوطن حق على كل مواطن أرمني (حاضراً)».
١٥٧	ارثوذكس ارمنية لبنانية	٤٤- =	رب عمل	«نطالب بمزيد من التحرك على الصعيد الدولي عبر المنظمات الدولية لحقوق الإنسان لأن هنالك حق مغتصب لشعب بكامله وها إنّ التاريخ يعيد نفسه في ناغورني كاراباخ والعالم يتفرج ولا يعمل شيء».
١٥٩	//	//	//	«إنَّ القضية الأرمنية لن تموت ما دام هنالك تركياً واحداً لم يعترف بالحقوق المغتصبة. ستقولوا أنني متعصب فليكن!».
١٦٠	//	//	//	«التاريخ الحديث يذكرنا أنه لا يمكن لأحد أن يأخذ حقه دون اللجوء إلى السلاح».
١٦٣	//	٣١ ـ ٤٣	عامل	«إذاً أرضي محتلة ورأيت المحتل ينتابني شعور بأني أريد قتله».
١٨٤	//	١٨ ـ ٣٠	جامعي	«إنَّ القضية الأرمنية تشابه جداً قضية إسرائيل من الناحية الدينية العرقية وانتشار الأرمن في أنحاء العالم. فلنجاح قضية شعب، يجب السيطرة على بعض نواحي الإقتصاد في الدول الكبرى كالولايات المتحدة، وهذا يتطلب وقتاً طويلاً قد يستمر بضعة قرون أخرى».
١٨٥	أرثوذكس تركية من أصل أرمني	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	«يجب أن يكون إهتمام وعمل فعّال أكثر من قبل الشباب العالمي وخاصة العربي والأرمني لإيجاد حلاً عادلاً للقضية الأرمنية».

١٩١	أرثوذكس أرمينية ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	ربة عمل	«إنَّ التحولات الأخيرة في المنطقة والعالم لا تزال تثير بعض التساؤلات حول مصير القضية الأرمنية، وهي أمور لا يمكن التصرف بها، إذ تبقى رهن الظروف السياسية. إلاَّ انَّ إستمرارية الشعب الأرمني، واستمرارية مقاومته الذاتية، تبقى أكبر رهان على حل مستقبلي إيجابي للقضية الأرمنية».
٣٥٧	كاثوليك لبنانية	//	مهنة حرة	«يجب على الشعب الأرمني المشتّت في أرجاء العالم كافة أن يضغط بشدّة على حكومات الدول الكبرى، التي تملك وحدها القدرة اليوم على فرض القرارات السياسية والعسكرية، كي تجبر تركيا على الإعتراف بحقوق الأرمن المغتصبة».
٣٦٠	//	٤٤ ==	متقاعد	«الحقد سيبقى راسخاً في نفوس الأرمن نتيجة للمجازر التي ألحقت بهم في الماضي وذلك أباً عن جد».
٣٦٤	أرثوذكس لبنانية	٣١ ـ ٤٣	مستشار نائب حالي	«إذا أردنا أن نحدِّد مدى ارتباط قضية الأقليات بعضها ببعض نجد أن الأرمن في لبنان قد وقفوا واتخذوا دوراً حيادياً من بداية الصراع في لبنان والذي لا نستطيع صبغه بالطائفي إلاَّ انه كان كذلك، من هنا نسأل الأرمن ـ هل كانت القضية اللبنانية بشكل عام تهمهم! ليهتم لبنان بقضيتهم؟».
٣٧٢	//	//	أستاذ جامعي	«إنَّ الأرمن لم يعتموا على ماضيهم ولم يرفضوا تاريخهم وحافظوا على ثقافتهم واستفادوا من الكارثة التي تعرضوا لها، بقوا على الحياد خلال الحرب اللبنانية وهم في جميع المدن السورية واللبنانية يتعايشون بكل وفق مع المسلمين».

٥١٦	شيعي ـ لبنانية من أصل تركي	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	«جميع الأرمن المتواجدون في بلدان منحتهم الجنسية لا يؤمنون بالعودة إلى بلادهم والأسباب الرئيسية لذلك إقتصادية».
٥١٨	سني ـ لبنانية	٤٤ ==	رب عمل	«نحن نعتقد بأن السبب الرئيسي لمأساة الأرمن في ما حصل يعود إلى تمتّع هذا الشعب بالذكاء والديناميكية وحبه الواسع للمعرفة والعلوم على مختلفها، وكان لو إستمر يشكل خطراً إقتصادياً وسياسياً على شعوب العالم، مما لا تقبل به الشعوب المغرورة التي قامت على إستعباد واستعمار وقهر الشعوب الصغيرة».
٥٢٩	درزي ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«المقاومة المسلحة ضرورية للفت النظر ولكنها ليست هي الحل».
٥٤٩	//	//	طالبة جامعية	«إنَّ ما يحاول البعض تسميته بالقضية الأرمنية، برأينا سيتحول بالمستقبل إلى نعرات قد تتفاقم ومن يدري أي بذور ستنبت في تربة النعرات الخصبة».
٥٥٢	//	٤٤ ==	مهندس طيران	«القضية الأرمنية إنتهت إقليمياً ودولياً».
٢٦٠	ماروني لبنانية	//	قطاع عام	«لم يعد هناك من قضية لأن أرمينيا إستعادت أرضها واستقلالها عام ١٩٩١ واعترف بها دولياً».
٢٥٦	كاثوليك ـ لبنانية	١٨ ـ ٣٠	محامٍ	«إنَّ القضية الأرمنية كانت ضحية الأقليات المسيحية التي تدفع عادةً الثمن، نتيجة الصراعات بين الطوائف الكبرى، والسبب في ذلك موقعها الجغرافي الذي جعلها كبش محرقة بين صراعات الدول ذات الحضارات المختلفة خاصة في ينابيعها الدينية».

٣٠٣	أرثوذكس لبنانية	٤٤ ==	صحفي حر	«القضية الأرمنية هي مشابهة لقضايا كل الشعوب أو الدول التي تقع في مناطق الصراع بين الامبراطوريات الكبرى».
٣١١	أرثوذكس لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	«قضية ماتت وماتت جداً مع مرور الزمن بحيث ان العالم ينسى أو تناسى هذه القضية وبرأيي أن الأرمن أنفسهم تأقلموا في البلاد التي هم فيها ولكن مع عصبية زائدة بسبب الظروف التي مروا بها في بلادهم».
٣١٢	كاثوليك ـ لبنانية	//	قطاع عام	«انها قضية مهمة ولكنها ماتت مع مرور الزمن وأظن الآن أنه ولو بمحاولة إحيائها من جديد، فإنّ الأرمن تأقلموا في البلاد التي هم فيها ولن يعودوا إلى وطنهم الأم».
٣١٦	//	٤٤ ==	طيّار متقاعد	«حسب التاريخ والأحاديث ان الأرمن شعب نشيط في شتى الحقول خاصة في الإدارات العامة. وتجمعهم في دولة واحدة يساهم في الرفع من شأنها. كما كانت الحالة في تركيا حسب الأقاويل. مما أثار تخوف الدول الكبرى. فزرعوا الفتن بشتى الأسباب بين الأرمن والأتراك لإضعافها، فكانت المجازر بعدما وشوا بهم إلى الأتراك وحرّضوهم عليهم لإفنائهم».
٣٣٣	أرثوذكس لبنانية	//	طالب جامعي	«لا تهمني القضية الأرمنية إطلاقاً ولا تمت بالقضية اللبنانية بصلة وبدل تضييع الوقت في البحث عن الشبه بين قضيتنا وقضية أخرى فيجب أن نصلح الوضع الحالي ليعود لبنان ملك اللبنانيين وليس ملك الغير كما هي الحال الآن».
٣٤٢	كاثوليك ـ لبنانية	//	أستاذة تعليم ثانوي ومترجمة	«في ما يتعلق بالمقاومة المسلحة الأرمنية، ندِّد العالم بأسره بهذه المقاومة لكنه من جهة أخرى لم يحرك ساكناً لحل المشكلة الأرمنية. وهذا يدل على أن القوى العظمى

				لا تهتم إلاّ لمصالحها وتتبّع سياسة الكيل بمكيالين. فلو كان لأرمينيا موارد تهم العالم، لكان أسرع في إحلال السلام فيها».
٣٤٨	ماروني - لبنانية	٣١ ـ ٤٣	تخصص مهني ولاهوت	«إنَّ القضية الأرمنية تنقصها الدعاية على المستوى الصحافي وعلى المستوى العسكري (عمليات للمقاومة) إذ من شأن الدعاية السلمية والعسكرية أن تحيي هذه القضية عالمياً وتخرجها من الملفات والضمائر الميتة».
٢٨٣	//	٤٤ =	أستاذ ثانوي	«على الدول الكبرى من خلال هيئة الأمم المتحدة ان تعاقب تركيا والمانيا وتحملهم مسؤولية تشريد واضطهاد الشعب الأرمني صاحب الحقوق المسلوبة».
٥٦٥	شيعي - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالب جامعي	«لم أكن أعرف شيئاً عن القضية الأرمنية قبل دخولي إلى الجامعة الأميركية، لكن بعد تعرفي إلى أصدقاء جدد في الجامعة. كان لي بعض الرفقة من الأرمن الذين حدثوني عن قضيتهم وعرفوني بها وأعتقد ان هذه القضية هي أحد الأسباب المهمة التي دفعت الأرمن إلى التعلم لأن العلم كما سيعرف الجميع هو أمضى سلاح في مواجهة الظلم وإعادة بناء جبهة قوية. تقوم على أساس متين».
١٢٥	أرثوذكس أرمينية - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	We are in another country than ours, although with time Lebanon has become like a second country to us, but still we want very hardly to have our nation independent socially,economically and earthly. It does not mean that we have lost our hopes or forgot our culture because we are away from Armenia. A real dream

				becomes true when all Armenians turn back to Armenia and live there happyly ever after. Because we have our country, churches, lands and language, so why live abroad?".
٥٤	أرثوذكس أرمينية - لبنانية	١٨ ـ ٣٠	طالبة جامعية	"I believe that the Armenian Cause will stay alive as long as the Armenians hold their identity and stay together, if not, there is no more Armenian Cause at all.
٦٦٥	سني - لبنانية	٣١ ـ ٤٣	رب عمل	«القضية الأرمنية، قضية الإنسان في كل زمان ومكان وهي بالتالي ترسم الاطر الحقيقية لمصداقية شرعة حقوق الإنسان والمواطن».

هذه عينة من مئات الآراء والملاحظات التي قيلت ودوّنت حول القضية الأرمنية، بمختلف أبعادها وجوانبها. نضعها برسم القاريء والمراقب والسياسي والباحث، علّها تلامس بعضاً من الحقيقة، وتحفز أصحاب القضية لخلق حركة تجددية تعيدها إلى وهجها ونضارتها، فتعيد إليها الحياة والفعالية.

مع هذه الآراء ـ المواقف، دارت القضية الأرمنية دورة كاملة، من أقصى السلبية إلى أقصى الإيجابية. وبذلك نكون قد جمعنا حقيقة الرقم إلى فلسفة الواقع. على أمل أن تكون هذه الدراسة بأقسامها النظرية والدينامية، قد حققت هدفها الرامي إلى خدمة القضية الأرمنية التي هي توأم الحقيقة وربيبة الحق...

من كل ما تقدم، نستوحي لنقول:

إنَّ استمرار المأساة الأرمنية، ضرب لشرعة حقوق الإنسان. بل أكثر من ذلك، فهي تسقط الأقنعة عن أنظمة كثيرة بالية، تخادع باسم الديموقراطية، والأنكى من هذا انها تنصِّب نفسها عرابة، بل وصيَّة الأقليات وأنظمتها، وكل ذلك باسم الدفاع عن الحريات والعدالة والمساواة!!..

خلاصة البحث

الأرمن أمَّةٌ من أقدم أمم الأرض وأعرقها. إرتسم قدرهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، بين سهول الأناضول وجبال القوقاز. هنا، في هذه «القلعة الطبيعية» المسماة أرمينية والتي وهبها الخالق سحر روائعه، شهد الأرمن أحداثاً غاية في التعقيد والخطورة، كما واكبوا تاريخاً متأرجحاً بين سمو العظمة، وفرح الانتصار وبين خيبة الفشل ومرارة السقوط.

أرمينية ملكة تربَّعت على عرش الجمال، فأطلت من عليائها على شرايين إتصال حيوية، وعلى طرق التجارة والاقتصاد والغزوات. من هنا كان تأثيرها على مختلف الامبراطوريات الغربية والآسيوية.

من جبالهم الشاهقة، التي تخترق ودياناً سحيقة وطويلة، رصد الأرمن، تسلل الشعوب الأوروبية والآسيوية، على إختلافها، كما دفعوا «فاتورة» قدرهم وغزواتهم، فأصبحت أرمينية «عبَّارة» المستفيدين ـ الطامعين شرقاً وغرباً ومنهم: الرومان، البيزنطيون، العرب، الطورانيون، العثمانيون، الفرس، اليونان، المغول، التركمان، الفرنسيون والروس وغيرهم[1].

---

(١) ـ Anahide Ter Minassian, La Question Arménienne, Ed. Parentheses. Collection arménies, France, 1983, P. 27.

أرمينية الثروة الطبيعية والبشرية، أرمينية الموقع والالتزام، تُلخِّص مجمل المسألة الأرمنية بكامل ملفها، عبر تاريخ طويل، مثقل بالأحداث والمآسي، مع المسلمين من عرب وأتراك، كما مع بعض المسيحيين وغيرهم. وقد صحَّ فيها القول: إنَّ ثروات الأوطان والأمم وكنوز حضارتها، تثير الغزاة والفاتحين وتلهب شهوات الدول والشعوب وتحرك غرائزها. فتُغْتَصَبُ الحقوق وتُنتهكُ الكرامات بألف شكل وشكل وتحت ألف شعارٍ وشعار. وتبقى الجرائمُ دون عقاب فتنقلب الأدوار، ويصبح الشهيد مجرماً والمجرم بطلاً. إنها عدالة هذا الإنسان!

إنّ الأطماع الكثيرة، التي أحاطت بالأمة الأرمنية، من كل جهة ومنذ آلاف السنين، عملت على إضعافها وعلى خلق تصدعات عميقة، في أساسات كيانها بكل أبعاده، السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

إلى ذلك، فان أرمينية تجمَعُ في داخلها كلَّ الغنى وكلَّ المتناقضات؛ شهدت لله وللإنسان، فاستشهدت في سبيلهما. من هنا كان الحافز إلى كشف أسرارها والغوص في عمق كنوزها. أليست أرمينية قيمة روحية، إنسانية وحضارية؟!

أرمينية لم تعد إذاً، ملك شعبها، بل أصبحت قضية أممية بحجم الإنسان كلِّ إنسان؛ من هنا أصبحت قضيتها، مسؤولية جماعية تدين الجميع، وتضع المجتمع الدولي في قفص الإتهام، إن هو ظلَّ متعامياً عن حقوق الأمة الأرمنية. فجريمة بهذا الحجم وبهذه الفظاعة، لن يسقطها مرور الزمن. واذا كان في كل قضية جرمية، حقٌ عام، فأين هو حق الإنسانية في مذابح الأرمن؛ وفي إقتلاع شعب من أرضه وفي طمس تاريخه وتهجين عرقه ونسله؟!

أرمينية صرخة ضمير وحق، يجب أن تأخذ طريقها إلى الحل العادل، مهما طال بها الزمن. يجب أن ينصف شعب أرمينية، لا دفاعاً عن هذا الشعب أو حباً به، بل تحريراً للإنسانية جمعاء من عقدة ذنْبٍ ألحقتها بها سلسلة المجازر ـ الإبادة التي فتكت بالأرمن، كياناً ووجوداً ومصيراً.

بعد جولة الافق السريعة، التي توقفنا خلالها عند أبرز محطات المسألة الأرمنية، سياسياً وعسكرياً، وبعد دراسة الاستمارة بكل أبعادها وأرقامها، ما هي أبرز النتائج ـ الحقائق التي يمكن أن نخلص اليها في بحثنا هذا؟ وما هي السمة الغالبة في العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية؟ وما هو ومستقبلها ومستقبل القضية الأرمنية؟!.

البعد الأول: في العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية:

١ ـ إن العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية، علاقات متقلبة جداً وهي محكومة بالظروف السياسية والعسكرية والإقتصادية التي لازمت حركة النفوذ والهيمنة بين الشرق والغرب عامة، وفي منطقة الأناضول والقوقاز والأقاليم المحيطة بها بشكل خاص.

فالمراقب ـ المحلل لتاريخ هذه العلاقات، لن يجد غير رسم بياني كثير التغير صعوداً وهبوطاً.

٢ ـ إنّ النظرة الموضوعية في خلفيات وأبعاد العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية. منذ الفتح العربي، مروراً بالخلفاء الراشدين وعهود بني أمية وعصور بني العباس، وصولاً إلى جحيم الأتراك والعثمانيين، مع كل ما رافق هذه المحطات من تدخلات وأحداث دموية مخيفة، داخل

أرمينية وخارجها، تضعنا أمام ثوابت واكبت هذه الأحداث وطبعت تلك العلاقات، أهمها:

أ ـ شهوة التوسع ومركّب التفوّق.

ب ـ الصراع العرقي ومشكلة الأقليات بين التتريك والتعريب.

ج – محاولة بسط النفوذ الإسلامي وأسلمة الشعوب التي أخضعت له بعد الفتوحات العربية.

د – الإقتصاد واستراتيجية أرمينية.

نحن لا يهمنا إذا كانت العلاقات الأرمنية-الإسلامية، مبنية على أساس طائفي او عنصري او مناطقي، لكن المهم انها كانت في كثير من جوانبها دموية وإن اختلفت الأصابع والأهداف.

٣ ـ العلاقات الإسلامية العربية ـ الأرمنية، على مرارتها أحياناً، تعتبر عصراً ذهبياً في تاريخ هذه الأقلية المسيحية، اذا ما قيست بالعلاقات الإسلامية التركية ـ الأرمنية.

وهنا نسجل، في مجال علاقات المسلمين العرب بالأرمن، أنه رغم ما شابَ هذه العلاقات من توتر وتفجُّرٍ أحياناً، إلاّ أنها عرفت الكثير من فسحات التآلف والتسامح والتفاهم.

٤ ـ إستغلال الدين كعنصر إثارة للشعوب المتصارعة. لذلك لم تغب الطائفية وحتى المذهبية عن ساحات المعارك، فهي وقود الشعوب المتخلفة، وهذا ما نجده في بعض العهود العربية وفي عهود بني عثمان الذين تنكروا بالدين واتخذوه غطاءً لمجازرهم والفظائع، وما يقال عن الأصولية الإسلامية، يقال أحياناً عن أصولية مسيحية. فالفعل يولِّد حتماً ردَّ فعلٍ، على صورته ومثاله.

٥ ـ إنّ العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية، جزءٌ من العلاقات الإسلامية ـ المسيحية ككل، وهي بالتالي متشابكة معقدة

وغنية، لذلك يستحيل على أي باحث سياسي أو غيره، إختزالها في دراسة واحدة أو في صفحات معدودة، فهي تتطلب أبحاثاً متشعبة ومعمقة. وكل عنوان من عناوين هذه العلاقات، رئيساً كان أم ثانوياً، يفرض عمليات تنقيب دقيقة، مستمرة ومدركة لأهمية هذه العلاقات وخطورتها.

٦ ـ إنّ سوء العلاقات الإسلامية ـ الأرمنية، خصوصاً تلك التي إمتاز بها الأتراك، كانت أعظم أخطاء هؤلاء وأفدح خسائرهم على الاطلاق، لأنهم خسروا العقل المفكر والطاقة المنتجة والمبدعة. فسياسة سلخ الأرمن واقتلاعهم من أرضهم، كانت في عمق الاستراتيجية العثمانية ـ الطورانية.

البعد الثاني: في نتائج المسألة الأرمنية:

١ ـ أرمينية ضحية الأطماع والعنصرية والأصولية، دفعت أثماناً باهظة وخيالية وغالباً أثماناً لا تعوض. فقد دفعت ما يزيد عن ميلوني شهيد، في فترة بني عثمان وحدها. فالسلطان الأحمر، حصد خلال سنتي (١٨٩٤ ـ ١٨٩٦) ٣٠٠,٠٠٠ من الشعب الأرمني، أما جمعية الإتحاد والترقي سجلت رقماً قياسياً في تصفية الأرمن، بأبشع الصور والوسائل، فخلال شهري نيسان وأيار ١٩١٥، مليون ونصف المليون أرمني يساقون إلى الذبح. كذلك أقدمت هذه الجمعية على تصفية مسيحيي(Macédoine و Thrace)[1]. ثم إكتملت السلسلة في عهد مصطفى كمال.

---

(١) ـ E. SEGOND, Histoire Générale, A. Hatier, Paris 1939, P.P 834 - 835.

٢ ـ عملية تهجين الأجيال الأرمنية، لا تقل خطورة وإجراماً عن عمليات الإبادة الجماعية. فقد عمد الأتراك إلى سبي الفتيات الأرمنيات الأكثر جمالاً وصحة وأرغمنهن على إعتناق المحمدية، ليصبحن بالقوة زوجات أو خليلات لهم، بغية تحسين نسلهم وخلق سلالة بشرية متمايزة من العرقين الأرمني والتركي. وحتى يقضي الأتراك على العرق الأرمني، كان لا بدَّ من تعطيل هذا النسل عن طريق قتل كل من كان قادراً على الإنجاب أو في عمر الإنجاب من هذا الجنس الأرمني الملعون والكريه (كما يسمونهم). أما الشيوخ، رجالاً ونساءً فلا فائدة منهم، لذلك كان مصيرهم التصفية.

٣ ـ المذابح ـ الفظائع التي إقترفها الأتراك بحق الأرمن، إضافة إلى إضطهاد البولشفيين لهم، كان من نتائجها ضربات قاصمة وجهت إلى مثقفيهم، بحيث أدركوا أن القضاء على الـ «Intelligentsia»، يعني القضاء على أهم مقاومة فكرية ومعنوية يمتلكها الشعب الأرمني وبذلك سهل الانقضاض عليهم.

٤ ـ القضية الأرمنية بكل صور العنف والمآسي التي كوّنتها، ألّفت ملحمة القرن العشرين بامتياز، كما تركت في نفسية كلِّ أرمني جراحاً عميقة دائمة، لن تتمكن السنوات من بلسمتها، فأصبحت ماثلة في عاداته وتقاليده وسلوكيته وفلسفته. هذه النتائج النفسية، للمعاناة، خلقت تحولاً مهماً في نتاج الأرمن فكرياً، أدبياً وفنياً. كما جعلت منهم شعباً أكثر إيماناً بخصوصيته وتمايزه. ولكن هذا لا يشكل قاعدة عامة، وما نلاحظه عند أرمن لبنان من

عصبية لكل ما هو أرمني (من لغة وكنيسة وأحزاب)، لا نجده عند أرمن فرنسا مثلاً الخ.

٥ - برمجة المذابح الأرمنية وعمليات الاقتلاع والابعاد، حتمت إنتشاراً أرمنياً واسعاً على إمتداد مناطق الشرق الأوسط: لبنان، سوريا، إيران، العراق، تركيا ومصر، حيث يعيش ما يقارب ٧٠٠,٠٠٠ أرمني. أضف إلى ذلك الأعداد المنتشرة في الولايات المتحدة الأميركية، فرنسا، بريطانيا، المانيا، اوستراليا، اليونان وقبرص وأميركا اللاتينية الخ. يبلغ ١,٥٦٣,٠٠٠ هذه الأرقام لا تشمل طبعاً جمهورية أرمينية السوڤياتية (المستقلة) ومناطق الإتحاد السوڤياتي السابق، حيث يبلغ العدد التقريبي ٤,٥٠٠,٠٠٠ فيكون العدد الاجمالي للأرمن اليوم حوالي ٦,٧٠٠,٠٠٠ أو قل أكثر من ٦,٥٠٠,٠٠٠ وأقل من ٧,٠٠٠,٠٠٠.

ما يهمنا من كل هذا الملاحظات التالية:

أ - عقب مجازر ١٩١٥ تناقص عدد الأرمن إلى أكثر من النصف.

ب - بين الأعوام ١٩١٥ و ١٩٥٠، تضاعف العدد ليعود إلى ما كان عليه قبل المجازر.

ج - بين الأعوام ١٩٥٠ و ١٩٧٣ تزايد العدد حوالي ١,٩٧١,٦٠٠ أي نسبة ٥٦,١٥٪.

د - يَعْتبر بعضُ علماء السكان، أن النمو السكاني لأرمن الشتات يتصاعد بشكل مستمر. كل ذلك في غياب إحصاء

علمي دقيق لهذا الواقع السكاني[1]. باستثناء الأرمن المقيمين في جمهورية أرمينية المستقلة.

هـ ـ نظراً لأهمية إبعاد الأرمن وتهجيرهم، في مختلف بقاع العالم، وانعكاس ذلك على مختلف الصعد، لذلك نجد أنه من الأهمية بمكان إفراد بحث خاص أو عدة أبحاث تتناول الحركة السكانية، نموها وواقعها.

البعد الثالث: في المسؤولية الأرمنية:

يخيل للبعض أننا نظرنا بعين واحدة إلى المسألة الأرمنية، وذلك باسقاطنا المسؤولية الأرمنية في كلِّ ما حصل وبتهميشنا لسلبية السياسة الأرمنية أو لبعض قادتهم الروحيين والزمنيين. والحقيقة هي غير هذه، لأننا تعمدنا إظهار الكثير من العيوب الأرمنية في مواقع عدة. فنحن في سعي دائم عن الحقيقة، لا في مجلس ذم أو مديح. لذلك نعود فنوجز أهم خلل في واقع المجتمع أو قل في واقع السياسة الأرمنية:

إذا كان من مسؤولية يتحملها الأرمن، فهي الخلافات الأرمنية ـ الأرمنية، التي لا تزال حتى الساعة تقوض الكثير من الجهود الخيرة لحل المسألة الأرمنية وانصافها.

من غريب المفارقات، أنك لا تجد أرمنياً واحداً يتنكر لحقوق شعبه وأهله. الكل يطالب بتطبيق المعاهدات الدولية، وبخاصة معاهدة «سيڤر». عام ١٩٢٠، التي تؤكد على وجوب إعادة أراضي أرمينية الغربية إلى أهلها. القضية مقدّسة، إنه

---

(١) ـ إنّ الأرقام التي استندنا اليها في بحثنا هذا، كانت تحليلاً للمعلومات التي تفضل بتزويدنا بها سيادة المطران سيبوة سركيسيان النائب البطريركي في بطريركية الأرمن الارثوذكس ـ انطلياس بتاريخ: ١/ ٥/ ١٩٩٥. مع كامل شكرنا لسيادته.

إجماع أرمني، ومع ذلك فالخلافات الأرمنية ـ الأرمنية تتفاعل وتكاد تكون سبباً جوهرياً في إجهاض كلِّ المساعي.

هذه الخلافات وإن اتخذت بعداً عائلياً ـ طبقياً ومناطقياً أحياناً كثيرة، إلاّ أنها خلقت شرخاً كبيراً داخل المجتمع السياسي ـ الأرمني، يعود إلى عهود الإمارة وما قبلها.

أما اليوم، فالمسألة الأرمنية تمر بأخطر مراحلها، نظراً إلى التباعد في الرؤية السياسية (عند المجموعات والأحزاب الأرمنية).

فكيف نفسِّر ما يجري اليوم في جمهورية أرمينية نفسها؟

أهو صراع على السلطة أم إحتكار لها؟ مهما كانت الأهداف، فهي مؤامرة كبرى تحاك، عن قصد أو عن غير قصد، ضد الشعب الأرمني نفسه[1].

وقد أكدت اللجنة العالمية لحزب الطاشناق، هذا الواقع المرير وطالبت رئيس جمهورية أرمينية باحترام الحقوق الإنسانية والمواطنية والحريات الديموقراطية.

والمشكلة اليوم، أن السلطة الحاكمة في أرمينية تعمد من جهة إلى ضرب المعارضة ومن جهة أخرى، إلى بسط نفوذها على أرمن الإنتشار بواسطة أجهزتها والسفارات. والغرض من ذلك، خلق كادرات جديدة تحل مكان الأحزاب التاريخية، التي ينعتها الرئيس الأرمني «بالأحزاب التقليدية التي انتهى أمرها»[1].

---

(١) ـ في رد حزب الطاشناق، النهار، السبت ٣١ كانون الأول عام ١٩٩٤، عدد ١٩٠٢٤، ص. ٥.

(١) ـ النهار، السبت ٧ كانون الثاني عام ١٩٩٥، عدد ١٩٠٢٩، ص. ٣.

نعم القضية الأرمنية، تمر اليوم بأدق مراحلها. فهل يعمد المسؤولون إلى تطبيعها؟ أم إلى خلق وَاقع جديد؟

البعد الرابع: المقاومة الأرمنية، ومستقبل القضية)

المقاومة الأرمنية، شأنها شأن كل الحركات الثورية في العالم، لا تنشأ إلاّ من حاجة اليها. وهكذا نجد أن فكرة تنظيم الطاقات الأرمنية في هيكلية حزبية لم تتبلور إلاّ في العام ١٨٨٥، حيث توالت على النحو التالي:

١ ـ حزب «أرمناكان» Armenakan، تأسس في «ڤان ـ Van» عام ١٨٨٥.

٢ ـ حزب «الهنشاق» Hentchak، تأسس في «جنيڤ ـ Genève» عام ١٨٨٧.

٣ ـ حزب «الطاشناق (الإتحاد الثوري الأرمني)، تأسس في «تفليس Tiflis» عام ١٨٩٠.

هذه الأحزاب وضعت في أولوية أهدافها:

أ ـ تطبيق الإصلاحات المقررة في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨.

ب ـ تحرير أرمن الامبراطورية العثمانية (٢/٣ الأرمن) بالطرق الثورية، بعد فشل كل محاولات التسوية السلمية.

لكِّن، واقع الأقليات يبقى حرجاً للغاية. وكل حركة وطنية لأقلية مسيحية، معزولة في محيط إسلامي، كما تقول «أناهيد ميناسيان»، تفشل في تحقيق أهدافها[١].

رغم العقبات والعوائق الكثيرة، داخلياً وإقليمياً ودولياً، فان المقاومة الأرمنية أدّت دروها ببطولة وحكمة نادرتين، والأعمال

(١) ـ أناهيد ميناسيان، المرجع السابق، ص. ١٩١ ـ ١٩٢.

الفدائية التي نفذتها تشهد على ذلك. ففي ٢٦ آب عام ١٨٩٦، هاجم عشرون مقاوماً من حزب الطاشناق، البنك العثماني في العاصمة واحتجزوا في داخله ما يزيد عن ١٢٠ موظفاً، عارضين مطالبهم العادلة وايصال صوتهم وقضيتهم إلى المحافل الدولية. إنتهت العملية الشجاعة، بتدخل الدول الأوروبية وإجلاء المقاومين إلى فرنسا، مع الوعد بتدخل دولي لحل المسألة الأرمنية، وظلت الوعود وعوداً فارغة من محتواها، وظلت المسألة الأرمنية تعد السنين وهي تتخبط في المجهول.

المقاومة الأرمنية، في إنطلاقتها الأولى، أزهلت العالم بمآثرها. غير أن السر المحيّر اليوم، يطرح تساؤلات كثيرة، أهمها:

لماذا تراجعت المقاومة الأرمنية اليوم، أو لماذا توقفت أو تمَّ إيقافها عن أعمالها النضالية المسلحة؟! هل فقدت هذه المقاومة إستقلاليتها وأصبحت أسيرة السياسات الخارجية؟

صحيح ان المقاومة الأرمنية، ليست عملاً مسلحاً وحسب فقد بدأت تأخذ منحى آخر عن طريق ظاهرة المفكرين ومراكز الأبحاث والصحافة[١]. ولكننا نرى أعادت تنظيم نفسها وتجييش القوى الضاغطة في كل مكان من العالم، بغية إعادة القضية الأرمنية إلى الضوء. فما مات حق وراءه مطالب.

رغم قدسية القضية الأرمنية، فنحن نخشى عليها من الضياع أو من تجديد إقامتها في ثلاجة المساومات الدولية.

---

(١) ـ على سبيل المثال، النضال الفكري الذي يقوم به حزب الطاشناق في الخارج والداخل. وما مجلة «Hairénik» التي كان يصدرها محازبوه بين الأعوام ١٩٢٢ و ١٩٦٧، إلاّ واحد من مئات الأدلة.

إنها معادلة ثابتة واضحة: فلا مقاومة دون قضية ولا قضية دون مقاومة. في كل مداخلاتنا، ندعو إلى العدالة والحرية والمساواة بين الجميع دون إستثناء، كما ندعو إلى نبذ العنف، ولكن ما الحيلة إذا كانت عدالة الدول مزيفة وأحكامها باطلة. ما الحيلة إذا كانت هذه الدول، لا تؤمن بغير القوة وسيلة.

نعم، إلى المقاومة الأرمنية بكل تياراتها نتوجه لنقول: إنّ قضيتكم في خطرٍ وفي خطر كبير خصوصاً بعد أن كثر المشككون بها، داخل صفوفكم وخارجها. والاستمارة والوقائع تؤكد ذلك. فقد إعتبرت نسبة مهمة من الأرمن اللبنانيين ومن اللبنانيين أن القضية الأرمنية إنتهت، خصوصاً بعد إستقلال أرمينية السوڤياتية. لكننا نرى عكس ذلك تماماً. صحيح ان ولادة جمهورية أرمينية المستقلة، حققت بعض الأمل والطموحات، غير أنها لا تشكل أكثر من ١/٦ الحقوق الأرمنية. فأين حقوق الأرمن في أرضهم الام داخلَ تركيا؟ بل أين حقوق الأرمن في الممتلكات والأراضي التي يمتلكونها شرعاً ودستوراً وهي الآن مصادرة وموضوع عليها اليد من قبل الأتراك؟

فأرمينية ٥/٦ أرضها لا تزال مغتصبة وهي رهينة الظلم والاضطهاد، يمارسان ضدها حتى اليوم. نعم إنَّ عمليات التتريك لا تزال مستمرة بألف وجه ووجه. والعنصرية التركية وإن تسترت بالوجه الأوروبي ـ الحضاري، فهي لا تزال مجرمة ومدانة بحق الأرمن وحق الإنسان. . .

فالخوف كل الخوف، من دغدغة مشاعر الأرمن، بأرمينية جمهورية مستقلة.

إنها محاولات سيكولوجية، يعمد أصحابها إلى ضرب المطالب الأرمنية المحققة وبالتالي خلق حالة من الاحباط في صفوف الشعب الأرمني، تجعله يرضى أو يقنع بما حصل عليه في أرمينية السوڤياتية.

حتى أن الحديث عن أرمينية المستقلة، أوقع الأرمن أنفسهم في مغالطة تاريخية وسياسية كبيرة، فكيف يمكن لأرمينية أن تستقل وأرضها الأم بغالبيتها لا تزال رهينة الاحتلال والقرصنة؟ أضف إلى ذلك، أنه قد يستحيل على أرمينية تحقيق إستقلالها الحقيقي الشامل، إلاّ في سياق تغير شامل يطال المنطقة بكاملها. من هنا الدعوة الى يقظة أرمنية شاملة. فالمقاومة حق من حقوقها المقدسة والمشروعة، على حد ما جاء في كلام قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني، إثر سقوط الجيوب المسلمة في البوسنة على يد الصرب وذلك في ١٩٩٥/٧/٢٦.

البعد الخامس: في المسؤولية الإقليمية والدولية:

بالإضافة إلى المسؤولية المادية المباشرة، التي تصيب العديد من الدول، هناك مسؤولية معنوية وأخلاقية تتحملها الأسرة الدولية حيال المسألة الأرمنية، بكل أبعادها وانعكاساتها.

في سياق البحث، حددنا المسؤولية المباشرة التي تصيب، إضافة إلى تركيا، دولاً عديدة وفي طليعتها المانيا، روسيا، الصهيونية العالمية، قبائل الأكراد، الدول الحليفة الخ. وإن كانت كل منها تختلف في الأهداف والنوايا.

أما المسؤولية المعنوية والأخلاقية، فهي تدين العالم كله. تدينه في تجاهله لمأساة الأرمن وفي تنكره لحقوقهم. فالقضية

الأرمنية، بحجم فلسطين وأكبر، بحجم إسرائيل وأكبر، بحجم البوسنة وأكبر. فلماذا هذا التعامي عنها؟

الإبادة الأرمنية، إبادة شعب وأمة، إنها جريمة القرن العشرين بامتياز؛ والضمير العالمي، يغط في ثبات عميق، وفي صمت كأنه صمت القبور. لا شيء يحركه غير نداءات مصالحه ولعبة التوازنات والمكاسب. فقلوبهم لا تكون إلاّ حيث تكون كنوزهم، ألم نشهد ذلك، بين حقول النفط وآبار الذهب الأسود في السعودية والكويت والعراق؟ المسرحية نفسها في كل مكان، واللاعبون أنفسهم وإن تغيرت الأسماء والأدوار.

من هنا تصبح الأقليات المجردة من قوة السلاح وسلطان المال، حجارة في «لعبة» يحركها الكبار وفق مصالحهم ومشيئتهم.

المسؤولية الدولية كبيرة جداً، لأنها تطال جوهر الإنسان لسببين إثنين:

أولاً: الأسرة الدولية، قادرة على حل المسألة الأرمنية وكل المسائل المشابهة، لكنها لا تريد، ودائماً من منظار المصالح ومناطق النفوذ.

ثانياً: مسؤوليتها تكبر أكثر فأكثر، عندما تتخطى هذا الواقع إلى إستغلال هذه المسألة أو تلك وتوظيفها، مهما كانت النتائج، لمآربها وأطماعها.

من هنا تصبح الشرعية الدولية بكل مؤسساتها ومحاكمها عاجزة ومغيبة عن إتمام رسالتها الإنسانية. ومن هنا تعود الكلمة الفصل للأقوى. أليس «الڤيتو» في مجلس الأمن الدولي مظهراً من مظاهر هذه السياسة وهذا المنطق؟!

بعد هذه المفاصل الأساسية في القضية الأرمنية، لا بدَّ لنا من تسجيل بعض الملاحظات، التي قد تسلط مزيداً من الضوء على القضية، وتفتح أبواباً جديدة في أفق أبحاث مستقبلية، تخدم أهدافها وحقوقها.

الملاحظة الأولى: إنَّ أصالة الأرمني وتمسكه بتراثه ولغته وكنيسته، كفيلة بأن تعيد القضية إلى وهجها وان ترجِّح كفة التفاؤل في مستقبل الأمة الأرمنية. وتوقف كل نزف في كيان هذا الشعب.

الملاحظة الثانية: ضرورة إنفتاح الأرمن على مختلف المجتمعات في البلدان المضيفة. ففي لبنان مثلاً وبالرغم من أن الأرمن أصبحوا مواطنين لبنانيين أصيلين، مع ذلك نجدهم منغلقين داخل «شرنقة» محكمة. ونراهم أحياناً يمثلون عنصرية متشددة في العرق واللغة، في العادات والتقاليد والزواج. قد يكون لهذا الواقع ما يبرره وهو المحافظة على تمايزهم وخصوصياتهم. غير أنَّ الإنفتاح أكثر قد يخدم القضية أكثر.

الملاحظة الثالثة: على الكنيسة الأرمنية، أن تأخذ دورها الطليعي في كل حركة نضالية، فكرية وثقافية، لتستعيد بذلك مكانتها وموقعها كقوة ضاغطة وفاعلة في تدويل القضية.

الملاحظة الرابعة: القضية الأرمنية تمثّل فلسفة خاصة في قيمة الإنسان والوجود، فتطرح ذاتها علماً متعدد

الأبعاد والوجوه... وهي لذلك يجب إعادتها إلى موقعها.

إنَّ أمة، سجلت سبقاً في مختلف المجالات والميادين، كالأمة الأرمنية، وأعطت الكثير للإنسانية جمعاء واستشهدت نيابة عنها، تستحق كلمة وفاء وشهادة حق، تعيد الحق إلى أصحابه وتتهم المجرمين دون خوف أو تردّد.

وإذا كان لا بدَّ من خاتمة لكل شيء، فلن نجد كلاماً أكثر دلالة وعمقاً وجمالاً من الذي أطلقه المؤرخ الأرمني «أريستاكيس» حين قال:

«كلُّ فانٍ دنس طريقه،
فامتلأت البلاد بالكفر،
وقلَّتْ العدالة، وازداد سوء السلوك،
فكذب العلمانيون والقساوسة
في كلِّ كلمةٍ أمام الله...»!!

بيروت ـ أيار ـ ١٩٩٥.

المراجع بالعربية والأجنبية

I ـ باللغة العربية

١ ـ إسكندر نجيب فايز، مؤرخو الأرمن في العصور الوسطى ـ أريستاكيس اللستيفري، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة (١٠٠٠ ـ ١٠٧١م./ ٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ.)، القاهرة ١٩٨٣.
٢ ـ الشيخ الصالح صبحي، مقدمة لدراسة الفقيه السلفي الكبير، تلميذ إبن تيميه، ابن القيم الجوزية «أحكام أهل الذمة»، دمشق ١٩٦١.
٣ ـ الشيخ الصالح صبحي، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، بيروت ١٩٦٥.
٤ ـ الشدياق طنوس، تاريخ الأعيان في جبل لبنان، نشر الدكتور فؤاد إفرام البستاني، بيروت، ١٩٧٠.
٥ ـ المدور مروان، الأرمن عبر التاريخ، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢.
٦ ـ جعفر مجيد، كردستان ـ تركيا، دراسة إقتصادية إجتماعية سياسية (جرى تقديمه والدفاع عنه كاطروحة دكتوراة في العلوم الاجتماعية ـ جامعة هلسنكي عام ١٩٧٦) الطبعة العربية، بيروت تموز ١٩٩٠.
٧ ـ جرجيس حسن، تركيا في الاستراتيجية الأميركية بعد سقوط الشاه، دمشق مطبعة الجاحظ، ١٩٩٠.
٨ ـ حلو مرغريت، العلاقات التركية ـ الإسرائيلية، مركز الدراسات الأرمنية، بيروت ١٩٩٤.
٩ ـ خدووي مجيد، الحرب والسلم في شرعة الاسلام، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣.
١٠ ـ ديورانت ول، قصة الحضارة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨.
١١ ـ رباط ادمون، الوسيط في القانون الدستوري اللبناني ـ بيروت ١٩٧٠.

١٢ ـ زهر الدين صالح، الأرمن شعب وقضية، بيروت، ١٩٨٨.
١٣ ـ زهر الدين صالح، مخاطر الدور التركي في المنطقة العربية، بيروت، ١٩٩٣.
١٤ ـ سعيد موفق، خطوات نحو انهاء الصراع بين المسيحية والاسلام، بيروت، ١٩٦١.
١٥ ـ صعب حسن، الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية، بيروت، ١٩٦٥..
١٦ ـ عربش سمير، أرمينية أرض وشعب، دار الريحاني، بيروت، ١٩٩١.
١٧ ـ عفلق ميشال، في سبيل البعث، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٣.
١٨ ـ عثمان فتحي، الحدود الإسلامية والبيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة ١٩٦٦.
١٩ ـ فارس وليد، التعددية في لبنان، الكسليك، ١٩٧٩.
٢٠ ـ فروخ عمر وخالدي مصطفى، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٤.
٢١ ـ قرم جورج، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
٢٢ ـ محمد دياب حسين صابر (دكتور في كلية الآداب ـ جامعة القاهرة بالخرطوم)، أرمينية من الفتح الاسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر ١٣٩٨ هـ./ ١٩٧٨ م.
٢٣ ـ مصحف جوامع شريف، القرآن الكريم، بخط السيد مصطفى نظيف، طبع على نفقة صلاح يوسف الخليل، دون تاريخ.

II ـ المنشورات، المجلات، الصحف والمحاضرات:

١ ـ المنشورات الكاملة لمركز الدراسات الأرمنية والهيئة العليا لإحياء الذكرى الثمانين للمجازر الأرمنية (الإبادة ١٩١٥ ـ ١٩٩٥ ـ الحقيقة ـ موقع كاراباخ في الصراع الأرمني، الاذربيجاني ـ المجازر الأرمنية ١٩١٥ ـ أول إبادة جماعية في القرن العشرين ـ تركيا عاصمة الاجرام الخ).

٢ ـ مجلة زاڤاريان، عدد ١٨ ، كانون الأول ١٩٩٤ .
٣ ـ جريدة الصفا اللبنانية، ١٠ تشرين الثاني عام ١٩٧٣ .
٤ ـ جريدة النهار، الأعداد ١٩١١٣، ١٩١١٤، ١٩١١٧، نيسان ١٩٩٥ والاعـداد ١٩٠٢٤، ١٩٠٢٩، ١٩٠٣٣ كـانـون الأول وكـانـون الثـانـي ١٩٩٥ . والعدد ١٩٠٨٨ ٢٠ آذار ١٩٩٥ .
٥ ـ جريدة الحياة، الأعداد ١١٧٦٥ ـ ٨ أيار ١٩٩٥ ـ عدد ١١٦١٢ تاريخ ٣ كانون الأول ١٩٩٤ عدد ١١٦١٢ ٣ كانون الأول ١٩٩٤ .
٦ ـ داسنابيديان هراج، القضية الأرمنية، عرض تاريخي مقتضب للقضية الأرمنية، محاضرة ألقيت في كلية الآداب العليا الفرنسية في بيروت بتاريخ ١٨ أيار ١٩٧٥، عربها جوزف كالوستيان، بيروت ١٩٨٤ .

III ـ المراجع الأجنبية:

1 - Abou Jaoude Joseph, Les Partis Politiques au Liban, Kaslik - Liban, 1985.

2 - Barby Henry, Au pays de l'Épouvante, l'Arménie Martyre, Beyrouth 1972.

3 - Basile Homsy, Les Capitulations et La Protection des Chrétiens au Proche - Orient au XVIe, XVIIe et XVIIIe, Siècles. Harissa, Liban 1966.

4 - Chantebout Bernard, Le Tiers Monde, Armand Colin Editeur, Paris, 1986.

5 - Fattal. A, Le Statut des Non - Musulmans en Pays d'Islam, Beyrouth, 1958.

6 - Fabre - Luce (Alfred), Deuil au Levant, Paris, 1950.

7 - Frémy Dominique et Michèle, Quid, Paris, 1984.

8 - Ghossain Fayez, Al - Mazabih Fi Arménia, Beyrouth, 1916.

9 - Harb Khoury Antoine, Les Maronites: Histoire et Constantes, Beyrouth, 1985.

10 - Le Grand Livre du Monde, Publié par Sélection du Reader's Digest, Paris, 1993.

11 - Léart Marcel, La Nation Arménienne, Paris, 1913.

12 - Laurent Eric, l'Avenir de La Démocratie, débats du «Colloque d'Athènes», Organisé par France - Culture, Paris, 1977.

13 - MÉCHIN - BENOIST, le Loup et Le Leopard, Mustapha Kémal ou La Mort d'un Empire, Ed. Albain Michel, Paris 1954 (Épuisé).

14 - MECERIAN, P, Histoire et Institutions de l'Eglise Arménienne, Evolution nationale et doctrinale, Spiritualité, Monachisme, Beyrouth, 1965.

15 - Pasdermadjien (Originaire d'Arménie), Histoire de l'Arménie (Depuis Les Orgines Jusqu'au Traité de Lausanne) 2e Ed. Paris, 1963.

16 - Prince Moussa, Le Génocide «Les Dimensions Modernes du Massacre Collectif Prémédité". Un Génocide Impuni: l'Arménocide, Ed. Assi Diffusion Première Ed. Beyrouth, 1988.

17 - Rabbath Edmond, La Formation Historique du Liban Politique et Constitutionnel, Beyrouth 1973.

18 - Rondot, Pierre , Les Chrétiens d'Orient, Paris, 1955.

19 - Sacre Etienne. Père, Le Pluralisme Culturel au Liban, Kaslik - Liban, 1971.

20 - Sayegh Raymond, Le Système de Partis Politiques en Israel Lib Samir, Beyrouth Liban. 1971.

21 - Segond, E, Histoire Générale, A. Hatier, Paris, 1939. (Épuisé).

22 - Ter Minassian Anahide, La Question Arménienne Ed. Parenthèse, Collection Arménies, Diffusion Presses Universitaires

de France, 1983.

23 - Toynbee J. Arnold, Anthologie de Textes Historiques sur les Massacres Arméniens de 1915, Beyrouth 1972.

ـ إستمارة تحت عنوان: أرمينية قضية إنسان:

أ ـ الجنسية:

ـ لبنانية [ ]

ـ لبنانية متحدرة من أصل أرمني [ ]

ـ غير ذلك، أذكرها [ ]

ب ـ الجنس:

ـ ذكر [ ]

ـ أنثى [ ]

ج ـ العمر:

١٨ ـ ٣٠ [

٣١ ـ ٤٣ [

٤٤ وما فوق [

د ـ المذهب:

ـ سني [ ]

ـ شيعي [ ]

ـ درزي [ ]

ـ مسيحي كاثوليك [ ]

ـ مسيحي أرثوذكس [ ]

ـ مسيحي انجيلي [ ]

ـ أرمن أرثوذكس [ ]

ـ أرمن كاثوليك [ ]

ـ غير ذلك، أذكره

هـ ـ المهنة والعمل:

ـ رب عمل [

ـ عامل [

ـ موظف في القطاع العام [

ـ في مجال التعليم:

الإبتدائي والمتوسط [

الثانوي [

الجامعي [

ـ غير ذلك، حدده

و ـ أعلى شهادة علمية يحملها:

ـ الشهادة المتوسطة [ ]

ـ الشهادة التعليمية [ ]

ـ شهادة البكالوريا قسم ثاني [ ]

ـ إجازة جامعية [ ]

- دراسات عليـا [ ]
- دكتورا: حلقة ثانية [ ]
- دولــة [ ]
- غير ذلك، اذكرها:

٢ - المجازر الأرمنية أذهلت العالم المتحضر بنوعها وكمها، كيف تُقيِّم معلوماتك حولها؟
- أعرف عنها الكثير [ ]
- أعرف عنها القليل [ ]
- لا أعرف عنها شيئاً [ ]
- لـم أســمـع بـهـا [ ]

٣ - لكل قضية مسؤول، من يتحمل مسؤولية المجازر الأرمنية؟ رقمهم بحسب الأهمية:
- الأرمن أنفسهم [ ]
- الأتـراك [ ]
- الـعـرب [ ]
- الأكــراد [ ]
- المانيا والدول الكبرى [ ]
- غيرهم، اذكره

٤ - أسباب كثيرة تقف وراء هذه المجازر الجماعية، رقمها بحسب الأولوية:
- تفكك الأرمن وضعف الوحدة الداخلية [ ]
- التعصب الطائفي [ ]
- العصبية العرقية [ ]
- المطامع التركية [ ]

ـ المصالح الإقتصادية والمناطق الحَيوية للدول الفاعلة ومنها:

ـ المانيا [ ] ـ أميركا [ ] ـ فرنسا [ ]

ـ غيرها:

٥ ـ هل تعتقد أن القضية الأرمنية ماتت بمرور الزمن؟

ـ نعم [ ]

ـ كلا [ ]

٦ ـ إذا كلا، فهذا يعني أنها تخفي أخطاراً مستقبلية، حدِّد بعضها:

ـ اضطرابات عسكرية نظامية:

ـ محلية [ ]

ـ إقليمية [ ]

ـ دولية [ ]

ـ توترات سياسية [ ]

ـ عمليات ارهابية [ ]

ـ غير ذلك، اذكره

٧ ـ تضاربت الآراء واختلفت حول المقاومة الأرمنية التي نشأت لاستعادة الحقوق المنتهكة، واستعادة الأرض والهوية، فهل تجد أن هذه المقاومة لا تزال قائمة وفاعلة:

ـ نعم [ ]

ـ كلا [ ]

ـ كيف أدّت دورها؟

ـ بشكل ممتاز [ ]

ـ بشكل جيد [ ]

- بشكل مقبول [ ]
- بشكل سـيء [ ]
- بشكل مضر [ ]

٨ - القضية الأرمنية على أهميتها وخطورتها، يهملها العالم ويتناساها، اذكر أهم الأسباب لذلك ورقمها بحسب الأولوية:

- لأنها تهدد مصالحه [ ]
- لأنها لا تعود عليه بالنفع اقتصادياً واستراتيجياً [ ]
- لأنها، في حال احيائها، تهدد السلام الإقليمي والعالمي [ ]
- لأن شعبها من الأقليات ولا يملك وسائل الضغط [ ]
- غير ذلك، اذكرها:

٩ - هل تجد أن هناك حلاً مستقبلياً للقضية الأرمنية؟

- نعم [ ] - كلا [ ]

إذا نعم، ما هي الوسيلة أو الوسائل الواجب اعتمادها أو التي قد تعتمد، رقمها بالأولوية:

- حرب نظامية [ ]
- قوات دولية [ ]
- مقاومة ذاتية [ ]
- بواسطة المنظمات الدولية [ ]
- بالوسائل الدبلوماسية والمفاوضات السلمية [ ]

١٠ - هل هناك أوجه شبه بين القضية الأرمنية والقضية اللبنانية؟

- نعم [ ]
- كلا [ ]

اذا نعم، حدِّد بعضها، ورقمها بحسب الأولوية:

- الصراع الطائفي [ ]
- قضيــة الأقـليات [ ]
- التفكك الداخلي [ ]
- التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية:
  - إقليمياً [ ]
  - دولـيـاً [ ]
- دور رجال الدين وتدخلهم في الأمور السياسية:
  - سـلبـي [ ]
  - إيجابي [ ]
- أسباب أخرى، اذكرها:

١١ - من البديهي أن تنشأ علاقات بين مختلف التجمعات والمجموعات داخل المجتمع الواحد، من هذا المنطلق كيف تجد العلاقات الإسلامية - الأرمنية؟

- بين المسلمـين العـرب والأرمـن:

- ممتازة [ ] - جـيـدة [ ] - سـيئـة [ ]

- بين المسلمين الأتـراك والأرمـن:

- ممتازة [ ] - جـيـدة [ ] - سـيئـة [ ]

- بين المسلمين والأرمن في لبنان:

- ممتازة [ ] - جـيـدة [ ] - سـيئـة [ ]

١٢ ـ من كل ما تقدم، هل تجد أن الشعوب المقهورة والمستضعفة لها الحق في اعتماد كل الوسائل لحماية حقوقها وحرياتها؟ بما في ذلك حق اللجوء إلى المقاومة المسلحة؟

ـ نعم [ ]

ـ كلا [ ]

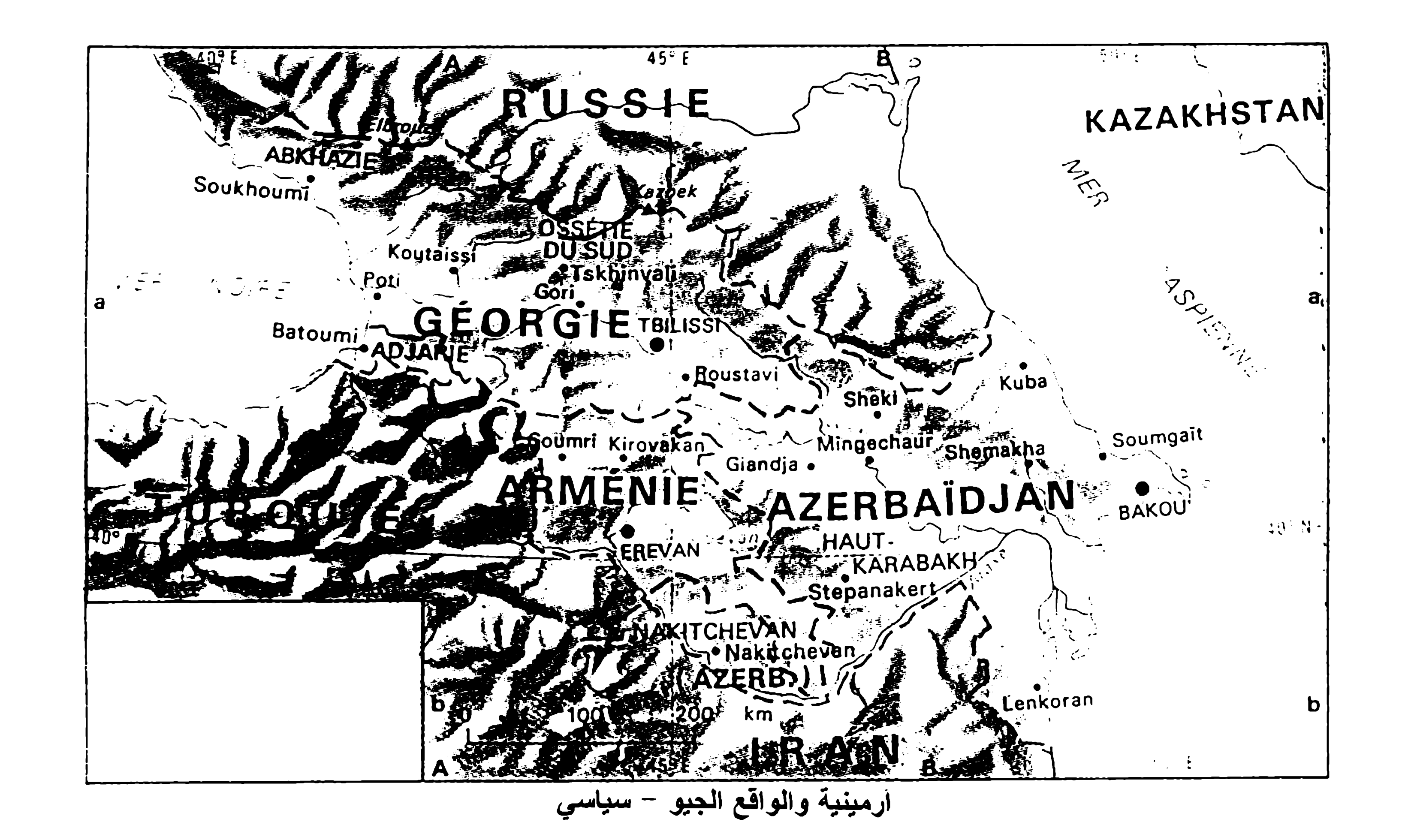
● هل لديك ملاحظات أو آراء أخرى حول القضية الأرمنية وأبعادها ماضياً، حاضراً ومستقبلاً؟

ملاحظة هامة:

المعلومات الواردة في هذه الإستمارة هي لغرض علمي بحت، ولن تستخدم لأي شيء آخز، مهما كان غرضه وهدفه. وبالتالي فهي لن ترتب على صاحبها أية مسؤولية. لذلك يرجى توخي الدقة في إعطاء المعلومات، خدمة للعلم وحفاظاً على الأمانة في نقل الحقائق.

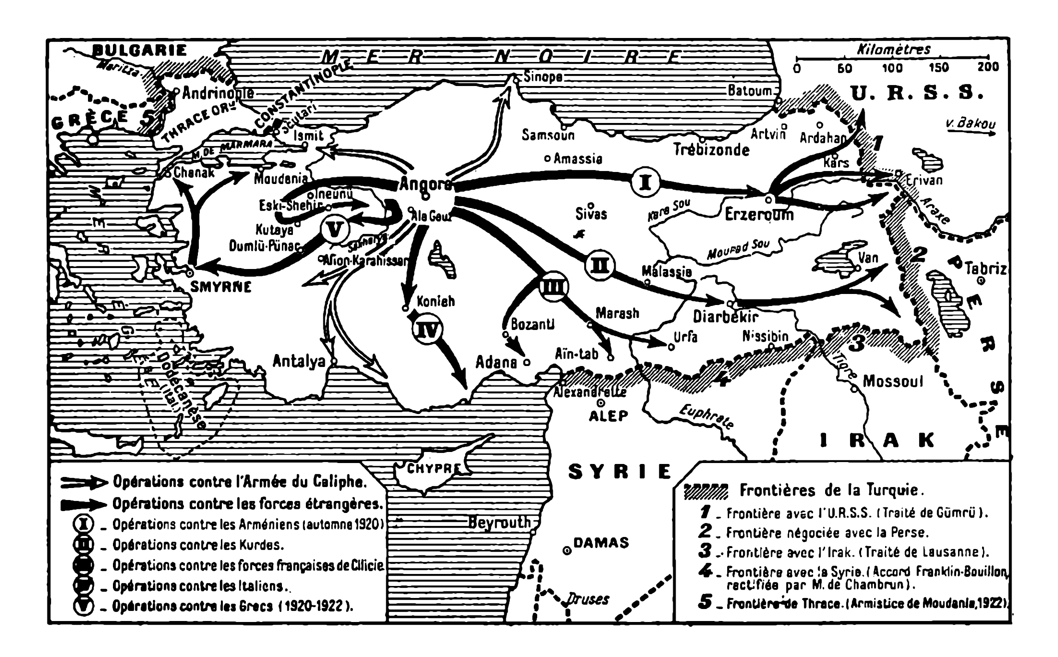
تاريخ ملء الإستمارة ________________ توقيع المحقق ________________

شكراً



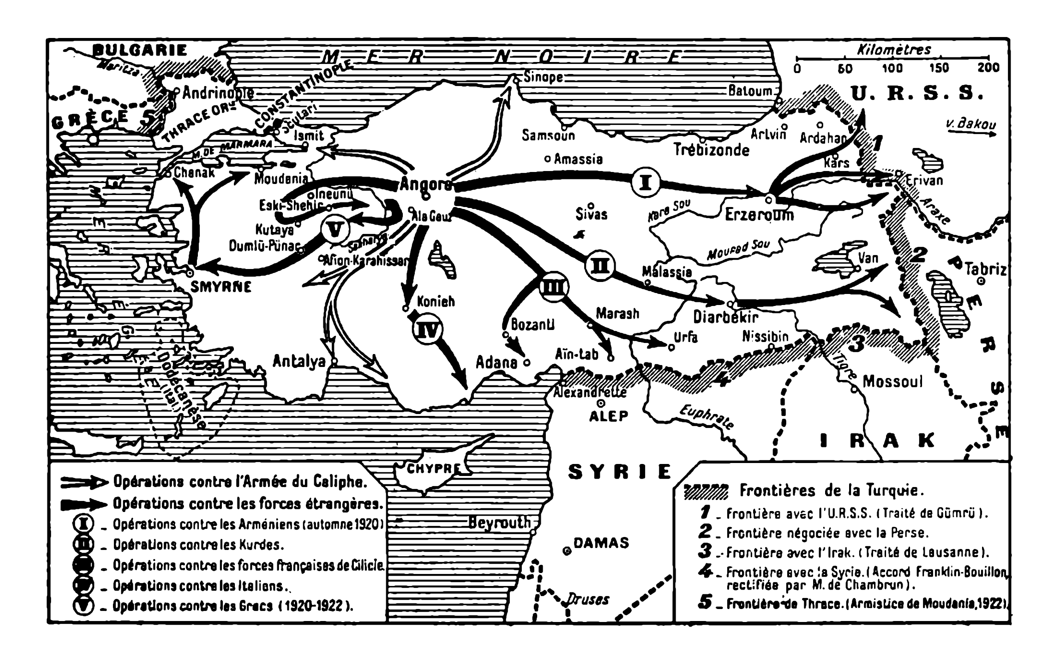
ارمينية والواقع الجيو – سياسي

* العمليات العسكرية لحرب الإستقلال (١٩٢٠ - ١٩٢٢)



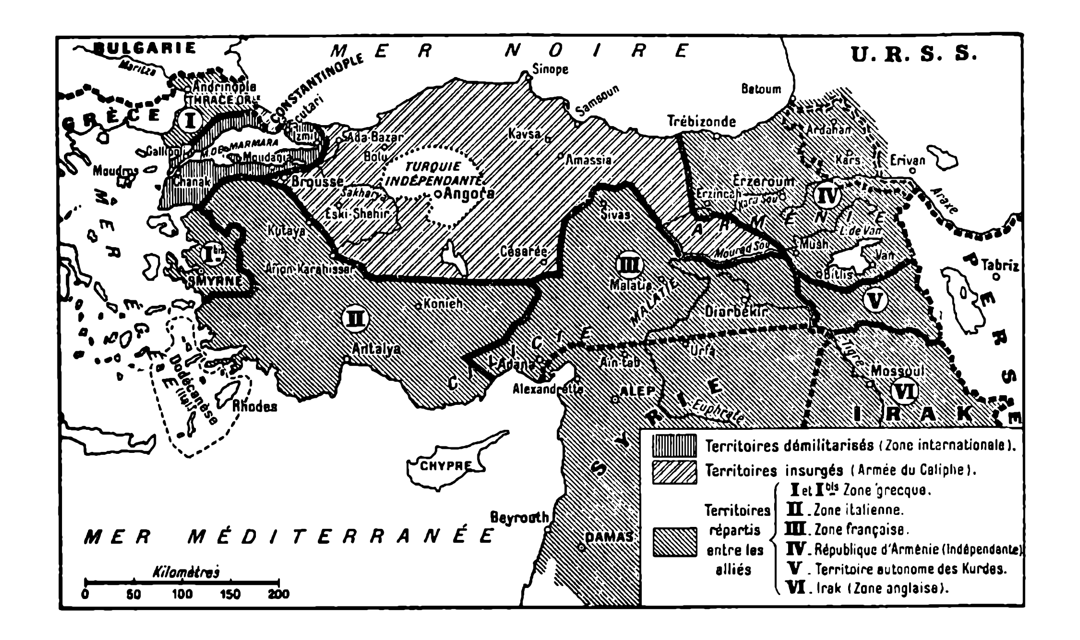
(1) - BENOIST - MÉCHIN, Le Loup et le Léopard, Mustapha Kémal, Ed. Albin Michel, Paris, 1962 (Epuisé), 241.

* العمليات العسكرية لحرب الإستقلال (١٩٢٠ - ١٩٢٢)



(1) - BENOIST - MÉCHIN, Le Loup et le Léopard, Mustapha Kémal, Ed. Albin Michel, Paris, 1962 (Epuisé), 241.

* تركيا بعد معاهدة "سيفر" ١٩٢٠



(1) - Ibid. 247.

فهرس المحتويات

الإهداء..٧

مقدمة البحث ٩

الفصل الأول: أرمينية – لمحة تاريخية وجغراسية..................٢١

القسم الأول: الشعب الأرمني في أصله ونشأته وجغرافيته..........٢٣

I – الأرمن هوية وأصالة وتاريخ..........................٢٣

II – جغراسية أرمينية أو ثنائية الأرض والإنسان............٣٢

القسم الثاني: الأرمن في دائرة الأقليات ٣٨

الفصل الثاني: المسلمون العرب والأرمن

(من الفتح الإسلامي حتى القرن العشرين)..................٤٩

القسم الأول: المسلمون والأرمن من الفتح العربي

حتى قيام الدولة الأموية.............................٥١

I – تأريخ الوقائع وجذور المشكلة ٥١

II – خلفاء المسلمين وفتح أرمينيا (٦٤٠_٦٦١م):

متغيرات وثوابت ٥٣

٢ – ماذا في ثوابت الغزو الإسلامي لأرمينية ومتغيراته؟.......٥٦

القسم الثاني: المسلمون والأرمن في الدولة الأموية..................٧١

I – ايجابيات هذه الحقبة...................................٧١

II - الوجه الآخر من سياسة الأمويين حيال الأرمن............٧٤
III - أرمينية في واقعها الإجتماعي-السياسي،قبيل
تدهور الدولة الإسلامية_ الأموية.................٨٦
IV - الأطر العامة ونتائج العلاقات الإسلامية الأموية والأرمنية...٩٥
القسم الثالث: الأرمن والدولة الإسلامية العباسية................١٠٣
I - المناخ الإجتماعي والسياسي في ظل الحكم العباسي.....١٠٣
II - "كرونولوجيا" الأحداث بين المسلمين والأرمن،
في ظل العباسيين..........................١٠٥
١ - أرمينية ضمن المخطط الإسلامي الكبير...............١٠٦
٢ - أبرز المحطات في العلاقات الإسلامية العباسية والأرمنية.١٠٩
III - خلفيات ونتائج العلاقات الإسلامية - الأرمنية،
زمن العباسيين.................................١٢٢
١ - أطراف العلاقات الإسلامية - الأرمنية
وحجم الإكراه فيها...........................١٢٢
٢ - أرمينية سياسة عدم الإنحياز - بين سندان بيزنطية
ومطرقة المسلمين العرب......................١٣٤
الفصل الثالث: المسلمون الأتراك والأرمن(قضية القرن العشرين بامتياز...١٤٧
القسم الأول: المسلمون الأتراك والأرمن - المرحلة الأولى -
عهد السلطان الأحمر...........................١٤٩
I - أرمينية التركية..................................١٤٩
II - السلطان الأحمر والمسألة الأرمنية.....................١٥٢
١ - جذور المسألة الأرمنية...............................١٥٢
٢ - المسألة الأرمنية في نفق المخطط الحميدي

(١٨٧٦-١٩٠٩) وأتونه (Four à Chaux)..........١٥٩
القسم الثاني: المسلمون الأتراك والأرمن - مرحلة ثانية -
الإتحاد والترقي (١٩٠٩ - ١٩١٩)................١٧٧
I - الشبان الأتراك والأرمن، فترة ما قبل الإعصار-الإبادة...١٧٧
١- شهر عسل لم يدم...................................١٧٧
٢- حركة ليبرالية، سقطت عند صنمية الطورانية المتحجرة..١٧٨
II - المذابح الأرمنية الكبرى، مأساة أرمينيا أم عار الإنسانية.١٨٣
١- المذابح الأرمنية الكبرى، في الأدلة والوقائع
إدانة صارخة للجميع...............................١٨٣
٢- المذابح الأرمنية الكبرى، في الممارسة والنتائج..........١٩٦
القسم الثالث: المسلمون الأتراك والأرمن -المرحلة الثالثة-
مصطفى كمال (أتاتورك)........................٢٢٧
I - أضواء على شخصية مصطفى كمال وسياسته..........٢٢٧
١- شخصية مصطفى كمال وحياته.....................٢٢٧
٢- نهجه وتطلعاته السياسية............................٢٢٨
٣- ثورة مصطفى كمال الإجتماعية العلمانية.............٢٣١
II - مصطفى كمال ومسؤوليته في القضية الأرمنية...........٢٣٥
١- علاقة مصطفى كمال بالحكومة الإتحادية
وبالصهيونية العالمية..................................٢٣٥
٢- طبيعة وحجم المسؤولية "الكمالية" في القضية الأرمنية...٢٤٠
الفصل الرابع: المسألة الأرمنية من منظار مسيحيي لبنان ومسلميه
(بين حقيقة الرقم وفلسفة الواقع)....................٢٥١
القسم الأول: استمارة البحث،غايتها،أبعادهاونتائجها............٢٥٣

I – غاية الإستمارة: ضرورتها وفرضياتها.................. ٢٥٣
II – نتائج الإستمارة واستنتاجاتها، كما حددها
مسلمو لبنان ومسيحيوه........................... ٢٥٤
القسم الثاني: آراء متعددة ومختلفة في القضية الأرمنية............. ٣٢١
خلاصة البحث.. ٣٣٣
المراجع بالعربية والأجنبية... ٣٤٩
استمارة تحت عنوان: أرمينية قضية إنسان........................ ٣٥٧
الخرائط.. ٣٦٣

د. حنا سعيد الحاج

دكتوراه دولة في علم الإجتماع السياسي، الجامعة اللبنانية، حزيران ١٩٩٣.

إجازة في العلوم الإجتماعية، الجامعة اللبنانية، حزيران ١٩٧٤.

أستاذ علم الإجتماع السياسي في الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الإجتماعية- الفرع الثاني.

تقلب في عدة وظائف ادارية في الجامعة اللبنانية والمدارس الخاصة.

له أبحاث ومحاضرات وشارك في مؤتمرات عدة حول الواقع الإجتماعي والسياسي اللبناني ومواضيع التربية والبيئة. كما شارك في المؤتمرات المتعلقة بالقضية الأرمنية في عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦.